

درج اثنا عشر شهراً
من مكة الى مكة
سنة مائتين
واحدين
ردية من كل
أخبار النبي
هدى
محتاب

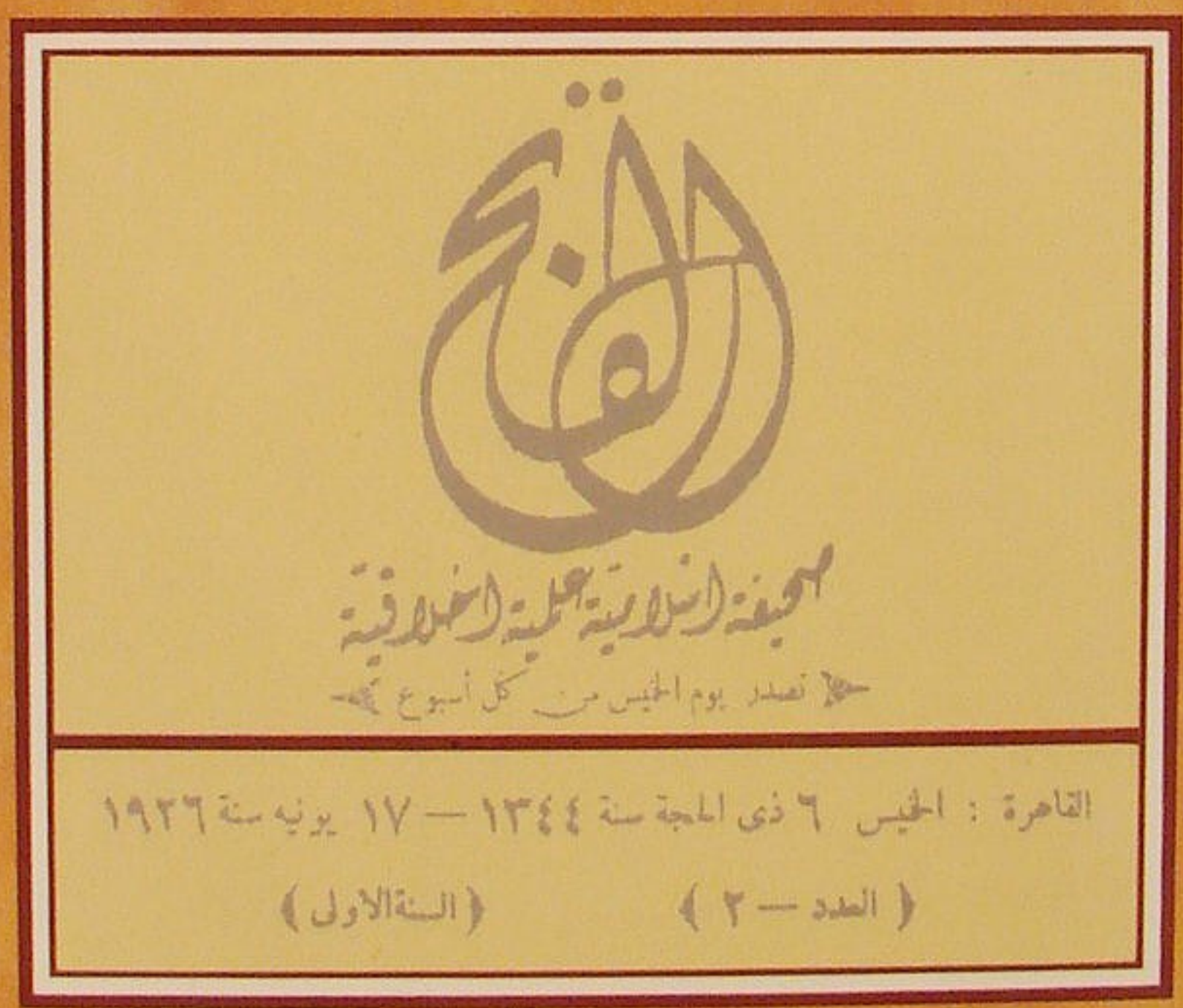
أفاق الثقافة والتراث

مجلة
فصلية
ثقافية
تراثية
مكتبية.

تصدر عن إدارة البحث
العلمي والنشاط الثقافي
بمركز جمعة الماجد
للثقافة والتراث.

السنة الأولى - العدد الرابع - شوال ١٤١٤ هـ، مارس (آذار) ١٩٩٤

يوجد
م وكل
يكون مثل
قته وأهل
١٠



صورة غلاف صحيفة الفتح المصرية

صاحبها والأقرباء
وغيره مما يكون لهم شرف ويصير البديع كثير ويحيون به
بارئ السلام

إلى السادة أصحاب الرسائل الجامعية

العليا و المعنيين بها

نظراً لاحتياج الباحثين من طلاب الدراسات العليا إلى مؤسسة مرجعية تجيبهم عن أسئلتهم قبل أن يشرعوا ببحوثهم ، فقد قام مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بإنشاء قاعدة معلومات على الحاسوب لرسائل الماجستير و الدكتوراة . والمركز شديد الحرص على ما بحوزته من رسائل لا يسمح بنشرها أو الاطلاع عليها إلا بموافقة أصحابها ، إلا أنه يقدم للباحثين بطاقات فهرسها الوافية .

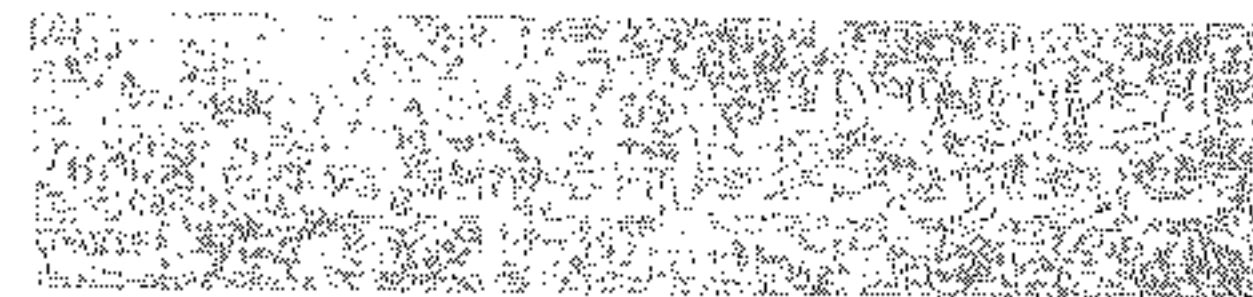
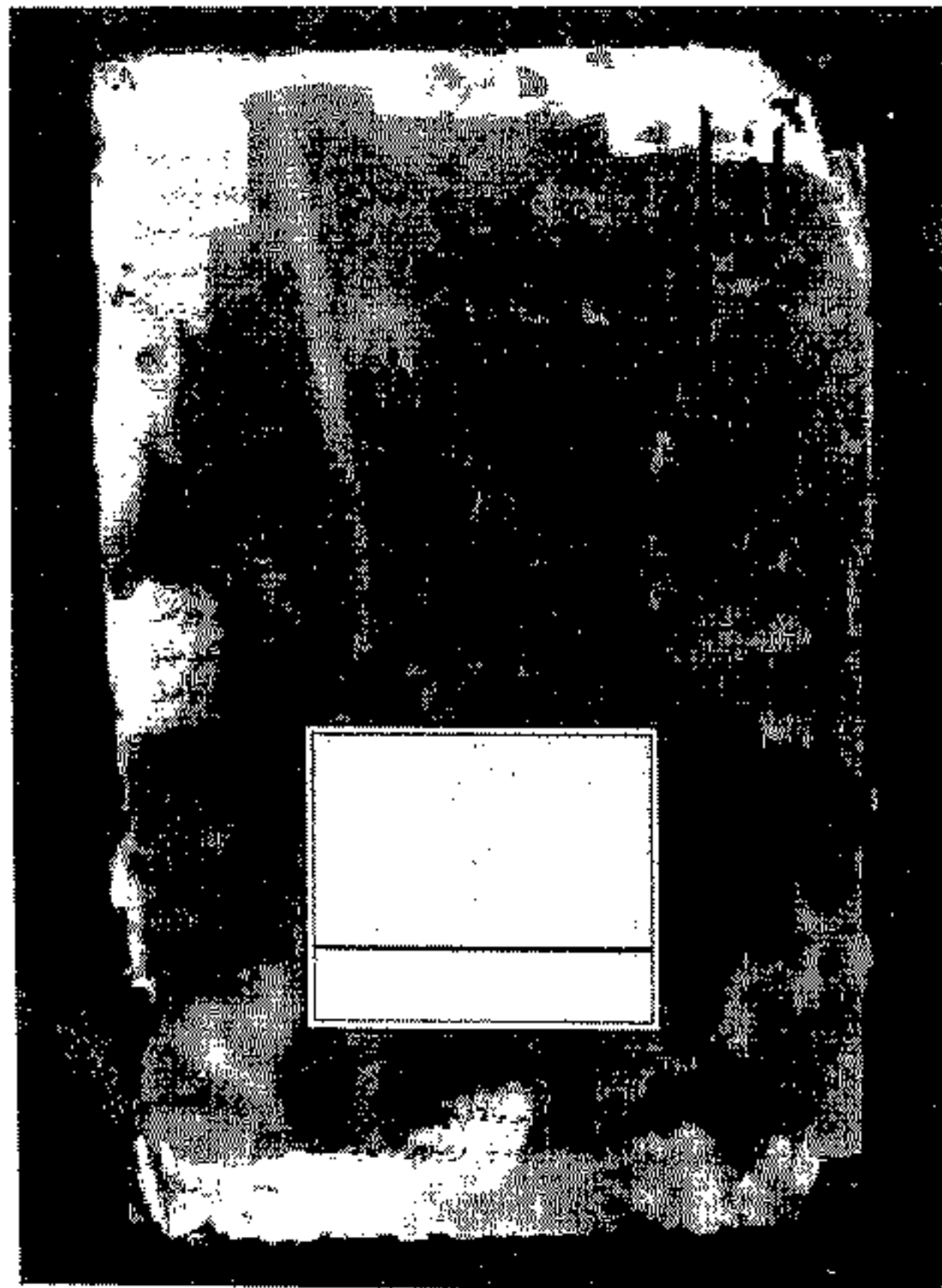
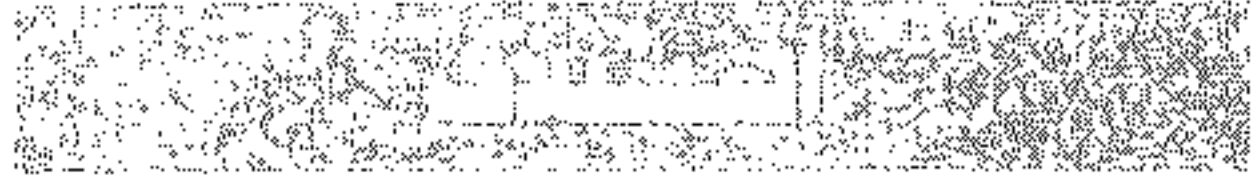
ولذا فإننا ندعو السادة أصحاب الرسائل العليا أن يقدم كل منهم نسخة من رسالة بحثه إلى المركز ليحتفظ بها و يدرج عنوانها و معلومات عنها ضمن قاعدة المعلومات المذكورة .

آفاق الثقافة والتراث

مجلة
فصلية
ثقافية
تراثية
مكتبية.

تصدر عن إدارة البحث
العلمي والنشاط الثقافي
بمركز جمعة الماجد
للثقافة والتراث .

السنة الأولى . العدد الرابع . شوال ١٤١٤ هـ، مارس (آذار) ١٩٩٤



إدارة التحرير

د. عبد الرحمن فرفور

مكاتب التحرير

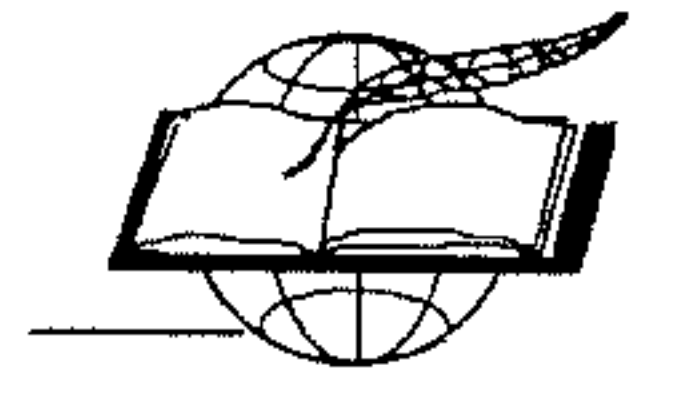
نزار أباطنة

هيئة التحرير

د. محمد مطيع الحافظ

مجاهد اللحام

محمد فاتح زغل



مجلة آفاق الثقافة والتراث

ص. ب. ٥٥١٥٦ دبي هاتف: ٦٢٤٩٩٩

فاكس ٦٩٦٩٥٠-٤-٩٧١-٩٧١ توكس ٤٦١٨٧ ARABB EM ا.ع.م

١٠٠

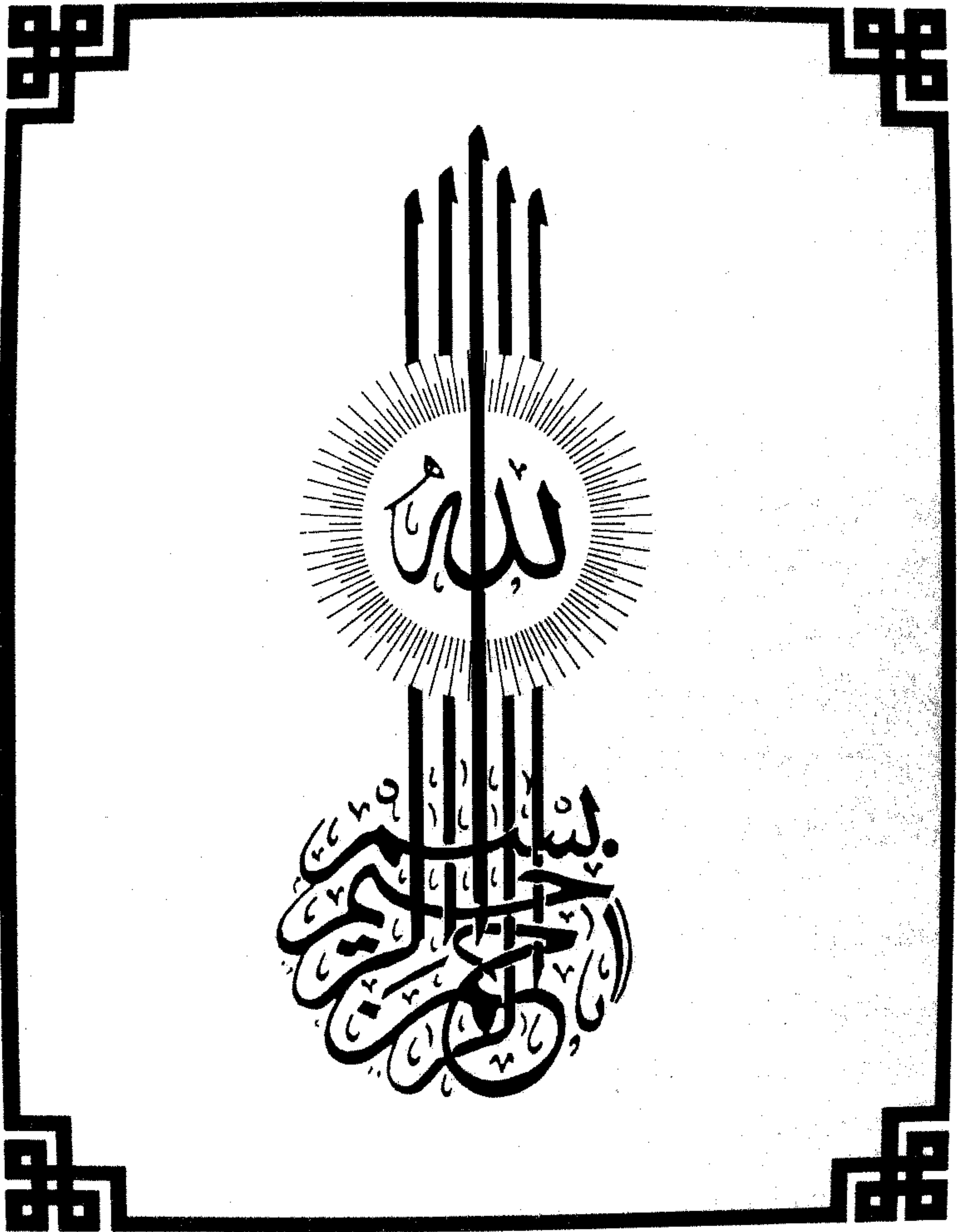
الاشتراك السنوي: داخل الإمارات: ٦٠ درهماً - خارج الإمارات: ٢٠ دولاراً أمريكياً

■ المقالات المنشورة على صفحات هذه المجلة تعبر عن آراء أصحابها.

■ ترتيب المقالات في المجلة يخضع لاعتبارات فنية

فهرس المحتويات

١٢-٨	د. عبدالسلام الترماني	■ مفهوم العدل في الشريعة الإسلامية.
٢٤-١٣	محمد فاتح زغل	■ لقاء مع الدكتور عبد الله عبد الدايم.
٣٨-٢٥	د. أحمد بسام ساعي	■ الوجه الآخر للموشحات من خلال الكشف الجديد لكتاب «عدة الجليس». (٢-٣)
٤٣-٣٩	د. مازن المبارك	■ صور حضارية من حياة ابن عساكر وكتابه «تاريخ مدينة دمشق».
٤٩-٤٤	د. ماجدة حمود	■ جبرا إبراهيم جبرا وقضية التراث الشعبي.
٥٤-٥٠	محمد المنوني	■ منوعات عن قصبة شالة وما إليها.
٦٤-٥٥	د. مسلم الزبيق	■ مخطوطات ابن الهائم الرياضية.
٧١-٦٥	د. حسن جلاب	■ تكريم النبوة في كتاب الشفا.
٧٧-٧٢	خالد عزب	■ علم المياه واستنباطها في الحضارة الإسلامية.
٩٥-٧٨	محمد حسن نوقلية	■ ابن الجزار القيرواني وحياته.
١٠٢-٩٦	محمد نذير الغريب	■ التعريف بمجلة أخبار دبي.
١٠٩-١٠٣	د. عايدة نصير	■ تطويع الفن لاكتساب مهارة القراءة للطفولة المبكرة.
١١٤-١١٠	قسم المجلة	■ الأخبار الثقافية الخارجية
١١٨-١١٥	رسالة دمشق	■ ندوة اتحاد الجامع العربية تناقش «معجم النفط»
١٢١-١١٨	قسم التوثيق	■ رحيل
١٢٧-١٢٢	قسم التوثيق	■ رسائل جامعية
١٣٥-١٢٨	قسم التزويد	■ اصدارات



المخطوطات والمسؤولية

لم تحظ أمة من الأمم بتراث فكري متميز في الشكل والمضمون كما حظي العرب والمسلمون؛ ذلك لأن أسلافهم الذين خلفوا هذا التراث انكبوا على العلم انكباب النهم، وانشغلوا بالبحث والدرس عن أمور حياتهم، وسيطرت المعرفة على عقولهم. ما تركوا علماء إلا القوافيه ولم يدعوا موضوعاً ذا بال إلا خصوه بالدراسة. حتى انهم أفردوا كتباً على حرف واحد ككتاب اللام وكتاب الضاد. بل وصل بهم الترف الفكري إلى أن وضعوا الفرضيات على المستحيلات وناقشوها، وشرحوا المتون وأقاموا عليها الكواشي والتقريرات، ثم اختصروا الشرح وشرحوا المختصرات. وما رواج صناعة الكتاب منذ زمن مبكر في أسواق بغداد ودمشق ومزاجتها أسواق الكهرمير والكتان سوى دليل كبير على اهتمامهم بالعلم. تلك الأسواق التي كانت تتنافس فيما بينها بصقل الورق وتحسين المخطوط وتزيين المخطوطات حين كان الغرب يكتب على الصلصال وكاد الأشجار.

تشير الإحصائيات إلى وجود ستة ملايين مخطوطة كتبت بالحرف العربي وجلها باللغة العربية.. وهذا ما يخاف من غوائل الدهر وعاديات الأيام، ناهيك عن المخطوطات التي اجتازت عليها خيول التتر نهراً وجلة والكتب التي أحرقت في ساحات قرطبة، ونفائس الأسفار التي دمرت مؤخرًا في مكتبة غازي خسرو بسراييفو. ويبدو أن ما كتب له البقاء لا يشكل سوى النزر اليسير مما خطه الأجداد. والمخطوطات الباقية في العالم اليوم ليست أكثر حفظاً من تلك التي أتت عليها الدواهي، فقد باتت كثير منها طعاماً للحشرات وعرضة للرطوبة والعفن. والذي سلم من هذه الآفات يصعب الوصول إليه، ولا يعرف جنباياه إلا الكحل القلب. بيد أن المخطوطات التي آلت إلى

بلاد العرب حظيت بالعناية والحفظ، وأبيحت للمطالعين بنظام معلوم. وقد ذكر لي أحد أمناء المخطوطات الغربيين أن مخطوطة عربية صورت مائتي مرة بجهات مختلفة وأفراد أكثر. ولئن كانت المخطوطات العربية عند الغربيين كذلك فما بالها عندنا محجوبة لا يصل إليها الباحثون؟

إن أسرار الدول والغزاهروب وخفايا السياسة تباح بعد ثلاثين سنة، أفلم يأن لتراثنا أن تخرج أسرارها إلى النور وقد مضى على كتابتها مئات السنين!

لقد حددت القوانين الناظمة لشؤون الثقافة في الوطن العربي فترة زمنية لحفظ الحقوق الفكرية تمتد إلى خمسين سنة بعد وفاة أصحابها... أفلا يجب أن تشمل هذه القوانين دفاً من الخطيات الراقدة في غياهب الخزان العربية؟

إن الوقت قد حان لكي يعيد أهل الكل والعقد حساباتهم، فيكسروا القيود المضروبة على المخطوطات، ويزيلوا العراقيل المفروضة على تصويرها، عندئذ يوفرون على الباحثين أموالاً تضيع وأوقاتاً تهدر في سبيل الحصول على صورة مخطوطة أو من أجل الوصول إلى معلومة عنها.

هل نعتبر نحن العرب والمسلمين بالكوارث التي نزلت بنا ونفقد من التقنيات الكهنية، فنحصل للمخطوطات صوراً في أكثر من مكان قبل أن تظهر محالكم تفتيش جديدة، وقبل أن يأتي هولاكو آخر يعاد مع التاريخ.

وبعد العز فزور

مفهوم العدل في الشريعة الإسلامية

د. عبد السلام التمانيني

عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة

الجور والظلم، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى: «وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان»^(١) وقوله: «وزنوا بالقسط المستقيم»^(٢) وقوله: «ونضع الموازين القسط ليوم القيامة»^(٣). والقسط هو القسمة بالتساوي أي العادلة، والقسطاط هو أضبط الموازين في تحقيق التساوي «العدل».

ويتحقق العدل بالقاعدة القانونية الملزمة، تقررها السلطة الحاكمة. وتختلف هذه السلطة باختلاف التفكير المثالي (الأيديولوجي) للأمة. إما أن يقررها الشعب الممثل بنوابه في النظام الديمقراطي، أو تقررها الدولة الممثلة بفرد أو حزب في النظام الاستبدادي، أو يقررها الإله في

العدل إحساس يبعث على الارتياح في النفس لكل ما يدفع الجور ويزيل الشعور بالظلم، ويتحقق بالمساواة. والمساواة تنصيف الشيء إلى نصفين، يتساويان إذا وقع فيهما التنصيف، بحيث لا يزيد أحد النصفين عن الآخر ولا ينقص، ولذلك قال الفقهاء المسلمون: إن العدل هو الإنصاف، أي التنصيف المتساوي، وقالوا: إنه التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط، وقالوا: إنه المساواة في كل شيء من غير زيادة ولا نقصان. ويتفق تعريف العدل في الشريعة الإسلامية وتعريفه في الشرائع الأخرى، وهو أن العدل يقوم على المساواة المحكمة. وقد اتخذ الميزان رمزاً له يتحقق بتساوي كفتيه، فإذا اختلفت كفتاه فهو

النظام الديني. فهي إذن إما أن تصدر عن الخالق أو المخلوق. والفرق بين القانون البشري والقانون الإلهي أن الأول يتأثر بمصالح البشر وأهوائهم، فلا يخلو من ظلم أو جور. أما القانون الإلهي فهو قانون عادل، والله هو القائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(٤)، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾^(٥)، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(٦). وعقوبته التي يقررها أو يتوعد بها ليست ظلماً، وإنما هي العدل ينال به الظالم جزاء يتناسب مع ظلمه. وبهذا العدل يتحقق الخير في المكافأة والعقاب. ولذلك عرف الإمام فخرالدين الرازي العدل بأنه القدر الواجب من الخير.

ومنذ أن وجد الإنسان في الجماعات القديمة حتى الآن نراه متعطشاً للعدل، فقد كان يعاني ظلم القوي، ثم أخذ يعاني ظلم القوانين البشرية المتأثرة بمصالح الفئة الحاكمة وأهوائها. وإن أعدل القوانين القديمة - كقانون حمورابي البابلي وقانون بوخوريس المصري وقانون مانو الهندي وقانون صولون اليوناني وقانون الألواح الروماني - كانت تفرق بين طبقات الناس في توزيع العدل ومعها قوانين القرون الوسطى. ولاتخلو أكثر القوانين المعاصرة من استئثار الطبقة الحاكمة بالمنافع والمصالح.

من أجل ذلك واجهت القوانين البشرية منذ

القديم تيارين: أحدهما فلسفي والآخر ثوري؛ أما التيار الفلسفي فإننا نجده في الآراء الفلسفية المختلفة التي كانت تضع معايير للمشرع الذي يجب أن يناط به إصدار القوانين، وذهب بعضها إلى أن المشرع هو الحكيم (الفيلسوف) وأن الحكماء هم أصحاب الحق في التشريع. ويرى آخرون أن الأغلبية العددية في الأمة هم أصحاب الحق في التشريع. واتهم فريق من الفلاسفة القوانين البشرية - مهما حققت من عدالة - بالظلم والجور، ودعوا إلى الأخذ بقانون الطبيعة، وهو القانون العام الشامل الذي تتساوى في أحكامه جميع المخلوقات، وارتقى الخيال ببعضهم إلى تصور مدينة يحكمها هذا القانون، يسودها العدل وتغمرها السعادة أسموها المدينة الفاضلة أو الفردوس المفقود.

أما التيار الثوري فإننا نجده في تلك الثورات التي يحدثنا التاريخ عن بعضها ويُغفل الكثير منها، حتى قيل إن التاريخ سجل لصراع العدل ضد الظلم، يرمي إلى تبديل مجتمع تسنده قوانين جائرة، وهو صراع مستديم، فإما أن يزيد المنتصر في ظلمه أو ينقلب إلى ظالم، وفي كلا الحالين لا يتحقق العدل، ويبقى القانون الملزم هو قانون الجانب الأقوى، لأن القوة لا يمكن أن تلهم العدل.

وينتج عن ذلك أحد أمرين: أن يستسلم الجانب الضعيف وقد يكون هو الأغلبية

الكبيرة ويقبل قانون القوي، أو أن يتربص بالقوي ويتحين الفرصة للثورة عليه. والاستسلام من شأنه أن يسلب الأمة كرامتها وعزتها، ويشيع فيها التزلف والنفاق ابتغاء مرضاة الحاكم. والثورة من شأنها أن تشغل الأمة بالدسائس عن العمل المنتج، وتغمرها في جو من القلق النفسي والاضطراب الداخلي يشل نشاطها، ويفتح فيها ثغرة لعدو خارجي يتربص بها الدوائر، ويثير فيها الفتن ويسخرها لمصالحه وأهوائه. وفي الماضي والحاضر أنماط من هذه المشاهد تغنيننا عن ضرب الأمثال.

ومن هنا نرى أن مفهوم العدل في النظم والشرائع البشرية يقوم على القوة، وهو مفهوم يختلف عنه في الشريعة الإسلامية، ويرجع ذلك إلى الاختلاف في معيار القوة.

ومن المسلم به أن القوة ظهير الحق، والإنسان من طبعه الاستئثار. فإذا ترك لطبعه فلا ينصاع للحق، ولا يسلم به إلا إذا أكره عليه. ومعيار القوة في النظريات والمذاهب الغربية هو القوة المادية التي يبتدعها العقل الإنساني. والإنسان في مفهوم تلك النظريات والمذاهب من خلق الطبيعة، والطبيعة في نظرها قدرة صماء مجردة عن الإدراك والتدبير، عاجزة عن كبح جماح الأهواء والشهوات. ومن أجل ذلك بقي العقل هو وحده المتسلط تتقاذفه الأهواء بما يشتهي. وقد سعى الفلاسفة

والحكماء لوضع مبادئ أخلاقية تقيّد سلطان العقل، غير أنها عجزت عن التغلب على سلطانه المتحكّم بقدرته المطلقة، وبقيت القوة وحدها هي المعيار الأصيل في تسوية كل نزاع بالقهر والإكراه.

وأضحى العدل رمزاً للإحساس المكبوت، وأملاً حلواً يتردد صدها على لهوات الشعراء، وينعكس في خيالات الفلاسفة وآراء المفكرين.

أما الإسلام فقد جعل معيار القوة الإيمان بقدره الله لا بقدره الإنسان، وجعل العقل كاشفاً لهذه القدرة، فالإيمان بقدره الله هو ظهير العدل، وبه يتساوى الحاكم والمحكوم في الخضوع لها، وبذلك تزول فوارق القوة بجميع مظاهرها المادية والمعنوية، وتكون عوناً صادقاً ونزيباً للعدل في حماية الحق والقيام بالواجب.

فالإيمان إذن هو خضوع مطلق لقدرة الله ومراقبته، يلازم القلب والعقل والضمير، ويشحذ الإحساس بالعدل عند الحاكم والمحكوم، وبه يكتمل المثل الأعلى في حياة كريمة يتساوى فيها المؤمنون، ولا يخشون فيها جوراً ولا ظملاً.

فقد روي أن عامل حمص كتب إلى الخليفة عمر بن عبدالعزيز يستأذنه في تسوير المدينة، فأجابته: «سورها بالعدل». وفي هذا القول حكمة بالغة في سياسة الحكم، فالعدل من شأنه أن يقيم بين

الحاكم والمحكوم تحالفاً وتآلفاً، تقف الأمة من ورائه عصبية قوية للدفاع عن حقوقها، وتكون هي السُّور المنيع لرد الاعتداء. والظلم من شأنه أن يقيم فجوة بين الحاكم والمحكوم، لا تنفع معه الأسوار والحصون. لهذا كان الإيمان بقدره الله الأساس الذي يقوم عليه مفهوم العدل في الشريعة الإسلامية، وهو معيار داخلي كامن في النفس، مستقر فيها، يقوم على اعتبار الإنسان جزءاً من هذا الكون الكبير الذي أبدعته قدرة عاقلة مدركة عليمه حكيمة مدبّرة مبصرة، وهي التي وهبت الإنسان الحياة والحرية، وضمنت له حمايتها بقضائها العادل المحتوم.

من هذا المنطلق اختلف مفهوم السلطة في الإسلام عن مفهومها في المذاهب والنظريات. فمفهوم السلطة في الإسلام مستمد من مفهوم الإيمان، وهو مفهوم واحد يشمل الأفراد والمجتمع والدولة ويشمل الحاكم والمحكوم. ونظرية الحكم في الإسلام تقوم على اعتباره تكليفاً بعبء يجب أن يتحمله أشد الناس إيماناً وأكثرهم خشية وخضوعاً لله تعالى وأقواهم على حفظ حقوق العباد، وبذلك يكون المحكوم في مأمن من عسف الحاكم واستبداده؛ فقد روي أن عمر بن الخطاب قال لأبي مريم الحنفي، وكان قتل زيداً بن الخطاب أخا عمر في حرب بني حنيفة المرتدين سنة ١١ للهجرة: «والله لا يحبك قلبي أبداً حتى تحب الأرض الدم».

فقال أبو مريم لعمر: «ياأمير المؤمنين، هل تمنعني حقاً لذلك؟» قال: «لا». قال: «إذن فحسبي». من ذلك نرى أن الإيمان هو ينبوع الصافي الذي يستمد منه الحاكم سلطته لتوفير العدل. وبهذا تختلف طبيعة السلطة في الإسلام عن طبيعتها في المذاهب والنظريات الدستورية. فالحكم في الإسلام ليس ديكتاتورياً يستقل به فرد أو مجموعة من الأفراد، وليس ديموقراطياً خالصاً بمعنى أن الأغلبية تقرر ماتشياء، وإنما هو نمط فريد مستمد من طبيعة الإيمان المستقر في الضمير، فهو في حقيقته سلوك مفروض على الحاكم والمحكوم، يصدر عن العقل المؤمن ليكون محققاً لمصالح الفرد والمجتمع على أساس من المساواة. من أجل ذلك لا يمكن التفريق في الشريعة الإسلامية بين حقوق الحاكم وحقوق المحكوم إلا من حيث توزيع السلطة التي يقتضيها تنظيم الدولة. ومن أجل ذلك اختلفت سمة العدل ومفهومه في الإسلام عن ستمه ومفهومه في الشرائع الأخرى. ولما كان كل من الحاكم والمحكوم مرتبطاً برباط واحد هو رباط الإيمان بشريعة الله، فمن المسلم به ألاّ يحيد الحاكم في تطبيقها عما تقضي به، وأن يقبل المحكوم بحكمها؛ لهذا كان التفقه بأحكام الشريعة علماً مفروضاً، ليلزم كل فرد نفسه بالحق بقوة الإيمان لابقوة السلطان، ليكون هو القاضي على نفسه فيما لها أو عليها. وفي مدينة الرسول العظيم

صلى الله عليه وسلم لا في المدينة الفاضلة التي تصوّرُها الفلاسفة نرى الناس يسألون عن حكم الله، ويسلمون به دون خصومة. وفيها نرى رجلاً يسعى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيقر أمامه بالزنا، ويطلب منه أن يطهر نفسه الآثمة. وبذلك جعل الإسلام العدل منزهاً عن الهوى، بريئاً من العصبية، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا. وَإِن تَلَوْا أَوْ تَعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾^(٧). وقد روى الواحدي في كتابه «أسباب النزول» السبب في نزول هذه الآية أن رجلين أحدهما غني والآخر فقير، اختصما إلى النبي صلى الله عليه وسلم فضع مع الفقير (أي مال إليه) ورأى أن الفقير لا يظلم الغني، فأبى الله تعالى إلا أن يقوم بالقسط، وأن ينظر في القضية نظرة موضوعية لا نظرة شخصية، لكن أن يكون

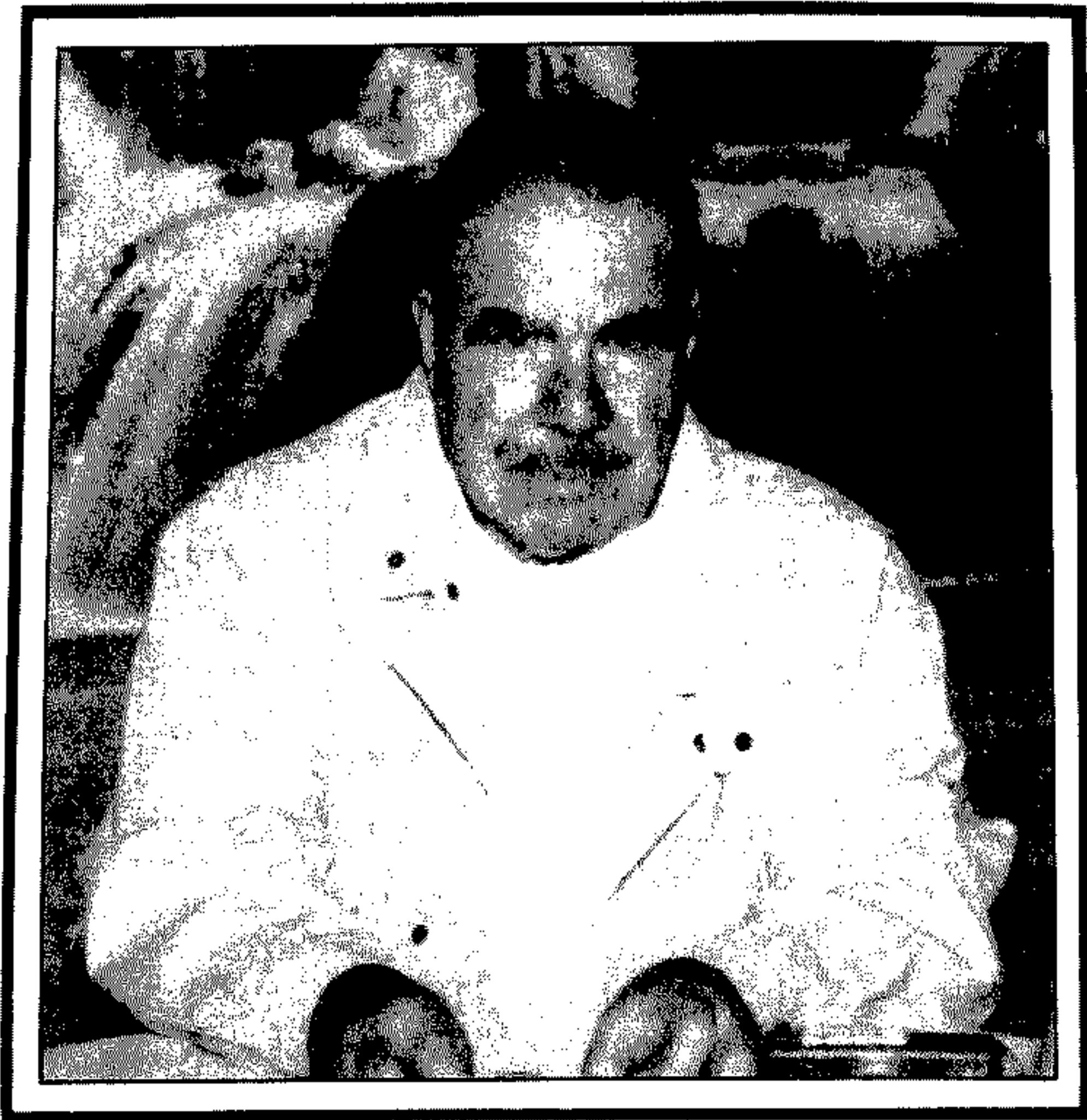
أحدهما غنياً والآخر فقيراً فالله أولى بهما^(٨).

فالعادل إذن يتحقق بحكم الشرع أو القانون، ويتحقق بحكم الإنسان على نفسه بدافع من الإيمان، فكل ملتزم بعقد يجب أن يفي بالتزامه عملاً بالأمر الإلهي: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾^(٩) فالله سبحانه وتعالى يخاطب المؤمن بواجب الوفاء بدافع من إيمانه، وبه يحق الحق ويحكم على نفسه بالعدل، وبه تتمثل شخصية الإنسان الكامل.

وكما يقضي الإيمان بأن يعدل الإنسان مع غيره، فإنه يقضي بأن يعدل مع نفسه، وأن يحافظ على حياته بالحفاظ على بدنه، فيمده بكل مايمده بالقوة العقلية والبدنية، فلا يرهقه بما يضره، ولا يتناول ما يضره ويؤذيه، فإن فعل ظلم نفسه ووجب عليه إن كان مؤمناً أن يعدل معها، وبهذا كله نجد الإسلام قد ضمن بالإيمان سلامة الفرد والمجتمع، ليجعل من المسلمين خير أمة أخرجت للناس. ■

الحواشي :

- ١ - سورة الرحمن ، الآية ٩ .
- ٢ - سورة الشعراء ، الآية ١٨٢ .
- ٣ - سورة الانبياء ، الآية ٤٧ وتمامها: «... فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين» .
- ٤ - سورة يونس ، الآية ٤٤ .
- ٥ - سورة النساء ، الآية ٤٠ وتمامها: «... وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً» .
- ٦ - في سورة آل عمران ، الآية ١٨٢: «ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد» . وفي سورة الحج ، الآية ١٠: «ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد» .
- ٧ - سورة النساء ، الآية ١٣٥ .
- ٨ - أسباب النزول للواحدي، تحقيق السيد أحمد صقر، ط ١٣٨٩ / ١٩٦٩ .
- ٩ - سورة المائدة ، الآية ١ وتمامها: «... أحلت لكم بهيمة الانعام إلا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وأنتم حرم إن الله يحكم ما يريد» .



لقاء مع الدكتور

عبدالله عبدالعظيم

حاوره: محمد فاخر زغل

«أشعر ولأننا في خاتمة الدرس، أن علي أن أبدأ من جديد
ولأن الألف كحار تزوج في صدي علي خير قول أبي حنظ - فلا أوري
لها أختار... أجل أشعر أنني في أوفس الإنسان العربي حقه من
عظامي، ولأن عسدي الكسبر ما أجسه عنه، ولأن الألباس أضيف
من ألباسه ورؤاي».

«عبدالله عبدالعظيم»

■ كانت لفتة كريمة وطيبة تلك الزيارة التي قمتم بها أنتم وضيوف جائزة سلطان بن علي العويس الثقافية إلى مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي، هذا الصرح الثقافي الذي أراده مؤسسه أن يكون قدوة لتكون لنا في كل المدن العربية والإسلامية صروح ثقافية تقول للأجيال ما كان من الأجيال، وللأحفاد ما كان من الآباء..

ما انطباعاتكم التي سجلتموها عن هذا الصرح الثقافي..؟

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث يحدث عن نفسه، والزيارة التي قمنا بها أفسحت وكشفت عن جوانبه المتعددة، ونشاطاته القابلة للتطور التي نرجو لها النجاح والتقدم والاستمرار؛ ومن الحق أن نقول إن الإنسان ليعجب وهو يرى مثل هذا الجهد الذي يريعه فرد وينهض به وحده في ميدان الثقافة من خلال هذه المؤسسة، ترى هل بدأنا عصرًا جديدًا في ميدان الحضارة والتقدم..؟

إن أبرز سمة من سمات الحضارة هي الاهتمام بالثقافة والعناية بها، وعندما نجد هذه الأزهار الثقافية المتفتحة هنا وهناك في عالمنا العربي، التي تظهر أحياناً عفو الخاطر وتفاجيء الناس، ندرك أن صفحة جديدة في حياة الأمة العربية قد

**ترى هل بدأنا
عصرًا جديدًا في
ميدان الحضارة
والتقدم..؟**

فتحت، وهذا يدعو لآمال كبيرة في الثقافة فكل شيء ينفد إلا الثقافة، الثقافة هي العمل الباقي، هي الشجرة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء، فهي تعني الإنسان.. تعني التأثير في الإنسان.. بل تعني توظيفه واستخدام طاقاته واستخراج قواه وإمكاناته إلى أقصى مدى كي يسهم في بناء أمته.

إن بناء الحضارة يستلزم أول ما يستلزم إيماناً بالهدف، وحماسة من أجل هذا البناء، وهذا لا يتحقق إلا بالثقافة. قد تقوم المصانع، وقد تنشأ المزارع، وغير ذلك من المؤسسات المادية، غير أن إقبال الناس على العمل في هذه المجالات جميعها أمر ثقافي، أمر تضطلع به الثقافة، بل إن مواقف الناس واتجاهاتهم وأنماط سلوكهم ونظرتهم إلى الكون والحياة ومدى اكتراثهم وعدمه هي التي تتحكم في نهاية الأمر في أية نهضة من النهضات.

فالثقافة هي العنصر المغذي لكل عطاء، وهي جوهر الحضارة ومحركها، وبدونها لا تكون حضارة فاعلة، وغايتها في النهاية العمل من أجل الإنسان وخدمته، وهذا مطلب الثقافة التي تعمل على توليده وإعطائه معنى، وغايته الإنسان. الحديث يطول.. وماهي إلا شجون وشؤون خطرت لي وأنا أنظر إلى هذه المؤسسة

الرائعة وإلى هذه البدايات المبشرة بالخير في مجال العطاء الثقافي ويحلو لي أن أردد بيتاً قديماً يحضرنى بهذه المناسبة.

يبني الرجال وغيره يبني القرى
شبان بين قرى وبين رجال

■ في كلمتكم التي أقيمتوها عند تسلمكم جائزة سلطان بن علي العويس الثقافية انتهيتم فيها إلى أن الثقافة هي وسيلة التنمية وغايتها.

في ضوء هذا المفهوم سيكون لكل تنمية ثقافة محددة، ومن طبيعة الأمم والشعوب أن تدافع عن هويتها الثقافية لتأكيد ذاتها.. وأرى أن هذا الدفاع سيجعلها منكمشة ومنغلقة.

هل تتوقعون أن تنفرد الأمم والشعوب بهذه الخاصية فتكون ثقافة وتنمية خاصتين بها؟ أم ترون أن تعمل كل ثقافة على أن تندمج في التجارب الثقافية الأخرى مولدة مركباً أصيلاً وجديداً..؟

■ هذا السؤال لعله يحتل المنزلة الأولى في عصرنا الآن من خلال واقع هذا العصر ومشكلاته، وعدم اهتدائه إلى صيغة إنسانية سليمة.

وسأبدأ بالإجابة عن التنمية وهو الشق الأول من السؤال..

قبيل الحرب العالمية الثانية وبعدها برز اتجاه يدعو إلى التوظيف والاستثمار في الإنسان ويؤكد حقيقة - كانت تعد

جديدة - مفادها أن رأس المال الإنساني هو أثمن وأعلى رأسمال، بل هو أكثر رؤوس الأموال عطاء وإنتاجاً؛ وقامت دراسات في أمريكا وإنكلترا وفرنسا بشكل خاص (دينسون.. Deneson وغيره) بحثت في نمو الدخل القومي وعناصره، وكشفت عن حقيقة مفادها أن أهم عامل في الدخل القومي هو العامل الإنساني، وهو عامل إعداد وثقافة وتربية - إعداد العمال وتربيتهم - ونتج

عن ذلك الاهتمام بالتخطيط التربوي الثقافي إلى جانب التخطيط الاقتصادي والاجتماعي الشامل. ولم يعد التخطيط الاقتصادي قاصراً على نفسه فقط - كما كان شائعاً - بل أصبح التخطيط للتنمية جزءاً لا يتجزأ من التخطيط الشامل، وأصبح أي تخطيط شامل يقصر عن مداه

إذا لم يرافقه تخطيط للتنمية؛ أي للعامل البشري نفسه. وهذه مرحلة أولى. ثم خطا القوم مرحلة ثانية، فمن أجل أن يكون للإنسان دور كامل في التنمية، لابد من الثقافة، ولابد من تنمية الثقافة بالمعنى الواسع للتنمية. وبدأ الاهتمام بمواقف الناس واتجاهاتهم ونظرتهم إلى الحياة، بالمعنى الواسع للثقافة - المفهوم

الثقافة هي العمل الباقي، هي التجربة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء، فهي تمنى الإنسان.. تمنى التأثير في الإنسان..

الأنثروبولوجي - بل لأنماط السلوك المادية والمعنوية السائدة في مجتمع من المجتمعات، التي تميّزه عن سواه.. وهكذا بدأ الاهتمام بالثقافة وسيلة أساسية من وسائل التنمية. وبدءاً من مؤتمر مكسيك - بشكل خاص - خطا القوم خطوة ثالثة، فقالوا: من أجل التنمية لا بد أن تكون هناك ثقافة مواتية، بل ينبغي لتحقيق التنمية على الوجه الأفضل أن تكون الثقافة وسيلة التنمية؛ بل غايتها أيضاً.. وهي القفزة الأساسية والرئيسية.

ولقد كشفت تجربة البلدان المختلفة

بصورة خاصة وتجربة البلدان النامية أن كل الجهود التي بذلت في مشروعات صناعية أو زراعية تربوية أو في توظيف الأموال لم تؤد إلى ما ينبغي أن تؤديه من المستوى الحضاري للإنسان، بل وإنما كثيراً ما كانت

تتم على حساب الإنسان... ولذلك ظهر هذا الشعار بأن الثقافة هي غاية التنمية وليست وسيلتها فقط.. بل هي وسيلتها وغايتها في آن معاً.. وفي الاجتماع الأخير الذي عقد الشتاء الماضي للجنة التربية من أجل التنمية أو ثقافة من أجل التنمية برئاسة «دي كويلار»، نوقش هذا الموضوع بعمق.. وانتهى إلى ضرورة

ينبغي لتحقيق التنمية على الوجه الأفضل أن تكون الثقافة وسيلة التنمية؛ بل غايتها أيضاً..

وضع عقد جديد هو العقد الثقافي، بمعنى أن يتعاقد الناس على أن تكون الثقافة هي غايتهم وليست المادة أو الآلة، بل إننا نقرأ على لسان «دي كويلار» مامفاده «أن مهمتنا ليست سيطرة الإنسان على الآلة، أو سيطرته على المجتمع، بل إن المهمة تكمن في السيطرة على السيطرة» وهذا معنى عميق جداً. لقد غدا تحكّم الآلة، والتكنولوجيا، وتحكّم المعلومات نوعاً من السلطان المفروض على الإنسان يكاد يعصف به.. والمطلوب هو السيطرة على السيطرة.. ولقد بين «توفلر Toffler» في كتابه «ثورة المستقبل» معنى ذلك فقال: «إننا في حاجة إلى ثقافة وحضارة توضع من أجل الإنسان، لا يضعها (البيروقراطيون) أو الصناعيون، وإنما تضعها مجموعة من الكفاءات من أجل الإنسان نفسه».

إننا بحاجة إلى ثقافة الإنسان أولاً وقبل كل شيء، ونحن في غنى عن تقديم لا يأخذ باعتباره حياة الإنسان، فالتقدم ليس غاية بحد ذاته، وإنما الغاية هي الإنسان.. والتقدم فيه خير متقدم وشر متقدم، وعلينا أن نعرف كيف نضبط هذا وذاك، ونسيطر على هذا وذاك، وهذا لن يتأتى إلا بالثقافة، فتعود المسألة من جديد مسألة ثقافية...

أما الشق الثاني من الإجابة المتعلق بالثقافة

القومية فأرى أن الثقافة القومية ليست اكتشافاً، وإنما هي بناء.. لو كانت الثقافة اكتشافاً، أو كانت مجرد الطبقات الجيولوجية الماضية لأمة من الأمم لصح ماقلت.. ولوقعنا في إشكال الثقافات التي تتفوق على نفسها وتتصارع؛ لكن الثقافة ليست اكتشافاً، كما أنها ليست عودة إلى الماضي، بل هي بناء نبني من مقومات أساسية، والتراث أحد هذه المقومات، بل هو منّا وفينا لانستطيع أن نخلعه، لكن بعد أن نجدده وننضو عنه ما علق به من شوائب، ونحيي ونبرز قيمه الحية.

والعنصر الثاني من عناصر الثقافة هو الحاضر.. الحاضر الذي نحن فيه يولد ثقافة معينة، ولا أعني بذلك (العادات والتقاليد وغيرها)، فهذه تتغير حكماً تبعاً لتغير الزمن، بل هي الأفكار والمفاهيم السائدة، فالثقافة التي كانت شائعة في عصر جرير والفرزدق مثلاً هي ليست من ثقافة اليوم، وإن كنا لانزال حتى الآن نتلقف الكثير من ثقافات ذلك العصر بعجره وبجره.. قادمي إلى هذا الكلام جملة الفرزدق لجرير عندما هجاه بأنه القين وابن القين في قوله:

إني بنى لي في المكــــــــــــارم أولي

ونفخت كيرك في الزمان الأول
إذ لا يزال هذا المفهوم سائداً في بعض بلادنا

العربية حتى يومنا هذا ويعتبر بعضهم المهنة امتهاناً. فهذه الرواسب كما يقول بقيت واستمرت رغم زوال الأسباب التي دعت إلى استمرارها، فلا بد إذن من ثقافة حديثة، تأخذ الإنسان بعين الاعتبار.

والعنصر الثالث من عناصر الثقافة هو المستقبل.. نحن لسنا منفعلين مع هذه الثقافة، بل فاعلون أيضاً، ونريد أن نبني ثقافتنا بحيث تصلح للقرن الحادي والعشرين.. ومتطلبات

هذا المستقبل قد تتطلب مواقف وقيماً جديدة، وفكراً وأسلوباً متطورين.

والعنصر الرابع والأخير من عناصر بناء الثقافة هو العالم حولنا، نحن لسنا في عزلة عن العالم، ولو أردنا ذلك لما أمكن. وهناك جوانب إيجابية كثيرة في الحضارة العالمية لا بد أن نتفاعل معها لأنها جزء من البناء الثقافي، فنحن لسنا منغلقيين. ولا ماضويين فقط فنغلق الأبواب دون المستقبل، ولسنا كذلك المستقبل، فننقطع عن الماضي. نحن نأخذ الأمور بواقعها، ونبني ثقافتنا من عصارة هذه

إننا بحاجة إلى ثقافة الإنسان أولاً وقبل كل شيء، ونحن في غنى عن تقديم لأخذ باعتباره حياة الإنسان، فالتقدم ليس غاية بحد ذاته، وإنما الغاية هي الإنسان..

نريد أن نبني ثقافتنا بحيث تصلح للقرن الحادي والعشرين.. ومتطلبات هذا المستقبل قد تتطلب مواقف وقيماً جديدة، وفكراً وأسلوباً متطورين

الأشياء جميعاً.

■ في العالم اليوم جدل مستمر حول النظام العالمي الجديد، والمساهمة العربية حول هذا الجدل تبدو محدودة، وكذلك هي حال مساهمة بلدان العالم الثالث.. في هذه الحالة هل سيتحقق الحوار المطلوب..؟ حوار الحضارات لتقديم صيغ حضارية من أجل الإنسان؟

■ جوهر السؤال عندي : أيهما أكثر عطاء

للإنسانية والإنسان: القومية

أم العالمية..؟

هناك اتجاهات تفرضها دول

كبرى تقول بالاتجاه العالمي

الشامل، وتزعم أن هذا الاتجاه

هو الاتجاه الإنساني المطلوب.

ولأريد أن أطيل الحديث فيه

- فقد غدا من المعروف أن هذا

الاتجاه العالمي وفي مجالاته

كلها سواء في الإعلان أو في

الاقتصاد أو في المال أو في

التكنولوجيا أو في الثقافة.. إلخ

- بدأ يظهر ضعفه، وبدأت

ترفضه كثير من الدول

المتقدمة، بل يرفضه كثير من الداعين له،

إذ بدؤوا يرون فيه شكلاً جديداً من

أشكال الهيمنة الثقافية.. هيمنة الدول

الأقوى على الأضعف، فباسم العالمية

فالإنسان لا يفتح

إنساناً كاملاً إلا

في هوائه

القومي، وفي

تربيته القومية،

ولا يعطي كامل

عطائه إلا من

خلال حياته

القومية، ومن

أجل بناء

مشروعه القومي،

أو حضارته

القومية.

تهيمن دولة أو دول على العالم، أما الإنسانية والإنسان واحترام الإنسان، وديمقراطية الإنسان.. فإنني أعتقد أننا نبتعد عنها في إطار هذه العالمية يوماً بعد يوم، فلا هي قائمة في حدود هذه الدول - كما نعلم - ولا هي قائمة خارج حدود هذه العلاقات بين الدول.. أما الاتجاه القومي فهو بحكم التعريف اتجاه إنساني بمعنىين:

الأول أن الإنسان لا يعطي كامل عطائه إلا

من أجل كيان يؤمن به، وأمة يشعر

بالارتباط بها، وبتقافتها وحياتها

ومستقبلها ومصيرها، فكما أنه يعمل من

أجل أسرته، ومدينته، فهو يعمل بعد ذلك

في إطار اتساع هذه الحلقات عبر التاريخ،

من أجل أمته التي يرتبط بها بأشياء

كثيرة أهمها التراث والمستقبل والمصير،

فالإنسان لا يفتح إنساناً كاملاً إلا في

هوائه القومي، وفي تربيته القومية،

ولا يعطي كامل عطائه إلا من خلال

حياته القومية، ومن أجل بناء مشروعه

القومي، أو حضارته القومية.

والمعنى الثاني أن القومية في بلدان العالم

الثالث وفي البلاد العربية خاصة لم تكن

لتعني ولا يمكن أن تعني التفوق أو

التسلط أو الشوفينية أو الاستعلاء. نحن

لأنقول باستعلاء أمة على أمة ولأنقول

بالشوفينية أبداً، ولأنقول بالعدوان بين

الأمم، بل على العكس نحن نؤمن بأن قيام الحياة القومية السليمة في أي أمة من الأمم من شأنه أن يجعلنا نصل إلى حضارة عالمية تتألف من مجموعة من القوميات المتعاونة والمتفاعلة والمتحاورة من أجل الإنسان وسعادة الإنسان، وأعتقد أنهم عندما يتحدثون عن حوار الحضارات لا يعنون شيئاً غير ذلك. وعندما قام العرب في ماضيات أيامهم، لاسيما في عصر الترجمة والتأليف بمزج الثقافات، والاقْتباس من الدول المختلفة وضمها إلى تراثهم الأصيل، فإنما أغنوا الإنسانية بذلك كما اغتنوا هم بذلك التراث.

■ التربية والثقافة صنوان لايفترقان، والحديث عن التربية ذو شجون.. بين حدودها التي لا بد أن تقف عندها.. وبين وعودها التي تبشر بها. ترى وبحكم عملكم في هذا المجال - هل نغلو إذا قلنا إن التربية بين الحدود والوعود ظلت دون جدوى..؟

■ أنت تدرك من العنوان.. التربية بين حدودها وعودها أن ثمة مشكلة في الأصل تكاد تكون نظرية وهي التساؤل - هل يستطيع النظام التربوي أن يغير البلاد والعباد..؟ نحن ننظر إلى الأمور في كثير من الأحيان نظرة أحادية، أو نظرة العميان إلى الفيل الذين لمسوا الفيل وكل

واحد وصفه بالجزء الذي لمسه.. نظرنا نظرة أحادية، ذلك أنه عندما تتعقد الأمور وتسوء الأوضاع يلتفت الناس إلى التربية، وهذا جيد في حد ذاته، ولكن ألا نكون قد حملنا التربية فوق ماتحتمل؟ نحن ندرك شرط التربية، ولكن لانغلو في هذا الشرط، إذ ينبغي أن نعرف حدودها وعودها، وتختلف النظريات في هذه الحدود، ولا أريد أن أبحث بحثاً نظرياً، لكن هناك من قائل إن التربية عاجزة عن تغيير المجتمع وإنها خاضعة له،

نظرنا نظرة أحادية، ذلك أنه عندما تتعقد الأمور وتسوء الأوضاع يلتفت الناس إلى التربية،

وكما يكون المجتمع تكون.. بل إنها تعيد توليد النظام الاجتماعي الذي ولدها ذاته، وهذا ما قال به «بارت Ba-rthes» وبعض علماء الاجتماع بفرنسا مثل «بودو Budaeus»، وغيره» الذي ألف كتاباً عن التربية بعنوان «إعادة التوليد».

ويرى هؤلاء أن التربية لاتعدو أن تعيد توليد النظام الاجتماعي الذي أوجدها.. وطرف آخر يقول بعكس ذلك تماماً وهو أن التغيير والتطوير إما أن يأتي على يد التربية وإما أن لا يكون.. التربية عندهم. وحدها هي التي تستطيع أن تغير، بل إن بعض المغالين في هذه النظرة وأصحاب التربية المؤسسية أمثال «روجيرز Rogers» وأتباعه خاصة..

يرون إن التربية هي القضية وحدها. إن لم تنتظر التغيير من التربية فإن علينا أن لاننتظره من أي مجال آخر..

وهناك رأي توفيق بين الرأيين.. يقول بتأثر التربية بالمجتمع وبتأثيرها فيه، ولعل الموقف الصحيح هو الموقف الثالث بعد إجراء بعض التعديلات عليه.. التربية تؤثر وتتأثر.. هنالك صلة دائرية وليست صلة خطية بين التربية وبين المجتمع.. هنالك أخذ وعطاء.. فدور التربية قائم دون شك ويختلف قوة وضعفاً باختلاف الأحوال والظروف والعصور.

فمن حقنا إذن أن نتحدث عن وعودها.. فالتربية التي تعدنا بما تعدنا به والقادرة على تغيير المجتمع بالتفاعل معه ليست أي نوع من التربية، وهذا جوهر الأمر وبيت القصيد.. ليست أية تربية أداة للتنمية، وليست أية تربية أداة

للتطوير والنهضة، بل قد تكون التربية ضد التنمية وضد التقدم وضد التطوير، أي أن تكون محبطة. وهذه أيضاً حقيقة أخرى ينبغي أن تقرب إلى أذهاننا، نحن بتعبير آخر لانستخرج من الأشياء إلا مانضعه فيها.. وإذا تركت التربية وشأنها فإنها لاتأتي بالمن والسلوى،

ينبغي إذن أن تكون هناك فلسفة تربوية واضحة، تبين لنا أي إنسان نعد وأي إنسان نخرج، ومن أجل ماذا.

علينا نحن أن نقودها وأن نضع فيها أهدافنا لكي تؤتي أكلها وثمراتها، فالتربية التي تؤدي للتنمية، والتي هي توظيف لرؤوس الأموال، كما شاع وزاع ينبغي أن نضع فيها سلفاً أهداف التنمية الشاملة بأشكالها المختلفة، وأن نعد عن طريقها اليد العاملة والقوى العاملة اللازمة للنمو والتطور، وأن نعد كذلك عن طريقها العلماء الجدد الذين يحتاج إليهم المجتمع والتخصصات الجديدة التي تحتاج إليهم الحياة الجديدة والمستقبل.

والتربية عادة محافظة، ويدعي بعضهم أنها محافظة أكثر من الزراعة، فالزراعة استطاعت أن تتطور، ولكن التربية لاتتطور بسرعة، وأصحابها هم دعاة جمودها لأنهم ألفوا طرازاً من الأسلوب في العمل، والإنسان عدو ماجهل، وركوب مركب الوضع القائم دائماً - ولو كان خاطئاً - أيسر متناولاً وأهدأ بالأمن ركوب مركب جديد.

ينبغي إذن أن تكون هناك فلسفة تربوية واضحة، تبين لنا أي إنسان نعد وأي إنسان نخرج، ومن أجل ماذا..؟ ولا بد أن يكون وراء هذه الفلسفة التربوية فلسفة اجتماعية تحمل نظرة المجتمع إلى الإنسان ووظيفته ومصيره..

أي إنسان نعد..؟ هذا هو السؤال الكبير. إذا لم تكن التربية قادرة على الإجابة عن هذا السؤال فمعنى ذلك أنها لا تدري ماذا تفعل.. علماً أنها تنفق في سبيل ذلك الأموال الطائلة دون جدوى كما هو الحال في كثير من بلادنا..!

■ المنظمات العربية والإسلامية والدولية العاملة والمهتمة بشؤون التربية مثل «اليونسكو، والأليكسو، والإيسيسكو» وغيرها تتقدم بحصادها من أجل تطوير التربية، ومن خلال عملكم فيها، ومن خلال المؤتمرات والندوات والتوصيات.. إلخ، ثمة أمر هام وحيوي يطرح نفسه.. إذ مامدى استجابة مكاتب التربية العربية (فنيين ومسؤولين) لما يقدم لها من توصيات ومقترحات من هذه المنظمات لتطوير عمل هذه المكاتب وأساليبها في التربية..؟

■ أنا لأقول إن ما يصدر عن المنظمة العربية «أليكسو» أو المنظمات الدولية أو المنظمة الإسلامية، من مؤتمرات وحلقات وتوصيات.. إلخ يذهب أدراج الريح.. لاشك أن الوعي التربوي، وإدراك مشكلات التربية، وإدراك معاني التجديد التربوي، كلها أمور حدث فيها تطور في وطننا العربي، ولاشك أن كثيراً من وزارات التربية وفيها بعض القادة

التربويين ممن تأثروا بحصاد هذه المنظمات المختلفة ويعرفون الكثير عما يمكن عمله، غير أنه لا ينفذ من حصاد هذه المنظمات إلا القليل، وما يصل هو ما لا بد أن يصل عفو الخاطر غالباً، وقلما يتم ذلك عن طريق متابعة دقيقة، والأدعى لدى القادة التربويين في البلاد العربية ولدى الفنيين هو الاعتماد على المتخصصين

الذين يتخرجون من جامعاتنا وجامعات العالم، ولكن المشكلة التي تظل قائمة هي لغة الحوار بين هؤلاء القادة التربويين والفنيين التربويين وبين أصحاب القرار السياسي في مجال التربية.

هنا نجد في معظم الأحيان فراقاً إن لم يكن طلاقاً، لا يسأل عنه أصحاب القرار السياسي وحدهم، كما لا يسأل عنه الفنيون وحدهم. وكلهم مسؤول، فإيجاد لغة للحوار مسألة هامة جداً بين الفنيين والسياسيين كي لا يلقي

الفنيون التبعة على السياسيين في تقصيرهم، حتى لانلجأ كعادتنا إلى تحميل المسؤولية سوانا.. على أساس أنه ليس لنا من الأمر شيء. وسبيل ذلك -

وما يصل هو ما لا بد أن يصل عفو الخاطر غالباً، وقلما يتم ذلك عن طريق متابعة دقيقة،

فإيجاد لغة للحوار مسألة هامة جداً بين الفنيين والسياسيين

عدا الحوار - أن يلجأ الفنيون إلى وضع خطط وأفكار واضحة وبسيطة تقدم لأصحاب القرار السياسي، وأن تكون هناك مجالس عليا تمثل فيها فعاليات مختلفة من المجتمع تضع السياسة التربوية معتمدة على فلسفة تربوية واجتماعية تنظم هذا كله، وحتى يتم ذلك نجد أن هنالك عوائق كثيرة تقف في طريق مسيرة التربية العربية، مثل التعليم الابتدائي أو الإلزامي، إذ لم يتم تعميمهما في جملة الوطن العربي حتى الآن، وحسب التنبؤات والإسقاطات فإن ذلك لن يتم بجملة الوطن العربي إلى عام ٢٠٢٥. نرى ذلك كله في واقعنا العربي بينما استطاع بلد كالاليابان أن يعمم التعليم في نهاية القرن التاسع عشر، وأعتقد أن هذه وصمة عار في جبين الأمة العربية.. أما التعليم الثانوي فرغم أنه يتقدم ويتطور لكن أداءه النوعي ليس في المستوى المطلوب دائماً. كما أنه لم يأخذ اتجاه التنوع والتخصص. أما التعليم الجامعي فإنه يتقدم بسرعة كبيرة، ولكنه وحيد الاتجاه أيضاً وبناءه القديمة لاتزال جامدة، ولم يساير ماجرى من تطور، هذا مع العلم

هل بإمكاننا أن نلحق بالركب العلمي والتقني، والركب سائر مفض في سيره بخطى تكاد تخطف الأبصار؟

أن الإنفاق على التعليم كبير جداً تنوء بحمله الدول القادرة فضلاً عن الدول الفقيرة، لاسيما أننا شعب يتصف بفتوة السكان، وبالتالي فعدد السكان فيه كبير جداً ٥٧٪ تحت سن العشرين، وهذا كله يجعل التعليم غير قادر على تحقيق الهدف المنشود.

■ **الثقافة سمة العصر، ومع أنها تحمل إلينا مايفيدنا إلا أنها تقلقنا وتخيفنا، وهذا مردّه إلى أننا لم نهيء مهاداً علمية متنوعة وهياكل تقنية تواكب العصر، وتضع قدمها فيه، والسؤال المقلق هو كيف نواكب الركب العلمي والتقني؟ وكيف نواجهه؟ وهل مازال في إمكاننا اللحاق به..؟**

■ لا بد لأي بلد - إن كان يريد اللحاق بركب الحضارة - أن يدخل ثورة العلم والثقافة، وتجربة الدول قديمها وحديثها يكاد يشهد أن البلدان التي استطاعت أن تتقدم سريعاً مواكبة الحضارة كاليابان مثلاً - وهي دوماً مثال صارخ - إنما تمّ لها ذلك بفعل عاملين مجتمعين: الأول هو توفير القاعدة العلمية التكنولوجية اللازمة، والعامل الثاني هو تحريك إرادة هذا العمل المشترك، ولكي أربط بين ماقلت وهذا الموضوع أقول: إن قطبي التقدم هما قطب قومي، وقطب تقني

علمي، والبلاد العربية لن تتقدم بدونهما، ومادمننا نتحدث عن القطب العلمي والتقني، فقد أصبح الموضوع دقيقاً ومعقداً، تكثر حوله التساؤلات. هل بإمكاننا أن نلحق بالركب العلمي والتقني، والركب سائر مغذ في سيره بخطى تكاد تخطف الأبصار؟

لقد شهد العصر الحديث ثورات متتالية، كانت الثورة الصناعية الأولى، ثم الثورة العلمية التقنية، وتلتها (ثورة الأتلة) باستخدام الآلة ثم جاءت الثورة «الروبوتية» اليوم. ولنيسط الأمور، فبعد الثورة الصناعية الأولى بدأت الآلة تأخذ مكانها الواسع، وتكاد تتجاوز في عرف بعض أصحابها عصر الصناعة، وسميت ثورة ما بعد الصناعة لأنها تحبب الإنسان بالصناعة ولتصبح الآلة هي البديل، وفي رأي بعض المحللين ومنهم الفرنسي «غبرلييه» صاحب الكتاب الشهير «الفرصة الوحيدة» أن الفرصة الوحيدة المتاحة لبلدان العالم الثالث من أجل دخول الثورة العلمية التكنولوجية هي في الانتقال توأ من وضعها الحالي (مرحلة ما قبل الصناعة إلى الثورة العلمية التقنية المتقدمة) دونما تراث أو توقف عند الثورة الصناعية الأولى، وبرأيه أنه ليس من الضروري أن تمر البلدان النامية

بجميع المراحل التي مرت بها البلدان المتقدمة، وأنها تستطيع أن تقفز رأساً إلى أحدث أشكال التقدم، وهذا قول كما يقول المعري له خبيء فهل يمكن فعلاً قيام ثورة علمية تقنية متقدمة دون أن نكون قد عرفنا تطورات المرحلة الأولى؟.. أعتقد أن الجواب لا.. ولكن الذي يمكن أن نقوله هنا إنه

ليس من الضروري أن نمر بالثورة الصناعية الأولى بتفاصيلها، إذ يمكن أن يقوم نظام هجين إلى حد ما، يمزج بين الثورة الصناعية الأولى وبين بواذر الثورة التقنية، والهدف هو طبعاً السير نحو الثورة العلمية التقنية مباشرة.. فما هي الشروط لذلك؟..

أنشئت في بلادنا الجامعات منذ أوائل هذا القرن، وقد تخرّجت فيها أعداد هائلة من المتعلمين والمتقنين والمهندسين والعلماء

إلخ.. ورغم ذلك لم نستطع حتى الآن أن نكون بنية علمية تقنية جديرة بالنظر، ويضيف المتحدثون عن التقدم العلمي والتقني إلى ذلك شروطاً أساسية ينبغي أن تتوافر لها:

أولها : وجود موارد طبيعية للتقنية

**لم نستطع
حتى الآن أن
نكون بنية
علمية تقنية
جديرة بالنظر،**

**يجب أن
لايرعبنا هذا
التقدم الكبير
الذي نجده في
الغرب على
أهميته وشأنه.**

الصناعية، وهذا متوافر في كثير من البلاد العربية. وثانيها: وجود الأموال اللازمة للقيام بالبحث العلمي. ويبقى شرطان أساسيان، الأول: وجود العلماء والباحثين الذين في وسعهم أن يقدموا النتائج العلمية لتتقل بعد ذلك إلى التقنيات والصناعات.

والثاني - ولعله أهم المطالب - وجود الرغبة الصادقة لدى فئة أو جماعة أو سلطة عازمة على التقدم العلمي، وقادرة على دفع الأمور في اتجاهها السليم. ويتوفر هذين الشرطين الأخيرين أعتقد أنه يمكن للأمر أن تأخذ شكلاً آخر. فيما عدا ذلك فسنظل مستهلكين، وستظل التقنية دوماً بعيدة المنال، وأرى أنه يجب أن لا يربعنا هذا التقدم الكبير الذي نجده في الغرب على أهميته وشأنه. فهو في الواقع مجموعة من المسافات يكاد ينظمها خيط رائد واحد، وما علينا إلا أن نكتشف هذا الخيط. فإن العمل المبدع الخلاق يولد كل شيء.. ويحضرني في هذا المجال تشبيه أتى به الفيلسوف «بركسون Bergson» عندما تحدث عن التطور المبدع في كتابه «التطور المبدع» إذ يقول: تصوّر كومة كبيرة من برادة الحديد، وتصوّرُوا أنكم تريدون أن تصفّوها على شكل معين بحيث تتمثل

شيئاً ما.. فإذا فعلتم ذلك صفّاً وذرّة بعد ذرّة فقد تنقضي الأيام والسنون دون أن تفلحوا في ذلك.. ولكن إذا تخيلتم يبدأ تعبت بها من الداخل لتحركها بحيث تكونها على الشاكلة المطلوبة أدركتم أن الأمر أهون من ذلك. إذن ينبغي ألا يخيفنا التقدم، وكما يقول حافظ إبراهيم:

أقدم فليس على الإقدام ممتنع
واصنع به المجد فهو البارع الصنع
للناس في كل يوم من عجائبه
مالم يكن لامرئ في خاطر يقع
فالإبداع والتصميم والإقدام تأتي بالكثير..
ونعود للثقافة ونعود للثقافة.

وبعد فلن يتأتى لنا في هذه المساحة الإحاطة سوى باليسير من فكر الدكتور عبدالله عبدالدايم وفلسفته وحياته، وأية محاولة لادعاء الإحاطة تعني إجحافاً له، فلا يمكن أن يوجز عطاء نصف قرن من الزمن بقدر ما ينبغي أن يدرس ويبحث، فهو الكاتب الجاد والمربي والعالم والمنظر، إضافة إلى ما شغله من مراكز مهمة عربية ودولية كرّس فيها جهده ووقته لخدمة وطنه وأمته، بل لخدمة البشرية والإنسانية جمعاء.. ■

الوجه الآخر

للموشحات ❖ ٢ - ٣ ❖

من خلال الكشف الجديد لكتاب:

«عقود الجليلي»

إخراج وشرح : د. أحمد بسام ساعي

الأستاذ الزائر بكلية الدراسات الشرقية في جامعة أوكسفورد.

٢ - البعد الجديد للصورة الفنية:

هاجر زرياب البغدادي إلى الأندلس ليضع هناك الوتر الخامس للعود، وليمنح الموسيقى العربية بعداً جديداً وعمقاً أخاذاً ماكانت لتصل إليهما بأوتارها الأربعة الأولى لولا إضافته الهامة.

وما كان لزرياب «البغدادي» أن يبدع وتره الجديد إلا في ظل البيئة الأندلسية الجديدة، وما كان للعبقرية الشعرية العربية أن تبذل الموشحات، الوتر الخامس في قيثارة الشعر العربي، إلا تحت التأثيرات الحضارية الجديدة التي أوجدتها بيئة الأندلس.

والصورة، هذا العمود الفني الذي يضعه النقاد جنباً إلى جنب مع العروض أو الأوزان لتميز الشعر من النثر، تمثل أحد الأركان الفنية الأساسية التي ينشد إليها ويحقق تناغمه وتوازنه بها هذا الوتر الجديد في حضارة الأندلس.

لقد ركز الباحثون على العنصر التقليدي في الصورة الأندلسية، وأصرّوا على أنها نسخة

أخرى من الصورة الأم في الشعر العربي بالشرق، وكذلك كان شأنهم مع معظم العناصر الشعرية الأخرى الأساسية والفرعية، خرجوا بهذه الأحكام اعتماداً على إبداعات الأوتار الأربعة القديمة للشعر الأندلسي، أقصد الشعر الخليي منه، ولم يحاولوا - وهم يصدرون أحكامهم - النظر إلى هذا الوتر الخامس الجديد: الموشحات، ولو فعلوا لخرجوا بحكم مختلف، ولاقتربوا أكثر من الحقيقة العلمية التي ماكانت لتبين لهم دون أن يكون بين أيديهم شروح كافية للموشحات تظهر معانيها، وتبرز صورها، وهذا ما لم يقدم عليه للأسف باحث عربي أو غربي حتى الآن.

وكانت المصادفة التي أتاحت لي المشاركة في تحقيق كتاب (عدة الجليس) لابن بشري - وهو الذي سيتضاعف بظهوره عدد الموشحات الأندلسية المعروفة حتى الآن - فرصة ذهبية لأصرّ على خروج الكتاب مشروحاً شرحاً وافياً، ولأكتشف، من ثمّ، الحقائق الفنية الجديدة للنسيج الشعري للموشحات.

وعلى ضوء هذه النصوص الجديدة التي سيسمعها العالم لأول مرة، نحاول ملاحقة خط الصورة في الموشحات الأندلسية، بين التقليد المرتبط بالمشاركة، والتجديد المطلق في سماء جديدة، والكاشف لبرّ جديد وآفاق جديدة للخيال الشعري العربي.

كانت محاولات الوشاحين في الصورة مستمرة للتخلص من النسيج العنكبوتي للمشاركة وهو يحيط بكل مظاهرهم الثقافية وتقاليدهم الشعرية، فحبوا حيناً، وقفزوا حيناً، وحلّقوا في سماء التجديد والإبداع أحياناً أخرى.

وحين حبوا كانت إبداعاتهم لاتزيد على مغازلة أو مراودة للصورة الشعرية المشرقية عن نفسها، حتى يهتصروها ويخرجوا منها بصورة فيها روائح الجدة وليس فيها طعمها. فالدموع عند المشاركة كانت تنبئ دائماً عما في القلب من مرارة الحب ولوعته، ولكن خطوط الدموع تتحول عند الوشّاح إلى سطور تقرأ فيعرف قارئها حقيقة ما في الضمير، كما في الموشحة الحادية عشرة:

في صفحتيه سطور من أدمعٍ تُنبئ
عماً طواه الضمير من لوعة الحب

أو قد تتحول العينان إلى كاتب ماهر يخط سطور الحب في صدور العشاق البائسين، كما في الموشحة الرابعة عشرة:

قد كتبتُ عيناهُ في صدر من يهواه سطرًا من الحُب

إنها لصور جديدة وجميلة حقاً، ولكنها الصور التي تتكئ بوضوح على عناصر خيالية أولية ماثوثة في ديوان الشعر العربي المشرقي. وإذا لم تكن العناصر هي المتكأ فروح الصورة

المشرقية مبنوثة في مثل هذه الصور، رغم تغير أطراف الصورة والعلاقات التشبيهية القائمة بينها، وإذا قلب الحب المحب في الصورة المشرقية إلى شبه خيال أو جسد ناحل «لو توكات عليه لانهدم» - كما يدعي بشار- فالنحول يأخذ عند الوشاح صورة مختلفة ذات بعد جديد، رغم سيطرة الروح المشرقية عليها. فهو في الموشحة الخامسة والعشرين المجهولة القائل ليس مجرد عصا أو خيال، بل هو تحت المجر الجديد للشاعر، جسم صغير خفيف يرى فقاقيع الماء بحراً لجياً يكاد يغرق فيه، ولكن لم الخوف؟ إنه في خفة الريشة وإذن لن يغرق في هذا البحر أبداً:

أقصرري	عن لوم صبب دنف ناحل
لو مشى	فوق حباب صار في لجة
لم يُرر	يغرق في الماء من الخفة

وقد يكون التحايل على الصورة المشرقية القديمة أكثر ذكاء وأدق معالجة حتى نحس بالروح الجديدة تزين المعنى التقليدي أو الصورة القديمة، فجفوة المحبوب عند أبي بكر ابن الصابوني في الموشحة التاسعة عشرة تتبعها جفوة الكرى أيضاً، وكأنهما اتفقا على توحيد خطواتهما لإيذائه:

ماحال صب ذي ضنى واكتئاب	أنحله ياويلتاه الطبيب
عامله محبوبه باجتئاب	ثم اقتدى فيه الكرى بالحبيب

أو أن يكون التحايل بوضع معادل مضاد للصورة يوازها ويخالفها في الوقت نفسه، فالحبيب - على مذهب الشعراء - كالبدري في الحسن، ولكن الوشاح يضيف إليهم متأسفاً، أنه كالبدري في البعد أيضاً:

من لي به كالبدري في حسنه لو لم يكن كالبدري في بعده

أو أن يستبدل بعلاقة التشبيه التقليدية بين طرفي الصورة علاقة من نوع آخر، ليست بالتشبيه ولا بالمجاز بنوعيه المرسل والعقلي. فقد الحبيب الآن ليس كالغصن - على مذهب الشعراء - بل تحل محل علاقة التشبيه علاقة عتاب وغيره وتلاوم، وربما تفاعل وتقاطع،

بين الروض - إذ رأى جمال قد الحبيب - والغصن الذي فيه، وقد ظهر إلى جانبه من ينافسه في الرشاقة والاعتدال:

لم يَعْتَبِ الرُّوضُ على غصنِهِ حتَّى رأى ما اهْتَزَّ من قَدِّهِ

ولكن أبا بكر التطيلي، في الموشحة الواحدة والعشرين، يتجاوز مرحلة التحايل الفني إلى مرحلة الإبداع والتفنن الحقيقي للصورة. إن أسنان الحبيب الآن ليست كشيب المحب بياضاً فحسب، فالصورة هنا تضيف إلى علاقة التشبيه من غير أن تستغني عنها ومن غير أن تعتمد بشكل أساسي عليها، علاقة صيرورة أو سببية، فأسنان الحبيب الناصعة قد نهشت المحب وفتكت به، وهاهي آثار بياضها واضحة على رأسه:

كيف لا يبكي على ريقِهِ
مَنْ صبَّاهُ في يَدَيِّ مَخْلُقِهِ
وجَدُوا نَابَكَ في مَفْرَقِهِ

وضحى شاعَ فعمَّ المَفْرِقَا قبل أن يَفْرُغَ من مَطْلَبِهِ

ثم يعمد إلى أطراف من الحسيات فيضعها بإزاء المعنويات - خلافاً لقواعد البلاغيين - ويقم بينها سلسلة من علاقات التشبيه مثل: رقة الحبيب كنعومة وجنتيه، وقسوة قلبه على محبه كقسوة الدرع التي يتمناها هذا الأخير ليتقي ضربات الحافظه، ونفس المحب في القوة واللين معاً كالرمح لا تهاب القتال ولكنها ليّنة سريعة الانتشاء والانعطاف، كضعفه أمام انتشاء الخصور ولينها، وهكذا تجده يخشى مواجهة الظباء ثم لا يبالي بقاء الأسود:

جُمِعَتْ رَقَّتُهُ في وجنتِيهِ
لو كَسَوْنِي لأمةً من قَسَوْتِيهِ
لم أنلُ بعد بسهمي مُقَلَّتِيهِ

فانجُ عنها، لحظُهُ لا يُتَّقَى بسِوَى ذاك الذي في قلبِهِ

خَلَّ نَفْسِي فِيهِ تَلْتَدُ الْعَنَا
فَهِيَ كَالصَّعْدَةِ بِأَسَا وَأَنْثَنَا
تَحَذَّرُ الْعَطْفَ وَلَا تَخْشَى الْقَنَا

سَنَحَ الظَّبْيُ فَمَاتَتْ فَرَقَا وَعَدَا اللَّيْثُ فَلَمْ تَحْفَلْ بِهِ

وعلى الطريقة نفسها تنقلب أحزان المحب في الموشحة الثالثة -المجهولة الوشاح- إلى زجاج صقيل يبني به المحبوب صرح أفراحه الممرد كصرح سليمان لبليقيس:

يَا يُوسُفَ الْحُسْنَ وَالْإِحْسَانَ
إِنْ كُنْتَ مَرَدَّتَ مِنْ هَجْرَانِي
صَرَحاً قَوَارِيرُهُ أَحْزَانِي
فَقَدْ خَدَعْتَ بِهِ أَقْرَانِي

وإن تكن ساهياً عن نبئي فسرِّ حالي قد أتاك من سبياً

ولكن خيال الوشاح قد يخلق بعيداً جداً في فضاء الصورة الشعرية، فتتعدد الأطراف وتتشابك العلاقات وتتباعد الأجزاء، وتختلف النوعيات التي تنتمي إليها هذه الأجزاء لترتقي بالصورة إلى مستوى لم تعرفه إلا في هذا القرن العشرين بعد ازدهار المدرسة الرمزية وتعدد العلاقات الخيالية بين أجزاء الصورة الشعرية.

هذه صورة الشاعر اللبناني سعيد عقل، التي تمثل الذروة بين هذا النوع من الصور الشعرية الحديثة، والتي يتذكر الشاعر فيها فتاته، فتعقب رائحة الشذا من ذاكرته، فيتساءل هل كانت الورود تتذكرها في الوقت نفسه:

كنتِ بيالي فاشتممتُ الشذاً فيه، تُرى كنتِ بيالِ الورود؟

إنها صورة تتعدد أطرافها، وتتباعد الخطا بين هذه الأطراف حين يقيم الشاعر خيطاً ذا خمس حلقات، يمتد من أنفه إلى ذاكرته إلى فتاته إلى ذاكرة الورود ثم إلى الورود نفسها.

هذه الفتوحات الخيالية الرائعة عند الشعراء المحدثين لم تكن بعيدة جداً عن الفتوحات الخيالية التي حققها الوشاح الأندلسي في بعض ماشداه:

في ارتشاف ريق الأبارق وترنم الوتر الناطق لنا مذهب

غنت القيان بإفصاح
فأسقني كؤوساً من الراح
كالبروق لكن ياصحاح

أمطرت وقد أخلف البارق فسررت لو كان ذا صادق وذا خائب

هذا هو مطلع الموشحة العشرين لأبي بكر بن مالك اللاردي، والصورة فيها تنعقد بين ستة أطراف: الكؤوس والبرق والخمرة والمطر والبارق (أو الثغر) وريق المحبوب. فالكؤوس التي تقدم له تشع كالبرق ضياء، ولكن الأولى أمطرت عليه خمرة، أما البرق، وقد تحول الآن بجيلة لفظية إلى (بارق) وهي لفظة تنطبق على كلا البرق والثغر معاً، فقد أخلف العطاء، ولم يجد على محبه برشفات من ريقه العذب، فليت الكأس قد كذبه والثغر قد صدقه.

هذه الصورة السداسية الأطراف، المتباعدة الحلقات، المتحايلة بالبيان والبديع والتشويق اللفظي والمعنوي، والمتجاوزة بتعقيدها الفني لأكثر التعقيدات الفنية للصورة الحديثة ليست بدعاً عند الوشاح الأندلسي. وإنما لصور قليلة قبسناها من الموشحات الخمس والعشرين الأولى من عدة الجليس، فهي جزء من أربعة عشر جزءاً من الكتاب البالغ ثلاثمائة وأربعاً وخمسين موشحة. ولاشك أن الغوص في بحره الخضم سيتيح للدارس فرصة أكبر، ويقدم له شواهد أصدق، ولآلىء أثنى من تلك التي تلتقطها على عجاله من شواطئه القريبة الدانية. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله

يَقُولُ الْعَبْدُ الْفَقِيرُ الْمُرْتَمِلُ قَوْلَهُ الرَّاحِ عَفْوُهُ وَمَغْفِرَتُهُ وَرِضَاؤُهُ عَلَى بَشَرِيٍّ لَا غَرْفَ لَهُ

الحمد لله على ما أنعم من النعم. وتفضل على عباده من أنواع العظيمة والكرامة
وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا **محمد** سيد العرب والعجم وخير مراد وتبي
فضل الخلق وجوارح الكليم. وأمدك من حصر بيان ما أنعمت به علينا من نعمك
الكرامة حتى ياتى يوم القيامة نادم. وتفضل علينا من نعمك العظيمة وقصايتهم
العظيمة والمهتدين وشركوك ومجنتهم وعظمتهم وزكيتهم **وعمل**
قلوبهم أنزل شعورهم وتفضل عليهم كمال الهدى عزيتهم التي تصيب تائب
يشتمل على ما لا شغف به المتابع. وأراهم في الهدى والهداية
من مختار ما سمعت سمحت به فزارح أرباب الأندلس من نصيبه في الإجماع
الهدية الأندلسية من استوشيتهم التي تضمنوا لها الأندلس. وتفضل على
النبي ورؤسائه وتفضل من عملوا الأندلس كل هم كمنه وتفضل على
كل صدي استخكتم أو مدون بلفظ أو وقع في الأندلس من الأندلس
فيهم من استخكتم أو مدون بلفظ أو وقع في الأندلس من الأندلس
مشيرين من الأندلس. بحكم الأندلس في الأندلس من الأندلس
أندلس الأندلس فيكون أشمل للأندلس والأندلس من الأندلس

صورة الصفحة الأولى من الكتاب المخطوط «عدة الجليس ومؤانسة الوزير والانبس» لابن بشري.

٢ - الوتر العروضي في الموشحات

شهد الشعر العربي على مدى القرون الطويلة التي سبقت الإسلام خطوات تطويرية في هيكله الإيقاعي، كان لابد أن تسبق الأوزان الراقية المتكاملة التي أقام عليها امرؤ القيس وسدنة الشعر من بعده قصائدهم، ثم استنبطها الخليل بن أحمد بعد أن استقرأ الشعر العربي كلّه أو معظمه.

ولنا أن نتخيل الأوزان في مرحلتها الأولى مجرد إيقاعات راتبة بسيطة، استوحاها العربي البسيط من أصوات الطبيعة من حوله، فخرج بما دعي بعد ذلك بالبحور الصافية، وهي التي تقوم على نوع واحد من التفعيلات، كالخبب والمتقارب والرجز والرمل.

وإذ تمكّن العربي من إقامة هذه الإيقاعات استطاع أن يخطو بها إلى مرحلة أكثر تعقيداً، فتوصل إلى البحر الطويل بعد أن أضاف ضربة واحدة - أي سبباً خفيفاً (/ °) - بعد كل تفعيلتين من تفعيلات المتقارب الأربع فكان الناتج:

فعولن / فعولن فع (أو مفاعيلن) / فعولن / فعولن فع (أو مفاعيلن)

ثم حاول ذلك مع الرجز، فأسقط الضربة الأولى من التفعيلة الأخيرة فيه - أي السبب الخفيف - وكانت (تفعّلن) بدلاً من (مستفعلن)، وهكذا توصل إلى البحر السريع:

مستفعلن / مستفعلن / تفعّلن (أو فاعلن)

وفي محاولة معاكسة أدخل الضربة نفسها على آخر التفعيلة الأولى فعدت (مستفعلاتن) وأصبح الوزن هكذا:

مستفعلاتن / مستفعلن / فاعلن

وهو المنسرح.

ولاشك أن مثل هذه التطورات العروضية رافقت دائماً تطورات حضارية من نوع ما كان يعيشها العربي، وكانت تتيح له أن يتوصل إلى مثل هذه الارتقاعات الموسيقية أو العروضية، وإن كنا لانستطيع الآن تحديد تلك الخطوات الحضارية التي شهدتها أرض الجزيرة، وشهدت معها كل من هذه الخطوات التطور الإيقاعي الموازي لها، ويكفي أننا تلمّسنا بهذا التخيل التاريخي السريع الدرجات الإيقاعية التي ارتقاها العربي على مرّ القرون ليصل إلى البحور الستة عشر التي بين أيدينا.

ولذا كان لابدّ أن ننتظر خطوات عروضية ارتقائية أخرى مع كل خطوة حضارية، وهكذا حقّق بعض شعراء الدولة العباسية، كأبي العتاهية وبشار وأبي نؤاس ومسلم بن الوليد، بعض التطور الإيقاعي في الأوزان العربية، ولكن من سوء حظ العروض العربي أن حملة هذا

التطور العروضي، أو معظمهم، كانوا مهتمين بالشعبوية، وهذا أدى إلى إحباط محاولاتهم التطويرية على أيدي العرب أنفسهم الذين كانوا يخشون على عروبتهم من أن يفسد أسسها هؤلاء الذين عدّوهم متطفلين على الفن العربي والفكر والثقافة والحضارة العربية.

ثم تأتي الفرصة الذهبية الكبيرة للشعر العربي، بعيداً عن عقدة الشعبوية وبعيداً عن الأرض التي شهدت ذروة الصراع العربي - الشعبي، وكانت الأندلس هي الأرض البديلة، حيث التربة المختلفة والهواء الجديد الذي تنسّمه العرب، فولد في نفوسهم جدلية عميقة مثمرة، بين سلفيتهم المتأصلة، وأندلسيتهم المصبوغة بطابع الحياة الجديدة، بين فنهم العربي المشرقي، والفن الأوروبي الطارئ على حياتهم وعلى أسسهم الجمالية والفنية الموروثة. وهكذا استطاعوا أن يحققوا خطوة عروضية جديدة بارزة على خط التطور العروضي العربي، خطوة سلمت من عقدة الشعبوية، فانفتحت أمامها الآفاق عريضة متسعة لتأخذ حجمها الكامل وتبدع لنا فناً جديداً عرف بفن الموشح.

لقد ارتبط الشعر العربي دائماً بالموسيقى، فهو مرتبط بالنشيد أو الإنشاد غالباً، وبالغناء أحياناً قليلة. والغناء فن أرقى موسيقية من الإنشاد، وأكثر تنوعاً وتعقيداً، ولهذا كان موسيقيو العرب ومطربوهم يبحثون في صفحات الشعر العربي عن أكثر القصائد تفوقاً من الناحية الموسيقية، لتنتقل ألسنتهم بها غناءً، وأوتارهم تلحيناً، فارتباط الشعر بالغناء واضح إذن، وواضح أنه يتطور إلى غناء بقدر ما تزداد عناصره الموسيقية غنى وتنوعاً وعمقاً.

ورغم خروج الوشاح الأندلسي عن أوزان العرب التقليدية، محققاً من التطورات العروضية ما لم تحققه هذه الأوزان عبر مئات السنين، ورغم مخالفته الأذن الموسيقية العربية التي اعتادت الاستماع إلى تلك الأوزان، والاستمتاع بها لا بغيرها، نجح الوشاح من خلال أوزانه الجديدة أن يحتفظ برصيده لدى الأذن العربية، فلم يخسرها، بل تمكن من تطويرها وإقناعها بإيقاعاته الجديدة، وإن كانت هذه الإيقاعات معتمدة في الحقيقة، وبشكل أساسي، على تفعيلات الخليل، كما سنرى في نماذجنا المنتزعة بأكملها من كتاب عدة الجليس لابن بشري الذي تذاق موشحاته، الثلاثمائة والأربع والخمسون، على العالم لأول مرة.

وهكذا ينطلق الوشاح الأندلسي في سماء التجديد الموسيقي والعروضي، ولكنه لا يعلنها ثورة على جذور العروض العربي، وإنما يتمسك بتفعيلات هذا العروض ويستند إليها في تجديده. يقول ابن بقي في مطلع الموشحة السابعة من عدة الجليس:

طالَ لَيْلُ الكُئِيبِ مِنْ الأَسَى والنَّحِيبِ
فِي غَزَالِ رَبِيبِ يَجَنِي ثَمَارَ القَلِيبِ

فالشطر الثاني في كل بيت من بيتي المطلع من بحر المجتث (مستفعلن فاعلاتن). ولو أضفنا صوتاً واحداً (أي سبباً خفيفاً) إلى مطلع الشطر الأول لكان هو أيضاً من المجتث. وليس في أوزان الخليل ما يتسع لصياغة هذا الشطر، ولكنه يبقى ضمن حدود تفعيلات تلك الأوزان، ولنا أن نقرأه هكذا:

فاعلاتن فاعلاتن

أو هكذا : فاعلاتن فعولن

وكلها تفعيلات خليلية، وإن اختلفت مواقعها وأعدادها عند الوشاح اختلافاً يجعل منها وزناً جديداً أو صياغة عروضية جديدة قائمة على تفعيلات أو سبائك عروضية قديمة. وكثيراً ما يلجأ الوشاح إلى أكثر الأوزان العربية تقليدية فيتمسك بها وبتفعيلاتها، بل بترتيب هذه التفعيلات أيضاً، ولكنه يركز على إحداها، فيقلّبها في أشكال عديدة متلوّنة من غير أن تخسر موسيقيتها وجاذبيتها للأذن العربية، مهما بدت غريبة في البداية، وهذا ما نلمسه في الموشحة الخامسة عشرة لأبي بكر التطيلي:

ضنى جسدي بادي لم أشك لعوادي سوى الحـب

مَنْ لِي بِرَشْشَا أَغْيَدُ

يُعَذِّبُنِي بِالصَّدُ

وَبِالهِجْرِ قَدِ أَوْعَدُ

فَمَا حَالَ مُسْتَعْبِدُ

غدا بين إبعادٍ ومابين إبعادٍ من الحـب

وكم ليلية بثنا

وسط الروضة الحسناء

والطيرُ بها غنّى

بصوتٍ لـه معنَى

على شاطئ الوادي وفي كلِّ ميّادٍ من القُضْبِ

إنه يقلب (فعولن) في الأدوار بين (فعول) و(مفعول) و(مفعولن) وهو تنويع غريب لهذه التفعيلة ضمن القصيدة الواحدة وفي الموقع الواحد من أجزائها. ولكن جرأة الوشاح الاستكشافية، وتطلّعه إلى آفاق عروضية وموسيقية أبعد، تجعل محاولاته أحياناً كهبات عاصفة تخرج عن المؤلف، حتى لا تكاد الأذن العربية تتعرّف عليها أو تمسك بها، رغم محافظته المستمرة على تفعيلات الخليل وبنائها الأصلي. فالتفعيلات (مستفعلن) و(فعولن) و(مفاعيلن) مأخوذة من بحرین على الأقل: البسيط والطويل، والبحران من دائرة عروضية واحدة، - كما هو معروف لدارسي علم العروض - وهذا مادفع الوشاح الأندلسي، بشكل من الأشكال، إلى المزج بين التفعيلات الثلاث، كما في الموشحة السابعة والخمسين لوشاح مجهول:

أذِيَالٌ ذِي ارْتِيَا حُ	جَرَّرَ مَعَ الصَّبَابَةِ وَالخَمْرِ
فِي الْمَلَا حِ وَالْمَلَا حُ	فَمَا عَلَي الْمَتِيمِ مِنْ عَار
فِي الخَمْرِ وَالهُوَى	يَا صَاحِبِي مَالِي وَلِلآئِم
وَلَيْسَ لِي سَوَى	وَقَدْ أَضْرَنِي عَدْلُهُ الدَائِم
طَوَاهِ مَطَاوَى	عَصِيَانِهِ ، فِي مَسْتَوَى الهَائِم

ففي صدور أجزاء الموشح خلط غريب متعمد لتفعيلات البحرین (مستفعلن فعولن مفاعيلن)، على حين اكتفى في الأعجاز بالتفعليلتين الأوليين منها (مستفعلن فعولن) وهي شكل من أشكال بحر ثالث هو الرجز.

هذه القفزات الماهرة على حبال العروض العربي، ما كان الوشاح ليتقنها ويبدع بها من غير النضج الإيقاعي المتميز، والتطور الموسيقي الرفيع، والملكة العروضية المتفوقة التي أحرزها في الأندلس.

هذه الومضات الإبداعية تشدنا إلى الانطلاقات العروضية الواسعة التي حاولها بعض أعلام حركة الشعر الحديث في سورية ولبنان والعراق خاصة، مما عرضته في كتابي (حركة الشعر الحديث)، وتلمّست فيه أنواعاً عروضية تتجاوز شعر التفعيلة أو ماسميته بـ (التوقيع) إلى نوعين عروضيين أكثر تطرفاً وخروجاً عن المؤلف، مما أطلقت عليه اسمي (التشكيل) و(التنويع).

ولكل من النوعين نماذج عديدة عند وشاحنا من غير أن يفقد شرط الأصالة. ففي (التنويع) ينوع الشاعر بين تفعيلات أكثر من بحر واحد ضمن القصيدة الواحدة،

كما في النموذج السابق، حيث التقت تفعيلات البسيط والرجز والطويل جنباً إلى جنب في الموشحة.

أما في (التشكيل) فيعيد الشاعر تشكيل تفعيلات البحر الواحد، فتتقدم أو تتأخر أو تتكرر، من غير التقيد بمواقعها الأصلية أو عددها في البحر الخليلي، وهذا كثير لدى وشاحينا، كما نرى في الموشحة السادسة عشرة من (عدة الجليس) التي نرجح نسبتها إلى الشاعر اليهودي عبدالحليم اللاوي لأننا نرى مطلعها خرجة لموشحة عبرية من تأليفه. يقول الوشاح:

نسِيمُ الرُّوضِ فَاحٍ فقوموا نَشْرِبُ

أَلَا قَمٌ يِيَاغِ لَامٌ

أَدِرُ كَأَسِ المُدَامُ

مَضَى صَرْفُ الظُّلَامُ

وَكافورُ الصِّباحِ إِيْنَا يُجَلْبُ

صَلُوا مَزَجَ الخَمُورُ

بَسَلَسَالِ الثَّغُورُ

فَمَا سُرُّ السُّرُورُ

سَوَى كاساتِ راحٍ وريقِ يَغْدُبُ

فتفعيلات الموشحة هي من الطويل، ولكن الوشاح قلب ترتيب هذه التفعيلات، وأعاد تشكيلها ضمن البيت، فابتدأ بـ (مفاعيلن) وانتهى بـ (فعولن): (مفاعيلن فعول).

وأخطر من هذا وذاك أن يقسم الوشاح التفعيلة بين شطرين متجاورين بحيث يوحي إلينا بهذا التقسيم أننا أمام وزن جديد، وما هو إلا الوزن الخليلي نفسه تلاعب علينا بتقسيمه، كما في الموشحة الخامسة والعشرين المجهولة القائل:

قَد بَدَا ما كُنْتُ أَخْفِيهِ عَنِ العاذِلِ

فِي هَوَى مِنْ زادَ فِي السَّحَرِ عَلى بابلِ

فأَقْصِرِي مِنْ لَوْمِ صَبِّ دَنَفِ ناحِلِ

لَو مَشِي فَوْقَ حُبابِ صارِ فِي لُجَّةِ

لَم يُر يَغْرُقُ فِي المائِ مِنَ الخَفِّهِ

فالמושحة من بحر الرمل (فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن) مع زيادة (فعل) أو (فع) في آخره، ولكن الشاعر، في الأفعال دون الأدوار، قسم الجزء إلى شطرين: (فاعلا) في الأول و(تن فاعلاتن فاعلاتن فعل) في الثاني، ومن لم يدرك حقيقة هذا التقسيم ذهب إلى أن الموشحة من (السريع) أو بالأحرى من (تشكيل السريع):
فاعلن مستفعلن فاعلن

هذه الخطوات العروضية المتقدمة هي التي دفعت بالشعر العربي - من خلال الموشح - أشواطاً بعيدة باتجاه الغناء والغنائية، مما يؤكد المبدأ الذي انطلقنا منه، وهو اقتراب الشعر من فن الغناء كلما ارتقى موسيقياً، فيتحول من مجرد إنشاد في الأوزان التقليدية إلى أعلى درجات الغناء في الموشحات، وهو دليل على أن الموشح من الناحيتين العروضية والموسيقية، خطوة تطويرية واسعة وأصيلة للشعر العربي حقق بها من التطورات العروضية والإيقاعية ما لم يحققه غيرها من الأشكال الشعرية على مدى مئات السنين، وهي خطوة أصيلة تخالف ما يجري اليوم على ساحة الشعر العربي الحديث من ممارسات منبئة الجذور لا تقوم على أساس عروضي أو موسيقي عربي ثابت وأصيل. ■ ■

(انتهى البحث)

* مصنف الكتاب هو علي بن بشري الغرناطي. ويحيط الغموض باسمه كما أحاط بحياته، فلم يرد ذكره في النسخة الفريدة المتبقية من المخطوط إلا مرة واحدة، نجدها في رأس الصفحة الأولى وبشكل ملبس، ربما قرئ الجزء الثاني من اسمه بالألف المقصورة (بشري) كما قرأه حقاً كولن جورجيس مكتشف المخطوط الذي أتى به من المغرب عام ١٩٤٨، وبالياء كما قرأه ألن جونز. وقد كتب الجزء الأخير من اسمه في الصفحة المذكورة هكذا (الاجرناطي). ولا نعرف عن المؤلف إلا ما نستشفه من معلومات أو تخمينات من خلال اختياراته ومن خلال موشحاته فيها. ولأنه يورد موشحة للسان الدين بن الخطيب الذي توفي عام ٧٧٦هـ / ١٣٧٤ م، فإننا نرجح أن يعود تاريخ الكتاب إلى ما بعد تلك الفترة بقليل. أما النسخة التي بين أيدينا، وتقع في اثنتين وعشرين ومائتي صفحة، فمراكشية على الأغلب ونسخت بالخط المغربي، ونستطيع أن نميز فيها خطوط ستة نساخ على الأقل، وقد نالت منها العصور، فامحى كثير من حروفها، ولاسيما في حواف الصفحات، ببطل أصابها، وأكلت الدودة من أطرافها وخذت في أوراقها، كما فقد جزء من أواخر صفحاتها، فضلاً عن غلافها، مما يؤكد لنا ضياع عدد من موشحاتها، رغم أنها أكبر مجموعة من الموشحات وصلت إلينا حتى الآن. وعدّها بعضهم أنفس مخطوط من نوعه اكتشف في هذا القرن، فبين الأربع والخمسين والثلاثمائة موشحة التي تضمنها هناك أكثر من ثمانين ومائتين مما لا نعثر عليه في أي مصدر آخر، وبين هذه الأخيرة ما لا يقل عن تسع وعشرين موشحة اختتمت بخرجة رومانسية (الإسبانية القديمة). ■

مشقة

• حاح من غير من العور أو نصير، لشتر كيت يشكو ألامه الضمير،
 شقة ما لا يفتر ويعلج العاصير، لم اع باشتياق من الال لشدة امره، ومن العور ما من بيت من اجل شدة
 • ان حرد العور وتبع سر الصدور، فاسوس العيبه، بفيه كل الشرور،
 يفتيها عذار او شعا عها يقو قنده، واجه عا انظاره، فلو نه الور شخه، ولتدرها كبا، اعل واد عا
 • واسف بال كبير، عل واد الرزير، فسو ككاشيب، مركه ضمير غير،
 ما العينه مرضاه، تمت بالاحرار، فد حمتا منعاز وظه، بزرد شمس النهار، بتر الور، فظه عل بانم بكار
 • اشرف كالبدور، مرت ليا الشعور، جوو عكه انجوب، وحسن تلح العور،
 سر، يا غزال، بلان لك عند، هذ ايا فلال، لو نالني منك، عده كيفير، جال حال، ولتد عبيك
 • وبعكم اهل من اسير، بالفتح والتشيم، كرو بحكم بيه، يذ ينس باليسر،
 رة عذار جنته، الرفا العيبه، اذ راته تمتا، زوال خوو الرنيه، أشده جيتت، شمس صر عيبه
 • ال فدمر دعور، المسرة، مود لذور، بحتتد للرنيه، اش توحه امير،

مشقة

• نسيم الصبا مخيم، بسا عر ذاتا، عهد ما بالآ زمار،
 • وان امكر التكر، لعلك تنفير، عل العهور، جالعصر، صاع الرين، جعانا يا عجم، بلار مدحور
 • ايض من شير، كواو ال فمار، بشموس العفار،
 • هر العجم ما احلاه، مذا فارو ما انسا، وما احدا، او با با يلعا قناه، ولا تفن ال، انا عجم غشا
 • عل ال با انكر، كواو ال فمار، بقتا ضال، و كمار،
 • وشير معيون، ديود، فشر صيه، وشرة الرخيوم، تامل بالفرد، مع امر كذو، ال فمار، ال فمار،
 • ويلحها الضمر، وحب ال حور، و فرة ال فمار،

صفحة من الكتاب المخطوط، عدة الجليس وعدد صفحاته ٢٢٢ صفحة ضمت ٢٥٤ مشقة جديدة.

صور حضارية

من حياة ابن عساكر

... وكتابه

«تاريخ مدينة دمشق»

د. مازن المبارك

المقال دعوة تقول: إن على من يقرأ اليوم في كتب التاريخ أن يقرأ بإحدى عينيهِ، ويرسل العين الثانية تنظر إلى ماحوله، وتقرأ عصره الحاضر؛ وبذلك تتاح له الموازنة بين ماضٍ وواقعٍ معاصر، فلا يسارع إلى وصف ماضٍ بالتخلف، ووصف حاضرٍ بالرقى، فليس التاريخ مجرد سير للرجال وسرد للأحداث، ولكنه أيضاً هو العبرة المستخرجة والحكمة المستنبطة، وليس الحاضر دعوى إعلام وشعار دعاية، ولكنه الواقع الذي نشأه ونعيشه. فلتكن قراءتنا للأخبار التاريخية قراءة نستشف ماوراءها من مظهر حضاري. ولتكن نظرنا إلى الواقع المعاصر نظرة متفلّته من الزيف والدعاوة.

كتب الطبقات وتراجم الرجال وكتب التاريخ من أكثر الكتب إمتاعاً وأكثرها التصاقاً بالإنسان فرداً ومجتمعاً وأمة. ولعلها من أكثر الكتب فائدة إذا قرأها الإنسان متأملاً ومعتبراً ومواظماً بين ما يقرأ عن الإنسان الماضي وما يراه في حياة الإنسان المعاصر.

إن في كثير من أخبار الرجال ومرويات كتب التاريخ أخباراً وروايات تعدّ من ظواهر الحضارة وصورها، ولعلنا لانغلو إذا قلنا: إن بعض تلك الظواهر الحضارية الرفيعة لتدلّ على بعض ما نفتقده اليوم، ونحن نعيش في القرن الخامس عشر للهجرة والقرن العشرين للميلاد، بل نعيش في عصر تخدّرنا فيه الشعارات وتقنعنا فيه الدعاوى والدعايات!

وفي أخبار ابن عساكر وكتابه «تاريخ مدينة دمشق» نقف على كلمات تمرّ بنا سريعة موجزة، ولكنها تعبر عن بعض ما أشرت إليه من مدلولات حضارية جديدة بالملاحظة والتأمل.

وابن عساكر هو أبو القاسم علي بن الحسن، المؤرخ المحدث الحافظ. عاش في القرن السادس الهجري (٤٩٩ - ٥٧١ هـ). نشأ في بيت علم وفقه وحديث وقضاء، وأمضى حياته في العلم والتعليم والتأليف معرضاً عن المناصب زاهداً فيها. عرف بثقة الدين، وصدور الحفاظ، وحافظ

الأمة، وناصر السنّة. واشتهر بإخلاصه وجرأته. قال النووي عنه: «هو حافظ الشام بل حافظ الدنيا، الإمام الثقة الثبت».

ومن أخباره أنه عاش في الشام ولكنه رحل غير مرّة فزار العراق وخراسان ونجداً والحجاز وذكر صاحب طبقات الشافعية عدداً كبيراً من المدن التي زارها ابن عساكر وسمع فيها، وقال إنه سمع في البلاد المتناثية^(١). وهذا الخبر يذكرنا بألاف من أمثال ابن عساكر من العلماء والشعراء وطلاب العلم والتجار وطلاب الدنيا أيضاً الذين كانوا يتنقلون بيسر وسهولة من بلد إلى بلد، ومن قطر إلى قطر، لاتوقفهم سدود، ولا تمنعهم حدود، ولاتعوقهم أنظمة أوقوانين، يقصدون إلى حيث يشاؤون من وطن أمّتهم، محققين بذلك مظهراً حضارياً تتجلى فيه وحدة الأمة فعلاً وعملاً..

ويذكرنا أيضاً بأنه مرّت أمّتنا بعصور قامت فيها كيانات سياسية متعدّدة ولكنها لم تؤدّ إلى تمزيق وحدة الشعب، ولم تفرّق بين أقطار الأمة! فلقد انحلت الوحدة السياسية للدولة العباسية، وقامت دول وإمارات؛ فكان خليفة عباسي في بغداد، وأمير حمداني في الموصل ثم في حلب، وحاكم إخشيدي ثم فاطمي في مصر، وخليفة أمويّ في الأندلس... وحكّام وأمراء في أطراف من بلاد المغرب، ولكن ذلك كلّه لم يكن ليمنع المواطن العربي من أن يتنقل في تلك البلاد بلا حرج ولا مشقّة. يرحل من بغداد إلى

قرطبة وهويّته لسانه! ومن عجب أن ذلك أصبح لدينا ذكرى تاريخ ماض وحلم مستقبل مأمول، ونحن في عصر نستعيز فيه عن الواقع بالشّعار، وعن الفعل بالقول والادّعاء. إنها أخبار تذكرنا بما نحن فيه من حدود مانعة وقوانين حاجزة، وتذكرنا بما يلقاه طلاب العلم اليوم من صعوبة الوصول إلى أي عالم أو أي جامعة في غير بلدهم! مع أننا في عصر جامعة عربية واتفاقات ثقافية ودعاوى قومية وشعارات وحدوية!

ومن أخبار ابن عساكر أيضاً أن عدد الشيوخ الذين لقيهم وأخذ عنهم بلغ ألفاً وثلاثمائة شيخ، وبضعاً وثمانين شيخاً، سمّاهم في (معجم الشيوخ) و(معجم النسوان)^(٢) وفي سير أعلام النبلاء أنه أخذ عن ألف وثلاثمائة شيخ بالسمع، وبضع وثمانين امرأة، وأن ستة وأربعين شيخاً أنشدوه، وأنه أخذ بالإجازة عن تسعين ومئتين من الشيوخ^(٣) ولاشك أن هذا الخبر ينشر أمام أعيننا صفحة حضارية رائعة للحركة العلمية النشيطة التي عرفها القرن السادس للهجرة.. وإذا كان هذا العدد الضخم للشيوخ والشيخات في علم واحد هو الذي قصد إليه ابن عساكر، فكيف يكون عدد العلماء عامة وفي كل العلوم والفنون؟ وهل نجد اليوم في الأمة ونحن نعيش في عصر الجامعات، مثل هذا العدد من العلماء المقصودين في علم واحد؟!

ومن أخبار ابن عساكر أنه كان لا يأخذ العلم إلا مشافهة عن العلماء، شأن العلماء الأثبات في عدم الأخذ عن الصحف، وقد لخص منهجه بقوله^(٤):

وإنك لن ترى للعلم شيئاً
يحققه كأفواه الرجال

فكن يا صاح ذا حرص عليه
وخذه من الرجال بلا ملال
ولا تأخذه من صحف فترمي
من التصحيف بالداء العُضال
وقال في آخر كتابه «تاريخ مدينة دمشق»: «هذا مبلغ علمي وغاية جهدي عما وقع وثبت عندي، فمن وقف فيه على تقصير أو خلل، أو عثر فيه على تغيير أو زلل، فليعذر أخاه وليصلح ما يحتاج إلى إصلاح».

وفي هذا من الحرص على التثبت في الرواية، والدقة في النقل، والأمانة في العزو، والتواضع ما يفتقر إليه كثير من المؤلفين والمحققين اليوم. ومن أخبار ابن عساكر أنه عرف للعلم حقه، فعزف عن طلب الدنيا بالعلم، وترفع عن المناصب التي عرضت عليه، ولم يقف على أبواب الحكام والسلاطين، بل كانوا هم الذين يأتون إليه ويحضرون دروسه ويسمعون نصحه وإرشاده، فلقد حضر دروسه الحاكم الصالح نور الدين زنكي -الشهيد- وأعجب به، وبنى له المدرسة المعروفة في دمشق باسم دار الحديث النورية. وحضر دروسه السلطان



صورة غلاف المخطوط الخامس من تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر وهو موجود في مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ببني في ١٩ مجلداً تحت رقم ٣٤٥٠، وتوجد نسخة بالميكروفيلم في المركز تحت رقم ١١٤٢ مصورة عن مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق.

صلاح الدين الأيوبي ولازمه إلى أن مات، فشيّعه وحضر الصلاة عليه، ووقف على دفنه.

وكان إذا حضر مجالس الحكّام حضرها ناصحاً، وعرفهم حق العلم.. فقد جاء في أخباره أنه انقطع عن مجلس السلطان صلاح الدين الأيوبي، ولما عاتبه السلطان في ذلك قال: «نزهت نفسي عن مجلسك، فإنني رأيتك كبعض مجالس السوقة»^(٥) لا يُستمع فيه إلى قائل، ولا يُردّ جواب متكلم. وقد كنّا بالأمس نحضر مجلس نور الدين فكنا كأنما على رؤوسنا الطير، تعلونا الهيبة والوقار، فإذا تكلم أنصتنا، وإذا تكلمنا استمع لنا». فأمر صلاح الدين مجالسيه أن يتركوا ماجرت به عادتهم إذا حضر ابن عساكر.

وهكذا لم ينس العالم حق العلم ووقاره، بل فرضه بحقه في مجالس الحاكم، وبذلك كانت للعلم وللعلم والمجلس الحاكم نفسه هيبة ووقار.

وكان لهذه الصلة المباركة بين العالم التقى والحاكم المخلص أطيّب الأثر في وحدة كلمة الأمة، وقد ظهر ذلك حين اشتدت المعارك مع الصليبيين وسقطت القدس بأيديهم، فقام ابن عساكر ينصح ويوجّه ويحثّ نورالدين على تعبئة القوى وإعلان الجهاد لتحرير البلاد من أيدي الصليبيين، ونشر رسائله التي وضعها في (فضائل بيت المقدس)، و(الزهادة في طلب الشهادة)، و(الأربعون في الجهاد)، و(الاجتهاد في إقامة فرض الجهاد) و(نم من لا يعمل بعلمه) وراح يناشده ويستحثّ همته شعراً ونثراً

ويعبىء الناس من ورائه. وكانت لهذه الصلة الطيبة السليمة بين العالم والحاكم أعود النفع على البلاد والعباد، وهو النفع الذي يمكن أن يعود في كل زمان ومكان إذا اجتمع إخلاص العالم لعلمه وإخلاص الحاكم لشعبه، وسارا معاً في ضوء العقيدة التي جمعتهما. قال الأستاذ محمد كرد علي: «اتصل الحافظ ابن عساكر بالملكين العادلين نور الدين محمود زنكي وصلاح الدين يوسف بن أيوب اتصالاً وثيقاً، يأخذان عنه الحديث والفقه. وكان لهما المستشار الأمين ينصح ولايقول إلاّ الحق. وكان من تشاكل الأستاذ مع الآخذين عنه في الفكر والسياسة ما عاد بالنفع على الأمة»^(٦).

إنها صورة صادقة مشرقة للعالم المسلم يقف أمام الحاكم فلا ينسى نفسه، ولا ينسى ربه، ولا ينسى عقيدته، فإذا هو صوت الشرع وكلمة الحق.. وصورة للحاكم المسلم يسمع ويقدر.

ومن ائتلاف الموقفين تتجلى صورة ثالثة هي صورة الرأي السديد والنصح المخلص يدعمهما عزم القائد وحزمه في إبرام الرأي واتخاذ القرار.

لقد سخر ابن عساكر علمه لخدمة عقيدته وعقيدة القيادة السياسية والعسكرية المؤمنة التي كان على رأسها الحاكم المجاهد نور الدين زنكي، فاجتمع عامل الفكر والتوجيه، وعامل الحكم والحزم والتنفيذ، فكانت العقيدة وكان العلم وكان الفكر بعثاً للأمة، وكان للعالم دوره في نهضة الأمة ونصيبه في بناء الدولة.

والذي يتابع القراءة في تاريخ ابن عساكر ويطالع فيه أخبار الرجال الذين اختلفت أقطارهم وتعددت علومهم.. والذين جمعت بينهم صفة الدمشقي، وهي الصفة التي أطلقها ابن عساكر على كل من ولد أو مات أو مرّ بدمشق - ودمشق إذ ذاك مقصد العلماء، ومحطتهم في طريقهم إلى الحج - يرى في الكتاب صورة لتاريخ حضاري إسلامي موسوعي ينظر إليها القارئ من خلال منظار ابن عساكر الدمشقي، فإذا هي صورة تغطي مساحة واسعة من العالم العربي والإسلامي في ذلك العصر،

وتعبر بوضوح عن تلك الحياة الواسعة بأقطارها، الغزيرة بعلمائها، الغنية بما فيها من علم وأدب وشعر، المعتزّة بقيمها، تخوض الغمار وتمرّ بالأزمات وتعرف الانحرافات ولكنها تبقى منتصرة في صراعها متمسكة بوحدتها مستعلية بربها.

وفي مثل تلك الأخبار وهذه الصور ما يمتع القارئ ويفيده، وفيها قبس من نور يبعث على الرجاء والأمل وسط ما تحيطنا به حياة اليوم من يأس مظلم وقنوط قاتل. ■

الحواشي :

- ١ - طبقات الشافعية ٧ / ٢١٥ وانظر سير أعلام النبلاء ٢٠ / ٥٥٤ وتبيين كذب المفتري: ٢٢٢.
- ٢ - معجم الشيوخ ومعجم النسوان، من مؤلفات ابن عساكر. والنسوان بكسر النون كالتسوية بالكسر والضم وكالنساء، جمع للمرأة على غير لفظها.
- ٣ - سير أعلام النبلاء ٢٠ / ٥٥٦.
- ٤ - انظر سير أعلام النبلاء ٢٠ / ٥٦٩ ووفيات الأعيان ٣ / ٢١٠.
- ٥ - السوقة : الرعية، وكل من ليس بحاكم. يستوي فيه المفرد والجمع والمذكر والمؤنث.
- ٦ - كنوز الأجداد ٢٩٤.

المصادر والمراجع :

- ١ - سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٠ / ٥٥٤. مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠٥ هـ و ١٩٨٥ م. وفي هامشه مسرد مفصل لمصادر ترجمة ابن عساكر.
- ٢ - طبقات الشافعية للسبكي ٧ / ٢١٥. القاهرة ج ٧ سنة ١٩٧٠ م.
- ٣ - ابن عساكر في ذكرى مرور تسعمائة سنة على ولادته - وزارة التعليم العالي، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب - دمشق ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م.
- ٤ - ابن عساكر ودوره في الجهاد ضد الصليبيين. أحمد عبد الكريم حلواني - دار الفداء، سورية ١٩٩١ م.
- ٥ - كنوز الأجداد : محمد كرد علي: ٢٩٣. دار الفكر - دمشق ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.
- ٦ - مقدمات التحقيق لكتب ابن عساكر المنشورة: تاريخ دمشق ج ١١، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد. كتاب الأربعين البلدانية، تحقيق محمد مطيع الحافظ. مجلسان من مجالس ابن عساكر في مسجد دمشق، تحقيق: محمد مطيع الحافظ دمشق ١٩٧٨.
- ٧ - وفيات الأعيان لابن خلكان ٣ / ٣٠٩، تحقيق د. إحسان عباس. دار صادر - بيروت. ■

حين يقرأ المرء كتب جبرا النقدية^(١)، يلاحظ أنه كثير الدعوة إلى التعمق في الجذور التي هي تعمق في شعاب الذات تحقيقاً لهويتنا الخاصة بنا، أي تحقيقاً لأصالتنا فلا نصبح مجرد أبواق نردد أقوال الغربيين وأساليبهم، بل نجد الناقد جبرا يلفت أنظارنا إلى أن هؤلاء الغربيين قد استفادوا من تراثنا القصصي، لكنهم لم يقفوا عند هذه الاستفادة بل تجاوزوها، وحققوا أساليب خاصة بهم، صاروا بفضلها رواد العالم في فن القصة.

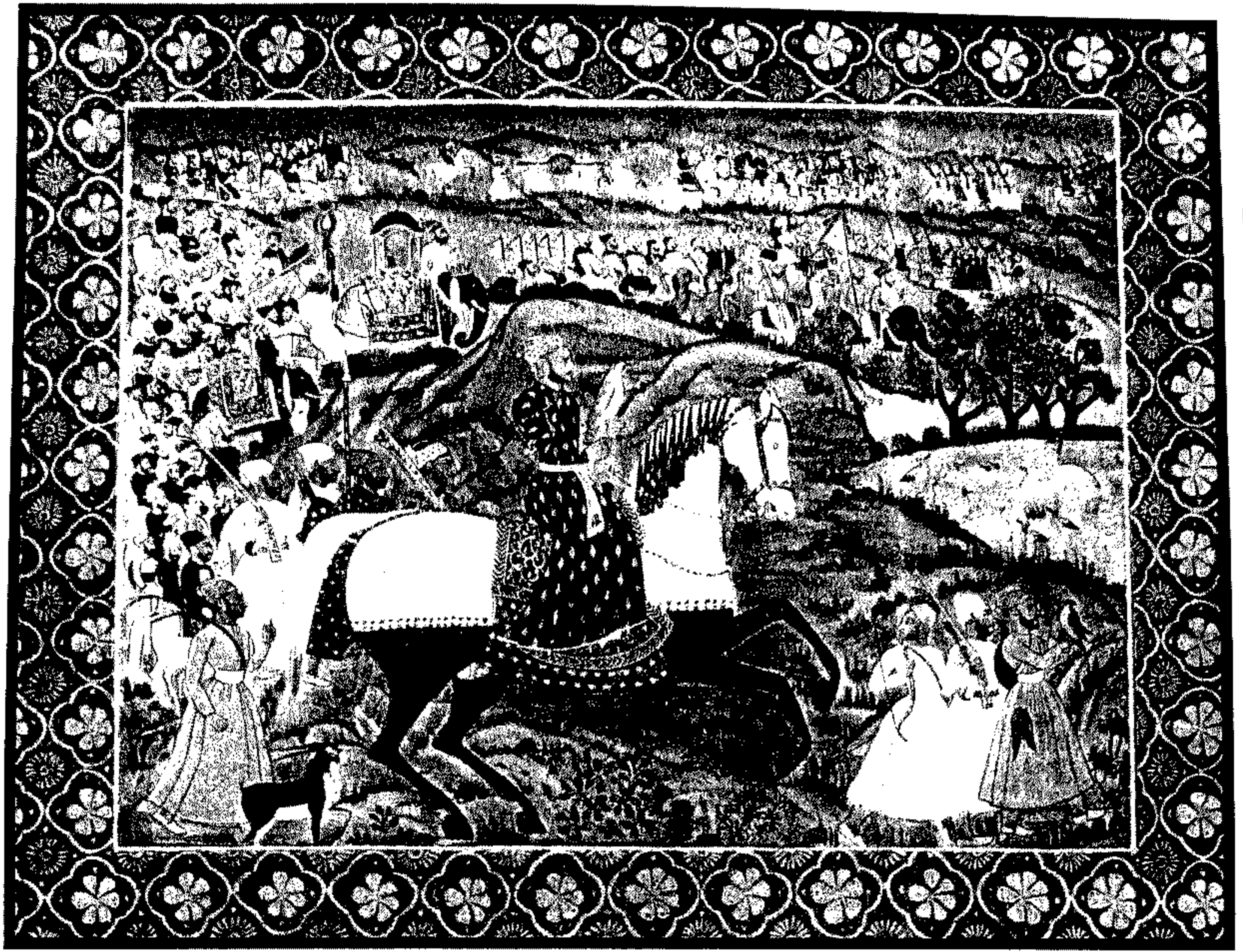
لهذا نجد جبرا يدعونا، عبر مؤلفاته النقدية، إلى الاستفادة من هذه التجربة، لنستطيع تحقيق إبداع خاص بنا، ينطق بهويتنا ويتحدث عن آلامنا وعن أحلامنا التي نصبو إلى تحقيقها اليوم، عندئذ يصل هذا الإبداع إلى القارئ العربي، ويهز وجدانه، لكونه ينتمي إلى جذوره التراثية الأصيلة، كما يصل إلى القارئ الغربي، لكونه يتناول هموماً إنسانية بأسلوب ذي نكهة خاصة به، أي يلمس في هذا الإبداع شيئاً أصيلاً ينطق بالبيئة الخاصة لمبدعه، فلا يجد فيه تكراراً لأساليب غربية بل الاستفادة واعية منها، وبذلك يمكن لفن القصة في أدبنا العربي أن يحقق الأصالة والمعاصرة معاً.

صحيح أن فن القصة بشكله الحالي، فن وافد على أدبنا إلا أن في تراثنا الشعبي حكايات كان لها أثر بالغ في تطور هذا الفن

جبرا إبراهيم جبرا وقضية التراث الشعبي

د. ماجدة حمود

المسافة التي قطعتها ألف ليلة وليلة في رحلة الدرس المنهجي العربي والعالمي على السواء شاسعة، انطوت على ملامح من التحليل النفسي والاجتماعي والتاريخي، كما انطوت على دراسات مقارنة وبنوية لكنها عند جبرا إبراهيم جبرا بداية تفتح الطريق إلى مابعدھا.. قضية التراث الشعبي والنظرة إليه والتعامل معه، والدراسة المطروحة تقدم نموذجاً لإنصاف هذا التراث وتصحيح النظرة إليه.



- الملك شهريار يخرج للصيد وفي يده صقره المفضل. من كتاب ألف ليلة وليلة.

الرواية بزخمها الشديد في وقت كان فيه هذا الإنسان في حالة طموح ثوري إلى حرية تحقق هذا العالم الأمثل في كل مكان، وفي حالة تمرد على الطغيان. وقد وجدت كلتا الحالتين مسارب للتعبير خلال أساليب تتصل بهذا الكتاب العربي^(٢) الرائع الذي ينتمي إلى الحضارة الإسلامية التي فتحت نوافذها على الحضارات الأخرى. لاجدال إذاً في أننا تأثرنا بهذا الفن الأوروبي الجديد. لكن جبراً يؤكد أن في تراثنا جذوراً لهذا الفن، أثرت في القصة الأوروبية منذ بداياتها إلى اليوم، وهذا مدعاة للثقة بالنفس وحافز كبير للإبداع؛ لأن تراثنا أسهم في تطوير الرواية الغربية، فكانت «ألف

عند الأوروبيين، وقبل أن يصل إلينا، فقد كان أثر «ألف ليلة وليلة» في الرواية الإنكليزية وفي الرواية الفرنسية كبيراً جداً، في القرن الثامن عشر خاصة (وهو لا يزال كبيراً حتى اليوم). كان أثراً ربما لا يفوقه أو يساويه إلا أثر التوراة والأساطير والملاحم الإغريقية في نوع التركيب، وفي نوع العواطف والأحلام والنزعات التي تسير الأحداث وتتحكم بحياة الأشخاص. بل إن روايات عديدة كتبت بالضبط على الطريقة العربية حينئذ نذكر منها روايتي فولتير «كانديد، وصادق».

وألف ليلة وليلة كانت من نوع رحلة الإنسان عبر أحلامه إلى عالم أمثل. وجاءت

ليلة وليلة» مثلاً يطمح إليه الروائي الغربي ويحتذيه، خاصة بعد أن وجد فيه تجسيدا لعالم المثل (الحب والخير والجمال) وتجسيدا لمقاومة الإنسان في شتى الظروف، حالت دون يأسه أمام العقبات التي تعترض طريقه. وهذه قيم أزلية تهم كل إنسان.

وهكذا رأى الغربيون في «ألف ليلة وليلة» عملاً إبداعياً رائعاً، تعلموا منه وتمتعوا به، في حين كان السلف الذي سبقنا على طريق المحاولات الأدبية - كما يقول جبرا - ينظر نظرة متعالية إلى «ألف ليلة وليلة».

وهذه الفكرة التقليدية ابتلي بها العرب طوال قرون الركود الأدبي بعد سقوط الدولة العباسية، فكانوا يستصغرون شأن هذا الكتاب، الذي يكاد يكون مكتوباً بلغة عامية الصيغ، فاللغة فيه ربما لا تتوهج لفظاً، ولكنها تتألق بما فيها من شعر ومحتوى. ولم يلتفتوا إلى خطورة التركيب، وخطورة الفكر والصور المبتوثة في «ألف ليلة وليلة» ويدهشنا اليوم أننا لم نلتفت إلى ما كان في الكتاب من جوانب نفسية وجوانب اجتماعية، إلا في هذا القرن، هذه الجوانب التي تمثل جزءاً كبيراً من النقد الأدبي. وإذا ما تذكرنا أن الرواية المعاصرة تركز اهتمامها على الجوانب السيكولوجية، وتضيف إليها

الاهتمامات التركيبية، ندرك مرة أخرى لماذا تصبح «ألف ليلة وليلة» مهمة بالنسبة إلينا، خاصة وأنها أدب شعبي يزيد من قيمتها؛ فهي تمثل فوران الخيال الإنساني على نطاق الأمة كلها، إنه فوران بلا حدود... (٣).

يمكننا أن نلاحظ، هنا، أن الناقد جبرا يريد حماية «ألف ليلة وليلة» من النظرة التقليدية، التي تنال منها، لكون لغتها عامية الصيغ، وتغفل مافيه من شعر جيد وصور رائعة وعمق نفسي واجتماعي، مع أن هذه الجوانب هي التي تهم الرواية اليوم، لذلك لا يمكن أن تستنفد طاقتها، وتسقط فيها بمرور الزمن جوانب جديدة لم ينتبه إليها أحد من قبل، إضافة إلى أنها تجسد خيالاً مبدعاً لأمة بأكملها، ولهذا كانت أدباً شعبياً أحبه الناس إلا من لا يرى في الأدب إلا لغته المعجمية، وصار في الإمكان الاستفادة منها في إبداعنا المعاصر، على حين نجد المقامات - وهي أدب أعجب به التقليديون - قد صارت معجماً بالفعل، فظلت أدباً للخاصة، لا للعامة، وعندما التفت الآخرون إلى أدبنا، لم يجدوا في المقامات تلك الدهشة، تلك الروعة الإنسانية التي وجدوها في «ألف ليلة وليلة»... ولذا فإن المقامات بنثرها قد تلهم كاتباً واحداً أو اثنين، كالبستاني، أو محمد المويلحي، صاحب «حديث عيسى بن هشام» غير أن «ألف ليلة وليلة» تظل

حادي عشر بن هشر

أو
فترة من الزمن

محمد المويحي

الناشرون دارف المحدودة .. لندن

القصة العارفون بأصوله، ويبرز كذلك روعة البناء الفني في تلك الحكايات التي تبدو في جزئياتها «حكايات سرد» ولكنها في نطاقها الأوسع حكايات بناء «...بناء متراس تبدأ بقصة شهر يار وشهر زاد، حتى هذه القصة فهي مركبة تركيباً متداخلاً رائعاً يكاد يكون حديثاً، وتصبح قصة شهر يار وشهر زاد إطاراً لقصص متداخلة بعضها ببعض، تبدو كل واحدة منها كأنها منفصلة عن الأخرى، لكنها في الحقيقة قصة داخل قصة، داخل قصة... وفي النهاية فإن «ألف ليلة وليلة» (إذا لاحظنا الوعي الزمني فيها) وخلال مئات الصفحات منها، نجد أن

هذه القصص في واقعها تركيب واحد متراس كبير، ومحصلتها البحث... البحث عن ماذا؟ البحث عن الشخصية العربية؟ البحث عن الحكمة؟ البحث عن مغزى الإنسان فيما يسعى إليه ويحلم به، منذ أن خلق الله الإنسان؟ وهذا كله فيها، وهو الذي استطاع أن يبهر الحضارات جميعاً منذ القرن الثامن عشر إلى اليوم بحيث أصبحت ألف ليلة وليلة «جزءاً

- المقامات ادب اعجب به التقليديون فظلت ادباً للخاصة لا للعامة.

بشاعريتها الغامضة ملهمة لألف كاتب وكاتب^(٤).

إن ما يهيم الناقد عندما يمر على التراث هو أن يميز الصالح من الطالح، ولا يكتفي بتسليط الضوء على الصالح منه وحسب، وإنما يستخدم مختلف الوسائل لتثبيته في أذهان الناس، يبين ما يحتويه من عوامل المعاصرة، وكيف نال إعجاب الغربيين، وهم مبدعو فن

من التراث الإنساني كله، ومنذ أن ترجمت كان لها أثر في مسار الرواية أينما كتبت في العالم»^(٥)

فهي برأيه ليست حكايات سرد متفرقة، إذ كل حكاية منها تتداخل في الحكايات التالية حتى تؤلف تركيباً ذا بناء متماسك موحد، يقترب من الأسلوب المعاصر، بل إن الناقد يرى أن تلك الحكايات «تحتوي على الكثير من السريالية المدهشة لعل منشأها تداعي الأفكار تداعياً حراً، وإذا تمعنا في حكايات السندباد البحري بما تحويه من غرائب الخيال، وجدنا فيها نزعة سريالية صريحة».

ولكن هناك ما يوحد بناء تلك الحكايات وهو الشخصية العربية في بحثها عن الحكمة تارة، وفي أحلامها التي تكاد تكون أحلام كل إنسان، وبذلك استطاعت ألف ليلة وليلة «أن تؤثر في التراث الإنساني كله، في مجال الرواية خاصة وأن يكون لها مكانة رفيعة في العالم أجمع»

وليس مستغرباً - كما يرى جبرا - ألا نجد أسماء الذين دونوا هذه الحكايات، فقد كانوا كل الجماهير التي لا تحد ولا تعد في بغداد والقاهرة، الجماهير التي تحيا وتنتعش بالكلمة، رغم ما تعرضت له من طغيان ومجاعات وغزوات الأعداء الطامعين، فحافظت على حيويتها التي ظهرت في كتاب

ألف ليلة وليلة، ولذا بقي هذا الكتاب يتسع ويتراعى، ويفتني، ويتشعب أحداثاً، ويزداد شعراً، ويفيض بشراً، ويتعمق إنسانية، ويشتد بالتالي صدقاً في تصوير تجربة المدينة، وتجربة النفس وتجربة الأمة؛ إذ تتغلغل في ذاتها، وتجسد رموزها، حيث اختزنت ذلك الجوهر الغامض الذي استعصى على الظلام مهما تكاثف، على حد قوله: «لقد ضمت ألف ليلة وليلة معاناة الإنسان، كما ضمت أحلامه، ومحاولته تجاوز قيوده، كل ذلك عبر خيال مبدع، فاستطاعت بذلك أن تبقى على الزمان، وتعيش في ضمائر الناس في كل مكان».

إن جهد جبرا في هذا المجال يشكل محاولة لإنصاف تراثنا الشعبي، ويبدو لنا كأنه دعوة إلى وجوب قراءته قبل الشروع في الكتابة، فهو حين يحدثنا عن تجربته، يبين للقراء عامة وللكتاب خاصة، كيف تعلم أسس الكتابة من تراثه في فن جديد عليه هو فن الرواية، كما تعلمها من الرواية الغربية أيضاً، خاصة حين يستدرج القارئ ليكون عنصراً آخر في تجربته الروائية، إنه يجعل من استفادته من التراث في كتابته الروائية مثلاً حياً، يقدمه للكتاب والنقاد الذين يشككون بأهميته، ويرون فيه عائقاً للإبداع، فيبين لهم كيف كان التراث أحد الأسس التي شكّلت تجربته الإبداعية، فكان

بذلك روائياً مبدعاً في رأينا.

إنه بذلك يريد أن يؤكد أن إبداع الكاتب لن يكون بمتحه من معين واحد هو الغرب، فلا بد له من مورد آخر هو التراث «إننا في النهاية ندور، مهما ابتعد خط سيرنا، دورة كاملة، ونعود إلى جذورها، فنحن ربما عدنا مرة ثانية عن طريق الرواية الغربية إلى جذورنا في «ألف ليلة وليلة» وكتب الحكايات الأخرى، أي إلى جذورنا في الأدب الذي أوجدناه نحن عن طريق مجالسنا منذ ألف سنة، وبذلك فإن ما أكتبه يجب ألا يعد بشكل قاس، كأنه محاولة جاءت في أفضل الأحوال من السماء، وفي أسوأ الأحوال من الرواية الأوروبية^(٧).

بذلك نستطيع أن نعد جبرا إبراهيم جبرا أكثر النقاد اهتماماً في بيان علاقة التراث

العربي بفن القصة، ولعل تجربته الإبداعية في هذا المجال قد ساهمت في لفت نظره إلى أهمية هذا التراث القصصي الذي علّم العالم ما لم يعلمه إياه بوكاتشيو وشكسبير وسرفانتس، على حد قوله، أي الفن الروائي وإمكاناته الذهنية والمعمارية، فعلمه بذلك أدب الحضارة الحديثة.

إنه يريد أن نثق بأنفسنا ونرى ما قدمه تراثنا إلى الحضارة الإنسانية لتتجاوز كثيراً من عقد النقص التي تتربع في داخلنا، فنستطيع أن نبدع على صعيد الفن وغيره وإن سبقتنا أوروبا بمراحل، شرط أن نكون أنفسنا، فنمتلك وعياً تاريخياً يجعلنا لانقلد غيرنا، ولانعيد التجارب الماضية، وإنما نتعلم من هذا وذاك، ونأتي بما يعبر عن عصرنا وأصالتنا معاً. ■

الحواشي :

- ١ - أعمال جبرا إبراهيم جبرا النقدية هي:
- «الحرية والطوفان»، «النار والجوهر»، «ينابيع الرؤيا»، «الرحلة الثامنة»، «الفن والحلم والفعل»، «تأملات في بنيان مرمري»، «معايشة النمرة وأوراق أخرى».
- ٢ - جبرا إبراهيم جبرا : ينابيع الرؤيا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط / ١، ١٩٧٨، ص ٦٩.
- ٣ - المصدر السابق ص ٧٠.
- ٤ - المصدر السابق ص ٧١.
- ٥ - المصدر السابق ص ٦٨ - ٦٩.
- ٦ - جبرا إبراهيم جبرا : معايشة النمرة وأوراق أخرى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط / ١، ١٩٩٢ - ص ١١٤.
- ٧ - ينابيع الرؤيا ص ٧١.

منوعات عن قصة شالة وما إليها

محمد المنوني

كلية الآداب - الرباط

حسب تخمينات الباحثين، فإن منطقة شالة القديمة تبتدىء من هضبة باب زعير شرق مدينة الرباط - المغرب إلى أن تحاذي منخفضات وادي أبي رقراق، فتمتد متعاطفة حتى تتصل بفم الوادي عند قصبة الاودايا.

وفي عصر ما قبل الإسلام، عرفت الدول التي مرت بالمغرب في تاريخه المعروف، غير أن الذين استمرت آثارهم بشالة هم الرومان.

وفي العصر الإسلامي، يرجع أقدم نص جغرافي عنها إلى منتصف القرن الهجري الرابع، فيذكرها ابن حوقل^(١) في هذه الفقرة: «وبشله رباط يرابط فيه المسلمون، وعليه المدينة الأزلية المعروفة بشله القديمة، وقد خربت، والناس يسكنون برباطات تحف بها، وربما اجتمع في هذا المكان من المرابطين مائة ألف إنسان، يزيدون في وقت وينقصون لوقت، ورباطهم على برغواطة».

هذه ارتسامة ابن حوقل عن شالة خلال المائة الهجرية الرابعة، والفقرة غنية بالإشارات التاريخية.

فشالة القديمة وجدها الرحالة خربة عند منتصف القرن الرابع الهجري، ويبدو أن هذا كان واقعها منذ ظهور الإسلام بالمنطقة.

كما أن وصف شالة بالقديمة مؤشر على وجود سلا الحديثة في الفترة ذاتها، فلا قديم دون

حديث. وإلى هذا يفيد ابن حوقل أن شالة موضع جهاد لنشر الإسلام، وهي خطة بدأها الإمام إدريس الأول، فكانت شالة القديمة أول جهة قصدتها بالجهاد من عام ١٧٢ هـ: سنة بيعته^(٢) فأفاد «كتاب صفة الأرض» استمرار هذه الظاهرة إلى ما بعد جلاء الأدارسة عن شالة.

وسياخذ المبادرة - مرة أخرى - أبو الكمال تميم اليفرنى، وكانت قاعدة إمارته هي شالة، فكان يغزو منها برغواطة في كل سنة مرتين، إلى أن يُتوفى سنة ثمان وأربعين وأربعمائة^(٣) فيضطلع - بعده - بالجهاد دولة المرابطين، إلى أن يقضوا على هذه الطائفة نهائياً، ويتركوا بالمنطقة الرمز الكبير، والأثر العظيم الذي خلد ذكرهم عالياً. وخلد مآثرة شالة في الوقت نفسه، استشهد ماهد دولة المرابطين الإمام عبدالله بن ياسين، حيث يرقد في مشهده قريباً منها.

وهكذا نتبين أن المنطقة موضع جهاد، ومركز مقصود لتجمع المجاهدين، حيث كانت أعدادهم تتصاعد حيناً إلى مائة ألف مرابط أو أكثر.

إن تجمع المجاهدين ظاهرة انتقلت إلى مدينة الرباط بعد تأسيسها في أواخر القرن الهجري السادس، فكانت الجيوش الموحدية تمر بها وهي في طريقها إلى الأندلس. في مشهد بطولي أثار إعجاب مؤلف «الاستبصار»^(٤)، فسجل ملاحظته في هذه الارتسامة:

«وهذه المدينة قد شرفها هذا الأمر العزيز وكرمها، بما أحدثه فيها من المباني الرفيعة، والمنارة البديعة، وماهي وقت مرور المحلات عليها إلا من عجائب متنزهات الدنيا، لاسيما في الأعوام الخصبية والفصول المعتدلة، ناهيك من ساحل طوله نحو الميلىن وعرضه نحو الميل مملوء بالبشر، والزوارق في الوادي بركابها، والمنارة المطلية، وعلاقات الثمار، وعقد الزيتون، وجدر الكرمات، وقباب الجلوس للسادات - أيدهم الله - ظاهرة، وقبلية الجامع وأكثر منازره ذلك الحصن المشرف ظاهرة من المدينة، وماهي في أوقاتها إلا أملح من ديار مصر، ومايحكى عن دجلة والفرات، فإننا لله على الفناء والممات، والله در من قال:

والدهر بركة ماء

الناس مثل حباب

وعالم في انطفاء

فالم في طفو

والآن نعود إلى ابن حوقل، حيث يشير إلى رباطات تحف بشالة يسكنها الناس، ولا بد أن يكون بين الرباطات موقع بناية شالة المرينية، ومن المؤكد أنها تستوعب القلعة القيادية لكل من الأدارسة وبني يفرن كلها أو بعضها، وهي حقيقة تؤيدها الحفائر الأثرية سنة ١٩٦٠ م بشالة، فقد كشفت هذه التقنيات، عن تخطيط محرابين، وحدودهما أسفل محراب مسجد

يعقوب بشالة المرينية، فيرجح المكتشفون أن أحد المحرابين لمسجد من العصر الإدريسي، والثاني من عصر بني يفرن^(٥).

وعن الدولة الأخيرة كشفت الحفائر قبة مدفن الأمير تميم اليفرني وولده محمد لصف قبة مسجد يعقوب بشالة^(٦).

ومرة ثالثة يذكر الأستاذ الأثري عثمان إسماعيل، كشفاً في المكان ذاته لقاعة شهداء موقعة طريف بالأندلس أيام أبي الحسن المريني، ويحدد مكانها بين الجدار الشرقي لمصلى مسجد يعقوب المريني، وبين الجدار الغربي لصحن زاوية الخلوة^(٧).

ومن شأن هذا الاكتشاف أن يحدد الطابع الجهادي للمنطقة، ويبرز واحدة من حيثيات قدسية شالة.



لم يبق -بعد هذا- إلا أن ينتهي بنا المطاف إلى عمق شالة المرينية، حيث قامت الدراسات حولها: مغربية ومشرقية وغربية. فلنقف حيث انتهى هؤلاء، في محاولة لتقديم إضافة جديدة عن المآثرة المرينية.

ومن ذلك أن المؤلفين - المنوه بهم - ذكروا القبة المشيدة على ضريح أبي الحسن المريني، مع البناية المتصلة بها التي تسمى زاوية، غير أنهم لم يذكروا لذلك مستنداً تاريخياً، ولانقشاً أثرياً.

ولحسن الحظ أن آثار هذه النقطة بالذات مؤلف عاصر إنشاء البنيتين معاً، وهو إبراهيم ابن الحاج النميري، فسجل في «قبض العباب»^(٨)، عن أبي عنان أنه هو مؤسس القبة - بشالة - المرفوعة على مشهد والده أبي الحسن، وزوجه شمس الضحى.

وعن وصف البناية وهي في جدتها يذكر أنها من عجائب الدنيا، وأعظم مصانعها: أزرها من الرخام الأبيض الناصع، وقد ازدانت الواحة بالزخرفة والتنميق، وغطت واجهات البناية حتى اتصلت بتيجان الأقواس.

وبعد هذا ينتقل المصدر نفسه إلى مدرسة شالة، وهي التي تسميها الدراسات - غلطاً - بالزاوية، وينسب بناؤها لأبي سعيد المريني الأول، غير أن ابن الحاج النميري يثبت - بحكم معاصرته - أن مؤسسها هو أبو عنان، ويصفها وهي في رونق جدتها، فيقول بعد ذكر مشهد أبي الحسن:

«وهي متصلة بهذه القبة الجديدة، مجاورة منها للروضة السعيدة: مدرسة شامخة البناء، وثيقة الأساس، منفسحة الأرجاء، حيطانها كالأسوار، لابسة البياض. رائقة الجمال، وقد رتبت أحسن ترتيب، وبوبت مداخلها أحسن تبويب، وفرشت من الزليج بما هو أجمل من ممطور الأزاهر، ونسقت غرفها على رؤوس بيوتها نسق التيجان...» ثم يختتم بوصف مصلى المدرسة، وصهريجها الذي يشق صحنها.

وننتقل -الآن- إلى ابن الخطيب^(٩) وهو يدون «نفاضة الجراب» فيخبرنا عن موسم أعر عايش مباحجه وهو مجاور بشالة، والقصد ليلة سبع وعشرين من رمضان، فيصف لسان الدين الاحتفال المقام في الحرم المريني بهذه المناسبة حيث يقول:

«... وأظلت ليلة سبع وعشرين إحدى مواسم شالة، المختصة باستجلاب الأمم، وتخيم الخيم، واحتفال الأسواق، ورفع المغارم، والوليمة لأهل الخير وأولي الهيئات بالضريح، فاحتفل معتاد الإطعام... واستدعيت أصناف الحلواء، واستكثر من الوقود، واستدعي إلى الإيوان لصقها - المعد لذلك - المغنون، واستحضر القاضي والعدول، والخواص والأعيان والأمناء».

وهكذا قدمت لنا ارتسامة ابن الخطيب وصفاً لإحدى الحفلات الدينية بشالة المرينية، مع إشارة لتعدد مواسمها، ثم دلت الفقرة نفسها على عمارة مدينة الرباط آنذاك، مما استلزم نصب القاضي والعدول، فضلاً عن وجود طبقة الخواص والأعيان والأمناء.

ونقف مع ابن الخطيب مرة ثانية: فقد نظم موشحة تطرّق فيها إلى مدح أبي سالم المريني، بعد ما أفاض في ذكر سلا والرباط وشالة:

يا حادي الجمال عرج على سلا هام بالجمال قلبي وماسلا

عرج على الخليج	والرمل والحمى
في المنظر البهيج	بالبيض كالدمى
والأبطح النسيج	من صنعة السما

لله من جلال تختال في حُلا لم تلف في اعتدال عنهن معدلا

وطف من الرباط	بـركن طائف
بمنزل اغتباط	دار الخلائف
مقدس المواط	جـم العوارف

كم من سنا هلال بأفقه انجلي أنحى على الضلال فانجاب وانجلي

جني النعيم دان	والبحر والغدير
أهلّة السثوانى	في أفقه تسير

وقهوة الدنان
أغر كالغزال
يسطو ولايبالي
مقلد الطّلا
يديرها مدير
بالأسد في الفلا

ونختم هذا العرض بإشارة تبرز عالماً من شالة دون أن توضح اسمه، وذلك مايسجله ابن
القاضي وهو يسرد إنشادات شيخه محمد بن يوسف الترغي، وهكذا يأتي في «درة
الحجال»^(١١) والسياق عن العالم الترغي: وأنشدني لبعض علماء شالة:

كل العلوم سوى القرآن زندقة

إلا الحديث وإلا الفقه في الدين

والعلم منبع ما قد كان حدثنا

وماسوى ذاك وسواس الشياطين

القاضي عياض في الإلماع^(١٢) ينسب البيتين لبعض علماء شاش، كأن هذه البلاد تصحفت
عند ابن القاضي بشالة. ■

هوامش بالمصادر :

- ١ - «كتاب صورة الأرض» منشورات دار مكتبة الحياة- بيروت دون تاريخ ص ٨٢.
- ٢ - «روض القرطاس» لابن أبي زرع، المطبعة الحجرية بفاس ١٣٠٥ هـ: ص ٧.
- ٣ - «المصدر» ص ٧٤.
- ٤ - دار النشر المغربية - الدار البيضاء ١٩٨٥: ص ١٤١.
- ٥ - «حفاثر شالة الإسلامية» د. عثمان عثمان إسماعيل، دار الثقافة- بيروت ١٩٧٨: ص ٣٠٧ ومابعدها.
- ٦ - «المصدر» ص ٢٠٤ ومابعدها.
- ٧ - «المصدر» ص ٣٤٠.
- ٨ - مخطوط الخزانة الحسينية بالرباط. س ٢٢٦٧: ص ٥٧ - ٥٩.
- ٩ - «نفاضة الجراب»: السفر الثاني، دار الكاتب العربي- القاهرة دون تاريخ: ص ١٢٢ - ١٢٣.
- ١٠ - «المصدر» ص ١٦٩ - ١٧٠.
- ١١ - نشر المكتبة العتيقة بتونس ودار التراث بالقاهرة عام ١٣٩١ / ١٩٧١: ٢ / ١٧٤.
- ١٢ - نشر المؤسستين ١٣٨٩ / ١٩٧٠: ص ٤١.

إلى شروع العلماء المسلمين في التأليف الرياضي بمختلف جوانبه المتمثلة بأساليب العد، واللوغاريتمات الحسابية، والعلاقات الجبرية، ونظرية المتوازيات، وحساب المثلثات.

وقد بقيت المدرسة الرياضية البغدادية متأثرة بأعلامها البارزين كالخوارزمي، والفرغاني، وثابت بن قره، والبوزجاني، والكرجي لأكثر من ثلاثة قرون. ثم تبع ذلك نهوض عدة مدارس رياضية في أنحاء الدولة العربية الإسلامية المترامية الأطراف. فبرزت مدرسة ابن الهيثم في العصر الفاطمي، وانتعشت مدارس دمشق في العهد الأيوبي، وبرزت مراغة، وبخارى، وغزنة، إبان المرحلة المغولية.

وبالرغم من أن مستوى التأليف والإبداع كان قد بدأ يتأثر سلباً بالظروف السياسية والاجتماعية أواخر القرن الثامن الهجري، إلا أن هذا لم يمنع من تألق بعض المراكز العلمية الهامة، وكان أبرزها مدينتا سمرقند، والقاهرة.

ويطلق الباحثون على النصف الثاني من القرن الثامن للهجرة تسمية عصر ابن الهائم في الرياضيات^(١)، وهو العصر الذي شهد إنجازات الكاشي، وقاضي زاده في

مخطوطات ابن الهائم الرياضية

أتاحت حركة الترجمة - التي ازدهرت في بغداد أوائل القرن الثالث للهجرة - دراسة معظم المؤلفات الرياضية التي وصلت إليها حتى ذلك الحين. فاطلع العلماء العرب خلال تلك المرحلة على «عناصر» إقليدس، و«سوائل» أرخميدس، و«مخروطات» أبولونيوس، و«أشكال» مينالاوس، و«مجسطي» بطليموس.

د. مسلم الزبيق

إلا أن هذه المعلومات غدت قاصرة عن تلبية متطلبات الحياة العلمية المتصاعدة آنذاك، كما أنها لم تعد تفي بالإجابة عن كثير من التساؤلات (المنطقية - الرياضية) التي بدأت تثار حينذاك. وقد أدى هذا الأمر

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

Handwritten marginal notes in Arabic script, likely providing commentary or additional examples related to the main text.

Handwritten marginal notes in Arabic script, continuing the commentary or examples.

بسم الله

الورقة الاولى من مخطوط (المقنع في الجبر والمقابلة) رقم ٢٦٠١

سمرقند، والقلصادي، واللجائي في الأندلس، وابن المجدي، وابن الشاطر في القاهرة. وابن الهائم هو: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمادالدين المصري، ثم المقدسي.

ولد في القاهرة سنة ٧٥٦ هـ^(٢) وتلقى علومه على أبي الحسن علي بن عبد الصمد الجلابري المالكي، فبرع في الفقه واللغة والفرائض والرياضيات، وتصدّى للتدريس والإفتاء، فذاع صيته، وصار ذا مكان مرموق في أنحاء مصر^(٣). ولما تولى زين الدين أبو بكر بن عرفات القمني التدريس في المدرسة الصلاحية بالقدس سنة ٧٩٧ هـ^(٤)، اصطحبه واستنابه في التدريس، فأصبح من شيوخها وعلمائها البارعين، وبقي فيها إلى أن توفي سنة ٨١٥ هـ، ودفن في مقبرة مأمّن الله بالقدس الشريف^(٥).

مؤلفاته :

صنّف ابن الهائم في الفقه والأدب واللغة والفرائض والرياضيات. ومن أهم كتبه: «إبراز الخفايا في فن الوصايا»، و«التحفة القدسية»، و«ترغيب الرائض في علم الفرائض»، و«المسرّع»، و«الحاوي في الحساب»، و«شرح الأرجوزة الياسمينية»، و«غاية السؤل في الإقرار بالدين المجهول»، و«الفصول المهمة في مواريث الأمة»، و«القواعد المنظومة»، و«اللمع في الحساب»، و«مفتاح الحساب»، و«المقنع في الجبر

والمقابلة»، و«الممتع في شرح المقنع»، و«المعونة في حساب الهواء»، و«نزهة النظر في صناعة الغبار»، و«نزهة النفوس في بيان حكم المتعامل بالفلوس»^(٦).

وقد حظيت هذه المؤلفات بأهمية كبيرة وشهرة واسعة، نظراً لغزارة المادة العلمية فيها، وإلمام المؤلف بالموضوعات الرياضية التي صنفت من قبل، ومناقشتها، والتعليق عليها، ونقدها. ولعل خير دليل على شهرة هذه المؤلفات، تلك الشروح المستفيضة لمصنفاته في الفرائض والحساب والجبر والمقابلة، التي اعتمد عليها حتى مراحل متأخرة من التأليف الرياضي.

ويحتفظ «مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث» بمجموعة من مخطوطات ابن الهائم في العلوم الرياضية، وهي:

- ١ - «المقنع في الجبر والمقابلة»: نسختان.
 - ٢ - «المسرّع في شرح المقنع»: نسخة واحدة.
 - ٣ - «نزهة النظر في صناعة الغبار»: نسختان.
 - ٤ - «مرشدة الطالب إلى أسنى المطالب»: نسختان.
 - ٥ - «اللمع في الحساب»: نسخة واحدة (ط).
 - ٦ - «الدر الثمين في شرح أرجوزة ابن الياسمين».
- وفيما يلي إيضاحات عن المخطوطات التي لم تطبع بعد:

كتاب المسرع شرح المنع في الكبر
 والعدا بته باليف الشيخ العام العالم
 العام شيخ بالدين ابوالعباس احمد بن محمد
 بن الهادي بن عمر نعم الله به بالعلم
 والبرصوان راسلهم فيسبح امتان
 محمد وادم امير

سبب العنقلا
 للفتي الهادي بن محمد قدسنا الاشكال نحو
 مدي القدر بنما انا اشع الطلاب نحو

ع

از رقت مصعيف
 مدر وادوا حافه
 في شهر ربيع الثاني سنة ١٣٥٥ هـ
 مدر وادوا حافه

الورقة الاولي من مخطوط (المسرع في شرح المنع) رقم ٢٦٠١

١ - «المقنع في الجبر والمقابلة»:

نسخة نفيسة رقمها ٢٦٠١، مكتوبة بقلم معتاد سنة ٨٦٧ هـ، وهي تشغل ثلاث ورقات ضمن مجموع يتألف من تسع عشرة ورقة (١٩ × ١٤ سم). والمخطوط منظومة لامية من البحر الطويل، كتبت عناوين فصوله بالحمرة، واحتوت هوامش الورقة الأولى منه على بعض الشروح.

بدايته:

وبعد فعلم الجبر علم معظم
يميل إليه المتقون الأفاضل
واني لحاو لبّيه في قصيدة
بها يكتفي ذو فطنة ويطاول
ونهايته:

وأبياته تسع وخمسون أنشئت
بالاقصى وشهر اليمن فهي تطاول
ربيع من العام الذي ضبط عدّه
بذال وضاد فالبنا متكامل
أما النسخة الثانية ورقمها (٤٧٦١) فقد
كتبها أحمد السباع بقلم معتاد سنة ١١٩٣ هـ.

وتشغل ثلاث ورقات ضمن مجموع من خمس ورقات (١٩ × ١٤,٥ سم). وهي بحالة جيدة، كتبت عناوين الفصول فيها بالحمرة، وهوامشها خالية من الشروح أو التعليقات.

نسخ المخطوط:

- دار الكتب المصرية: ٢٨٩ / ٣ تج، ٦١١ /

در، ٧٠٣ / ٥ دج، ٣٦٠ / ٢ در.

- مخطوطات برلين / اهلورد: ٥٩٩١.
- غوتا / برلين: ١٤٨٤، ١٤٨٥.
- مكتبة الأوقاف / بغداد: ١ / ٥٥٠١ مجاميع.
- المكتبة الوطنية / باريس: ١١٠٧.
- الجامعة الأميركية / بيروت: ٥٨٢.
- مكتبة حسن حسني عبد الوهاب / تونس: ١٨٢٦٣.
- الظاهرية / دمشق: ٤٨٢٣.

شروحه:

- «المتع في شرح المقنع»: لابن الهائم.
- «المسرع في شرح المقنع»: لابن الهائم سنة ٨١٠ هـ.
- «القول المبدع في شرح المقنع»^(٧): لبدر الدين محمد بن محمد بن أحمد سبط المارديني. سنة ٨٧٦ هـ.
- «فتح المبدع في شرح المقنع»^(٨): لأبي يحيى زكريا الأنصاري.
- «شرح المقنع»^(٩): لقاسم بن صلاح الدين الخاني.



٢ - «المسرع في شرح المقنع»:

نسخة قيمة رقمها ٢٦٠١، كتبها أحمد ابن شعبان بقلم معتاد سنة ٨٦٧ هـ في القدس. وهي تشغل ثلاث عشرة ورقة ضمن مجموع من تسع عشرة ورقة (١٤ × ٩ سم). أصابتها الرطوبة بشكل ملحوظ، فيما كتبت مداخل الفصول

والفقرات بالحمرة.

بداية المخطوط : «أما بعد حمد الله...
فالفرض اختصار المقنع وتسمية مختصره
بالمسرع، ليسهل على من قصرت همته
تناوله، والله المستعان في كل ماأحاوله...».

ونهايته : «... السادسة... فقابل، واعمل
عمل السادس يكن أربعة وعشرين، فقس
على هذه الأمثلة مما يرد من أشباهها».

ويتألف المخطوط من عدة فصول، يتعلق
بأسماء الأنواع المجهولة للأعداد، ومراتبها
وأسوسها، والجمع والطرح، والضرب
والقسمة، ومختلف المسائل الجبرية. وكان
ابن الهائم قد أنجز هذه الرسالة في القدس
سنة ٨١٠ هـ، اختصاراً لرسالته: «المتع في
شرح المقنع» وهي كذلك شرح لرسالته
الشهيرة: «المقنع في الجبر والمقابلة»^(١٠).

نسخ المخطوط :

- برلين / اهلورد : ٥٩٩١.
- معهد المخطوطات : فيض الله ١٣٦٦ / ف ٨٨٣.
- مكتبة الأوقاف / بغداد : ١٠ / ٥٥٠١
مجاميع.
- مكتبة حسن حسني عبد الوهاب / تونس:
١٨٢٦٣.
- الظاهرية / دمشق : ٢٤.
- دار الكتب المصرية : ١٧ تر، ٢٨٩ / ٤

تج، ٢٨١٥ / دك.



٣ - «نزهة النظار في صناعة الغبار» أو «نزهة الحساب»:

كتبت النسخة الأولى رقم ٢٦٠٣ بقلم
معتاد سنة ١٢٠٨ هـ، وتقع في أربع
وعشرين ورقة، ضمن مجموع من اثنتين
وستين ورقة (٢٢ × ١٦ سم). أصابها
قليل من الرطوبة في حوافها، وقد كتبت
عناوينها الرئيسية والأعداد بالحمرة.

بداية المخطوط : «أما بعد: حمداً لله...
فإن كتابي الموسوم بالمرشدة في صناعة
الغبار لما تلقي بالقبول وحظي بالانتشار...
فالتمس مني أن أخصه مبالغاً في الاقتصار،
فأجيبته... حاصراً له في مقدمة وبابين
وخاتمة...».

ونهايته : «... الخاتمة... الفصل الثاني..
ومن رام التبحر في التصرف في المجهول
بالأعداد المتناسبة فعليه بالمعونة التي فاقت
كتب هذا الفن قاطبة».

أما النسخة الثانية ورقمها ١٧٢١،
فنسخها محمد علي بقلم معتاد سنة ١٢٥٦
هـ. وتتألف من خمس وعشرين ورقة من
القطع الصغير (٢١ × ١٥ سم). أصابتها
الرطوبة قليلاً، كما كتبت عناوينها الرئيسية
ومداخل الفقرات فيها بالحمرة.

ويتألف المخطوط من مقدمة وبابين

وخاتمة. تناولت المقدمة أسماء الأعداد، وأشكالها ومنازلها. فيما تناول الباب الأول أعمال الصحيح من جمع وطرح وضرب وقسمة وتجذير. أما الباب الثاني فتطرق إلى أعمال الكسور وسوابقها ولواحقها. وتضمنت الخاتمة فصلين في الأعداد المتناسبة، والعمل بالكفات.

نسخ المخطوط :

- المتحف العراقي : ٢٣١٤٤ / ١ ، ١٤٠٨٦ ، ٢١٨١٩ / ٢ ، ٤٤٣٧ / ١ ، ١٤٠٦٩ / ١ ، ١٠٥٧٢ / ٢ .
- الأزهرية : ٥ / ٣٦١٣ ، ٤٣ / ٥٧٦٩ ، ٤٤ / ٦١٦١ ، ٦٨ / ٧٨٤٠ ، ٢٢١ / ١٦٢٤٩ ، ٢٩٢ السقا / ٢٨٩٠٧ ، ٣٠٩ / ٣٩٩٨٠ حليم ٣٤٥٧٤ ، ٣٢٦ / صعايدة ٣٩٩٨٠ .
- جامعة استانبول : ١٥٣٤ .
- نور عثمانية : ٢٩٧٥ .
- أفيون قراحصار : ١٧٢١٨ .
- البلدية / الإسكندرية : ن ٣٧٠٦ - ج ، ن ٣٩٠٢ - ج .
- مكتبة الأوقاف / بغداد : ٤ / ٢٨٩ مجاميع .
- الجامعة الأميركية / بيروت : ١٢٠٨ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ .
- الظاهرية / دمشق : ٩٥٥٧ ، ٣٠٧٩ ، ٦٩٩٣ ، ٣٠٨١ ، ٤٢٦٩ ، ٤٥٨٨ ، ٤٨٩٨ .

٥٤٢٨ ، ٦٦٦٦ ، ٧٣١٩ ، ٣٠٨٨ ، ٣٠٨٩ .

- غوتا / برلين : ١٤٧٩ ، ١٤٨٢ .
- دار الكتب المصرية : ٢٩٧ در ، ٣٠٨ در ، ٢٢٦ / ٣ دج ، ١٤٧ تر ، ٦٨٨ / ١ طج ، ٥٨٢ / ٤ طج ، ٧٧٨ / ٢ زك ، ١٧١٠٤ ك ، ١٨٣٦٣ ك ، ٨٣ / ٢ در .

شروحه :

- «عدة الحاسب وعمدة المحاسب» : محمد ابن إبراهيم الحلبي (شرحه سنة ٩٥٤ هـ) (١١)
- «شرح النزهة» : شهاب الدين أحمد بن محمد الغزي (١٢) .
- «تحفة الطلاب في شرح نزهة الحساب» : جمال الدين بن أعز الدمشقي (١٣) .
- «كشف الأستار عن نزهة الغبار» : حسين ابن محمد المحلي (شرحه سنة ١١٦٣ هـ) (١٤) .
- «شرح النزهة» : يحيى بن تقي الدين بن إسماعيل بن عبادة الحلبي (شرحه سنة ١٠٠٧ هـ) (١٥) .
- «شرح النزهة» : محمد بن أبي الخير الدمشقي (١٦) .
- «شرح النزهة» : عبد القادر الفيومي (١٧) .
- «رفع النقاب عن نزهة الطلاب» : عبدالله ابن حسن العفيف الكازوني (١٨) .
- «مناهل السرور لمبتغي الحساب

والكسور»: محمد بن عابدين^(١٩).



٤ - «مرشدة الطالب إلى أسنى المطالب»: نسخة تامة برقم ٣٥٤١، كتبها بخط نسخي سنة ١٢٢٨ هـ محمد بن اسماعيل الساعجي، وتتألف من ثلاث وخمسين ورقة من القطع المتوسط (٢١,٥ × ١٥ سم). بدايته: «الحمد لله... أما بعد: فإن بعض الراغبين في تعلم الحساب التمس مني مقدمة في هذا الباب... بادرت إلى إجابته بما سأله حاصراً له في مقدمة وقسمين وتكملة...». ونهايته: «... التكملة... الفصل الثالث... فالذي وقع في رتبة الآحاد فهو أحد الأعداد، وعدة عشراته هو العدد الثاني، وعدة مئاته هو العدد الثالث».

أما النسخة الثانية ورقمها ٢٨٠٢ فتعود إلى القرن الحادي عشر الهجري، مخرومة الأول، وتتألف من سبع وعشرين ومائة ورقة (٢١ × ١٥ سم) أصابها كثير من الرطوبة. كتبت بخط نسخي، وعناوينها الرئيسية والمداخل بالحمرة، واحتوت هوامشها على بعض الشروح والملاحظات. ويتألف المخطوط من مقدمة وقسمين وتكملة:

- المقدمة: تحوي عدة مسائل تتعلق بتعريف علم الحساب وعملياته المختلفة.

- القسم الأول: يتألف من ستة أبواب في التضعيف والتنصيف والجمع والطرح والضرب والقسمة.

- القسم الثاني: يتألف من مقدمة وعشرة فصول. تحوي المقدمة مسألتين؛ الأولى: في تعريف الكسر وأسمائه الأصلية وصوره. والثانية: في تعريف أقسام الكسر. أما الفصول فهي: في بيان معنى البسط وكيفيته، في بسط الصحيح مع الكسر، في معرفة النسبة بين عددين، في الجمع والعمل فيه، في الطرح والعمل فيه، في الضرب، في القسمة والتسمية - في التحويل، في الجزء ومقداره، في الجبر والخط ومعرفة ما فوق الكسر والغرض في الأولين.

- التكملة: تحوي ثلاثة فصول. الأول: في الأعداد المتناسبة، الثاني: في العمل بالكفات، الثالث: في ذكر مسائل مجهولة واستخراجها.

نسخ المخطوط:

- شهيد علي / استانبول: (٢٧٠٦ / ٤).
- جامعة استانبول: (١٢٢٥).
- المتحف العراقي: (٣١٥٦٥).
- الأزهرية: (٤ / ٢١٦٢) - (٥١ / ٧٦٥١) - (٣٣٠ / زكي ٤١٦١٢) - (٣٩٦ / ٥٣٦٦٠).
- البلدية / الإسكندرية: (ن ٥١٩٢ ج).

- دار الكتب المصرية : (٣٨١٥ ك) -
(٤٢٩٠ ك) .

- غوتا / برلين : (١٤٧٨) .

- الظاهرية / دمشق : (٣٠٧٧) -
(٤٩٠٤) - (٤٤٢٨) .

شروحه :

- « بغية الراغب في شرح مرشدة الطالب » :
عبدالله بن محمد بن عبدالله الشنشوري .
(شرحه سنة ٩٩٥ هـ) (٢٠) .



٥ - « الدر الثمين في شرح أرجوزة ابن الياسمين » .

نسخة حديثة العهد نسبياً رقمها ٤٨٢٧ ،
كتبها أحمد بن عبدالرزاق البيطار بقلم
تعليق، وتتألف من خمس وأربعين ومائة
ورقة من القطع الصغير (٢٢ × ١٥ سم) .
وهي بحالة جيدة، كتبت الأبيات المقتطفة من
أرجوزة ابن الياسمين وعناوين الأبواب
والفصول والمسائل بالحمرة، واحتوت
الهوامش على بعض الشروح والتعليقات .

بداية المخطوط : « ... إن علم الجبر
والمقابلة من أجل العلوم ... واشتهرت لحسن
قصد صاحبها ... الأرجوزة المعروفة بابن
الياسمين ... التمس مني بعض الأفاضل
بشرح واف شامل ... » .

ونهايته : « ... الخاتمة ... إلى ما خصها من

الثلاث كان المجتمع مائة، وإذا ضم إلى
وصية زيد وإلى ما بقي للورثة كان المجتمع
ثلاثمائة » .

ويتألف المخطوط من مقدمة وثلاثة
أبواب وخاتمة :

- المقدمة : في بيان معاني الألفاظ التي
يتداولها أهل هذا الاصطلاح بينهم
كالعدد، والشئ، والجذر، والمال،
والكعب .

- الباب الأول : في بيان وجود التصرفات
في المقادير المجهولة حيث هي مجهولة
كضربها وقسمتها وتسميتها وجمعها
وطرحها .

- الباب الثاني : في بيان المسائل الست
التي ينتهي إليها الحاسب بالمعادلة إلى
إحداها .

- الباب الثالث : في كيفية تناول المسألة،
ومحاولتها إلى أن تخرج إحدى المسائل
الست .

ومن المعروف أن هذا المخطوط شرح
لـ «الأرجوزة الياسمينية» التي ألفها:
عبدالله بن محمد بن حجاج الشهرير بابن
الياسمين (ت ٦٠١ هـ) (٢١) . وقد حظيت
هذه الأرجوزة بشهرة واسعة بين
الرياضيين العرب، فتناولوها بالشرح
والتعليق، وكان أبرزهم:

- محمد بن محمد بن أحمد سبط
المارديني: « التحفة الماردينية في شرح

الياسمينية»^(٢٢).

- علي بن محمد بن علي القلصادي: «غنية الطالبين علي جذور ابن الياسمين»^(٢٣).

- شهاب الدين أحمد السجاعي: «فتح ذي الصفات السنية بشرح متن

الياسمينية»^(٢٤).

نسخ المخطوط :

- دار الكتب المصرية: ٤٣١٣ / ١ ك، ١ در،

١٨ مر، ١٩ مر.

- دار الكتب الوطنية / تونس: ٥٩٦.

- جامعة أم القرى: ١٤٠٥.

- طوب قابوسراي / استانبول: ١٩٩٩-

٦٩٩٤ E.H - ٢٠٠٤، ٦٩٩٢ E.H

- كوبريلي / استانبول: ٩٤٧.

- الظاهرية / دمشق: ٣٠٨٤، ٩٢٥١. ■

الهوامش :

١ - انظر : بروكلمان، الذيل، ١٢٥ / ٢. وسارتون، المقدمة ٢ / ٢٤٢.

٢ - وفي «شذرات الذهب» ٧٥٢ هـ.

٣ - «الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل»، الحنبلي، ١١٠ / ٢، منشورات الشريف الرضي، ١٩٦٦.

٤ - «المدرسة الصلاحية» بباب الأسباط: وقف صلاح الدين الأيوبي في القدس سنة ٥٨٨ هـ.

٥ - «تراث العرب العلمي»، قدرى طوقان، منشورات المقتطف، ص ٢٢٢، ١٩٤١.

٦ - راجع : الهدية ١ / ١٢٠. بروكلمان، الذيل ٢ / ١٢٥. سوتر، ١٥٢.

٧ - «المخطوطات العلمية في دار الكتب المصرية»، ديفيد كنج، ٩١٥ / ٢، القاهرة، ١٩٨٦.

٨ - المرجع السابق، ٢ / ٩١٦.

٩ - المرجع السابق، ٢ / ٩١٦.

١٠ - المرجع السابق، ٢ / ٩١٤.

١١ - المرجع السابق، ٢ / ٩١٠.

١٢ - المرجع السابق، ٢ / ٩٠٩.

١٣ - المرجع السابق، ٢ / ٩١١.

١٤ - بروكلمان، ٢ / ٣٢٣، والذيل ٢ / ٤٤٥.

١٥ - كنج ٢ / ٩١٠، دار الكتب المصرية ١١٠٠ در.

١٦ - المرجع السابق، ٢ / ٩١١.

١٧ - المرجع السابق، ٢ / ٩١١.

١٨ - المرجع السابق، ٢ / ٩١٢، وبروكلمان، الذيل ٢ / ٢٤١. ومخطوط دار الكتب المصرية ٣٩٥٣ / ك.

١٩ - كنج ٢ / ٩١٢، دار الكتب المصرية ٨١٧ / ١ در.

٢٠ - كنج ٢ / ٩٠٨، بروكلمان ٢ / ٣٢٠، دار الكتب المصرية ٣١٨ در.

٢١ - كشف الظنون، ١ / ٦٢، كنج، ٢ / ٨٧٦.

٢٢ - كنج ٢ / ٨٧٨.

٢٣ - المرجع السابق، ٢ / ٨٨١.

٢٤ - المرجع السابق، ٢ / ٨٧٩.

تكريم النبوة في كتاب الشفا

د. حسن جلاب

عميد كلية اللغة العربية بمراكش

كل كتابة تبدأ من سؤال.. وربما لا تجد الجواب، ولكنها تحلل السؤال في اتجاه الجواب الذي قد يتحقق في النهاية. وكتاب «الشفا» لأبي الفضل عياض اكتنفته بعض المعتقدات والتحليلات التي استقرت في أذهان بعض الناس، حادت به عن الغاية التي أراد لها عياض أن تصل إلى أهل عصره وزمانه، ودفع حياته ثمناً لها..! وهذه المقالة بدأت من طرح هذا السؤال، فهل يتأتى لها الجواب..؟

خلف عياض مؤلفات عديدة وصلنا بعضها وضاع بعضها الآخر. وباستثناء كتاب «الغنية» الذي ذكر فيه شيوخه ومروياته، لا تخرج باقي المؤلفات عن موضوعي الحديث والفقه ورجاله. - فمن الصنف الأول : الشفا، والإلماع، وبغية الرائد، ومشارك الأنوار، وإكمال

القاضي أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي علم من أعلام المذهب المالكي بالمغرب، ولد بسبته سنة ٤٧٦ هـ وتوفي بمراكش سنة ٥٤٤ هـ مسموماً. كان متنوع الثقافة، عميقها، اشتهر في كل الأقطار حتى قيل عنه: «لولا عياض لما ذكر المغرب» و«المغرب كله حرم لأبي الفضل».

المعلم.

- ومن الصنف الثاني : ترتيب المدارك، والإعلام بحدود قواعد الإسلام، والتنبيهات المستنبطة على المدونة، ونوازله «أجوبة القرطبيين». ونسبت إليه مصنفات أخرى في التاريخ والنوازل لم يصلنا شيء منها.

ولقد لقي كتابه «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى»^(١) صلى الله عليه وسلم من العناية والشهرة ما لم تلقه باقي مؤلفاته. فحرص الناس على نسخه وقراءته وتدريسه وشرحه والتعليق عليه والتنويه بقدره ومستواه، في مختلف العصور. فقد نقل المقرئ عن عمه سعيد بن أحمد قوله: «ما ألف في الملة المحمدية مثل كتاب الشفاء للقاضي عياض»^(٢). قال المقرئ: «وفضائل هذا الكتاب لا تستوفي»^(٣). لذا عدّه نفحة ربانية «لايمتري من سمع كلامه العذب السهل المنور في وصف النبي صلى الله عليه وسلم، ووصف إعجاز القرآن، أن تلك نفحات ربانية ومنحة صمدانية خص الله بها هذا الإمام وحلاه بدرها التنظيم»^(٤).

وعلى الرغم من أن عياضاً لم يكن هدفه جعل «الشفاء» من قبيل الرقى والتعاويذ، فإن هذه الصفة قد ارتبطت به. لذا بالغ الناس في تقديره والاهتمام به، ونسج الأساطير والخرافات حوله. فقليل: «لا يقع ضرر لمكان هو فيه، ولا تغرق سفينة تحمله،

وأنه إذا قرأه مريض أو قرىء عليه شفاه الله. ومن ألت به نائبة أو هول أو فزع فرج الله عليه بعد قراءته...^(٥). فحثوا على ضرورة توافر نسخة منه في كل خزانة.

ومما يدعو إلى العجب أن بعض شراحه أو المهتمين به أقروا بذلك وقرروه. فالشهاب الخفاجي يقول: «وأنا ممن جرب ببركته، وشاهدها والله الحمد»^(٦). وقال الحريشي في مقدمة شرحه له: «وقد جربت نكته لدفع الأزمات، وكشف الكربات»^(٧). وأقر بذلك من المتأخرين الشيخ العدوي شارح الشفاء، والفقير المؤرخ عباس بن إبراهيم المراكشي^(٨) وغيرهم كثير. إذ لا نريد الإطالة في سرد هذه الشهادات.

وكان لهذه الاعتقادات أثر بالغ في الشعراء الذين مدحوا عياضاً وقرظوا كتابه، فقد ركزوا جميعاً على مسألة الاستشفاء بالكتاب. فكيف يمكن تفسير هذه الظاهرة؟ هل بعنوان كتاب الشفاء؟ أم بموضوعاته «تكريم النبوة»؟ أم بمنهجه المبتكر؟ أم بهذا كله؟

□ أما العنوان، فالواضح أن عياضاً لم يكن يقصد به مدلول الدواء، وإبعاد المرض، وإنما كان يقصد دلالة البرهان والحجة. فالرأي الشافي هو الرأي القاطع، الذي يشفي غليل الباحث عن الحقيقة. وقد سلك منهجاً نقلياً في كثير

من الأحيان، وعقلياً في قليل منها،
 للتعريف بالنبوة - في شخص محمد صلى
 الله عليه وسلم - وتكريمها.
 ومع أنه لم يكن يقصد مفهوم الدواء فإنه
 ينتهي إليه، ذلك أن الحجج والبراهين على
 عصمة الأنبياء وحقوقهم وإعجاز القرآن
 تؤدي إلى مداواة النفوس المريضة بالجهل
 والشك، فتكتمل عافيتها بحب النبي صلى
 الله عليه وسلم وتوقيره. وإلى ذلك يشير
 عبيدالله بن أحمد الأزدي الرندي في تقييد
 له على نسخة للشفاء «...وشفى بكتاب
 الشفا قلب كل مؤمن صادق، كما كبت به
 قلب كل عدو منافق، فإذا طالعه المؤمن
 استنارت في باطنه حقائق أنواره...»^(٩).

■ وعند كثير من القدماء «إنما عظم الشفا
 في الصدور والعيون، لما اشتمل عليه من
 المدح المصون الذي استغرق أنفاس مؤلفه
 المشكور... فتداولته أيدي الفقهاء، وعظمت
 الصوفية بالتماس البركة بالمحبة، والشوق
 والارتياح...»^(١٠).

■ وأسندت هذه العناية لما تميز به الكتاب
 من منهج مبتكر لوح إليه المؤلف نفسه في
 ختام كتابه: «وقد سمرت فيه عن نكت
 تستغرب وتستبدع، وكرعت في مشارب
 من التحقيق لم يورد لها - قبل - في أكثر
 التصانيف مشرع، وأودعته غير مافصل،
 وددت لو وجدت من بسط - قبلي - الكلام

فيها»^(١١).

ويزكي ابن فرحون عياضاً في فقرته بهذه
 الشهادة عندما قال عن الشفا: «أبداع فيه
 كل الإبداع، وسلم له أكفاؤه كفاءته فيه،
 ولم ينازعه أحد الانفراد به، ولم ينكروا
 مزية السبق إليه»^(١٢). إلا أن عياضاً لم
 يكن وحده المبتكر والمبتدع - إن كان في
 الكتاب ابتكار وابتداع - لمنهج متميز في
 التأليف. فما أكثر المحاولات في هذا
 الباب^(١٣). لكنها لم تحظ بمثل ما حظي به
 الشفا.

وبهذا تبقى دراسة الكتاب كفيلاً بالكشف
 عن الدوافع التي جعلته يحظى بالقبول
 والعناية من طرف رجال الحديث
 والتصوف على السواء^(١٤).

موضوع الكتاب والغرض من تأليفه :

والشفا ليس كتاب سيرة بالمفهوم
 المعروف والمتداول للسيرة، ذلك لأن عياضاً
 لم يهتم فيه بالخط الزمني المتبع في هذه
 الكتب مثل إرهاصات النبوة وعلاماتها،
 المولد ومعجزاته، الرضاع، الطفولة، البعثة...
 وإنما جمع فيه مقتطفات من عيون
 السيرة^(١٥) بقصد تحقيق غايات محددة،
 أشار المؤلف إلى بعضها في مقدمة كتابه
 عندما قال: «حسب المتأمل أن يحقق أن
 كتابنا هذا لم نجعله لمنكر لنبوة نبينا» صلى

الله عليه وسلم ولا لطاعن في معجزاته، فنحتاج إلى نصب البراهين عليها وتحصين حوزتها... بل ألفناه لأهل ملته الملبين لدعوته المصدقين لنبوته، ليكون تأكيداً على محبتهم له ومنمأة لأعمالهم، ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم»^(١٦).

لهذا أهمل الخط الزمني المتبع في كتب السيرة، وأقامه على بناء آخر من شأنه تأكيد هذه المحبة والسعي نحو تجلية أبعاد الكمال النبوي، وذلك في صيغة أقسام أربعة:

الأول: في تعظيم العلي الأعلى لقدر النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم قولاً وفعلاً (توجه الكلام فيه في أربعة أبواب. وتسعة وسبعين فصلاً).

الثاني: فيما يجب على الأنام من حقوقه صلى الله عليه وسلم (في أربعة أبواب وثمانية وعشرين فصلاً).

الثالث: فيما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم وما يستحيل في حقه، أو يجوز عليه، وما يمتنع أو يصح من الأحوال البشرية أن يضاف إليه (في بابين وخمسة وعشرين فصلاً).

الرابع: في تصرف وجوه الأحكام على من تنقصه أو سبه صلى الله عليه وسلم (في ثلاثة أبواب وخمسة وعشرين فصلاً).

واضح من هذه الأقسام أن الغرض من

تأليف الكتاب تكريم النبوة والدعوة إلى توقيرها واحترامها، أو بعبارة المؤلف نفسه التعريف بحقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم. وكان اتجاهه أكثر وضوحاً وإلحاحاً خلال إشارته في الكتاب أن القسم الثالث منه يبحث «فيما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم وما يستحيل في حقه...» هو سر الكتاب ولباب شهرة هذه الأبواب. وما قبله له كالقواعد والتمهيدات... وهو الحاكم على ما بعده.

فما الداعي إلى نهج هذا السبيل؟ هل تمّ التناول على مقام النبوة أو التنقيص من شأنها؟ أم أن المؤلف يسعى بكتابه إلى التذكير بهذه الحقوق والتعريف بها فقط؟

تقتضي الإجابة على هذا السؤال التعرف إلى التيارات العقديّة التي عرفها عصر عياض وما قبله. ويمكن التذكير بها بإيجاز^(١٧). إن الصراعات المذهبية التي شهدتها المشرق ابتداءً من أواسط القرن الأول، وبداية القرن الثاني قد انعكست على المغرب، وانتقلت إليه في صفة الطوائف التي حلت به من خوارج وشيعة... أضيفت إليها فيما بعد مذاهب وديانات محلية منحرفة (برغواطة وغمارة). وزادت الصراعات الخارجية الموقف تأزماً وتعقيداً، مثل صراعات الفاطميين بإفريقية ومصر،

والأمويين بالأندلس، ومحاولاتهما التأثير في الأوضاع المذهبية بالبلاد.

هذه الصراعات المذهبية مزقت وحدة المجتمع المغربي وأفقدته التحامه، وفتحت أبواب التفكك والانقسام على مصراعيها. وبذل المرابطون مجهودات في سبيل توحيد البلاد مذهبياً، بإقرار المذهب المالكي ومحاربة عوامل التفرقة ومظاهرها، تجسد ذلك في مواجهتهم للفرق الضالة وغلاة المذاهب. ويمكن القول بأنهم وفقوا في ذلك إلى أبعد الحدود. إذ خفت حدة هذه الصراعات المذهبية، وصار المغرب سنياً مالكياً. وبرز علماء أعلام دافعوا عن المذهب وعززوه بتأليفهم وفتاواهم، ومن أشهرهم القاضي عياض، أكبر الفقهاء والمؤلفين في عصره بالمغرب.

إلا أن الوضع لم يستمر طويلاً بهذه الحال، فقد حدثت تحولات جذرية كان لها تأثير على مستقبل المذهب، أهمها:

- ما لوحظ من تحجر في عقلية بعض الفقهاء، وميلهم إلى كتب الفروع والمدونات والتفوق داخلها، معرضين عن سماحة المذهب وأصوله، ففقد الكثير من مؤيديه.

- ظهور داعية جديد هو محمد بن تومرت الملقب بالمهدي^(١٨)، الذي نادى بمذهب التوحيد، فاستطاع بدهائه وعلمه أن يضع اللبنة الأولى لدولة جديدة، ومذهب

جديد استقى عناصره من كثير من المذاهب والتيارات العقدية^(١٩).

وقد حمل ابن تومرت على المرابطين ومذهبهم، ونعتهم بالتجسيد والكفر، لعدم تأويلهم للمتشابه، ونفيهم للصفات... وركز جهوده لتحقيق هدفين:

الأول: مواجهة المذهب المالكي المرابطي، وإظهار تناقضاته، فاعتمد في ذلك على عناصر منها ما سبق ذكره، كالقول بالتأويل والتوحيد، والأمر بالمعروف...

الثاني: تأسيس نظرية بديلة تكوّن خطأ مذهبياً لدولة جديدة. تقوم -إضافة إلى ما سبق- على القول بالمهدوية والعصمة والإمامة والجفر...

وطبيعي ألا يقبل فقهاء المالكية هذه الآراء سواء ما يتعلق منها بالتأويل -ورأي مالك فيه مشهور ومعروف- أو ما يتعلق بالتجرؤ على النبوة وادعاء مقام يضارعها في القول بعصمة الأشخاص ومهدويتهم، إذ لا معصوم إلا الأنبياء ولا مهدي إلا عيسى. وبهذا أدرجوا النبوة في نطاق الكمالات التي يمكن للبشر اكتسابها. ولعل هذه المسألة هي التي جعلت شيوخ المالكية يقفون في وجه أصحاب هذه الادعاءات. فقد سبق أن كتب القاضي عبد الجبار كتابه (تثبيت دلائل النبوة) في الدفاع عن مقام النبوة. وأسس نور الدين محمود زنكي أول دار للحديث في

دمشق ووضع لها منهجاً يركز المذهب السني ويعارض أهواء الشيعة وباقي الطوائف المتعارضة في المشرق. دون أن ننسى مآظمر بعد هذه المرحلة - خاصة في سبته - من عناية بالمولد النبوي، تجسد في مؤلفات مثل (الدر المنظم في مولد النبي المعظم) لمحمد بن أحمد اللخمي العزفي السبتي^(٢٠).

ووقف عياض في وجه أصحاب دولة الموحدين وناقحهم:

بقلمه : فكتب مؤلفه «الشفاء» لإعادة الاعتبار للنبوة والدعوة إلى تكريمها، معرفاً بحقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم، والجزاء الواجب في حق المتجرئين عليها. فكانت فصوله الطويلة كما يلي: تعظيمه، وما يجب على الأنام في حقه وما يستحيل... وانفراد الأنبياء بالعصمة، إذ الخلاف قائم في عصمة الملائكة، وهذا يعني أن لا أساس لعصمة البشر. وجند المؤلف لذلك عدداً من نصوص الكتاب والسنة، واستعان بأساليب الجدل والمناظرة في القسم الثالث من الكتاب خاصة (القسم الأساسي). ومما يؤكد هذا أن عياضاً كان يكتب الشفا سنة خمس مائة واثنين وعشرين للهجرة^(٢١) وهي السنة التي احتد فيها الصراع بين المرابطين والموحدين. وشهدت انتقال هؤلاء إلى مرحلة الهجوم والمواجهة.

وبسيفه : في قيادته لسكان سبته وتزعمه الثورة على دولة الموحدين التي انتهت - بعد هزيمتين - بنفيه إلى مراکش كما نعلم. ويبدو أن السر فيما لقيه الكتاب من تقدير وعناية من العلماء والمتعلمين في العالم الإسلامي كافة، راجع لا إلى مافيه من أحاديث وتعريف بحقوق النبي صلى الله عليه وسلم بالدرجة الأولى، ولكن إلى هذه المسائل بالذات:

(أ) أفرزه موقف شجاع صمد فيه صاحبه إلى النهاية، ودفع حياته ثمناً له.
(ب) تاريخيته : يعكس صراعاً سياسياً مذهبياً، كان له تأثير على الفكر والآداب في الغرب الإسلامي خلال قرون.

(ج) وهو إسهام في تعميق اتجاه معين: السني المالكي، ودحض ماسواه، وهو الاتجاه السائد في كثير من مناطق العالم الإسلامي، والغرب الإسلامي خاصة. وهي المناطق التي أشادت به وناصرت صاحبه أكثر من غيرها.

(د) في مناصرة الكتاب - المعظم للنبوة - والداعي بطريق غير مباشر إلى المذهب المذكور، حفاظاً على وحدة الأمة المذهبية والدينية وصيانة لها من التفرقة. ■

الهوامش :

- (١) اهتم المغاربة بهذا الكتاب نسخاً وزخرفةً وكانوا يحتفظون به في مكتباتهم الخاصة، وطبع طبعات عديدة في معظم بلدان العالم الإسلامي.
- (٢) أزهار الرياض ٤ / ٢٧١.
- (٣) المرجع السابق ٤ / ٢٧١.
- (٤) المرجع السابق ٤ / ٢٧٢.
- (٥) شرح الشفا لمحمد بن عبدالسلام البناني ص ١ مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم ٨١١ ج. الاعلام لعباس بن إبراهيم ٩ / ٣٤٤.
- (٦) مقدمة شرح الشفا للبناني.
- (٧) الفتح الفياض ص ١ مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم ٥٧٨ ق.
- (٨) الاعلام ٩ / ٢٤٥.
- (٩) أزهار الرياض ٤ / ٢٧٥.
- (١٠) الاعلام ٩ / ٣٣٩.
- (١١) الشفا ٢ / ٣١٢. ط. دار الفكر، بيروت، د. ت. (الطبعة المعتمدة).
- (١٢) الديباج المذهب ص ١٧٠، ط. المعاهد بالقاهرة.
- (١٣) عرض الأستاذ محمد المنوني بعض هذه الكتب في مقالته: طابع الحضارة المغربية في العصر الوسيط. مجلة كلية الآداب بالرباط عدد مزدوج ٣ / ٤، ١٩٧٨ ص ٨١ - ٩٦.
- (١٤) حكى غير واحد، منهم ابن جابر الوادي آشي أن عياضاً أوقف شيخه أبا بكر بن العربي على كتاب الشفا، فقال له: «بارك الله فيك يا أبا الفضل» واستحسنه جداً. «أزهار الرياض» ٤ / ٢٧٢.
- (١٥) لهذا صنقه د. فاروق حمادة مع المصادر الفرعية للسيرة النبوية في كتابه مصادر السيرة النبوية وتقويمها، ط. دار الثقافة ١٩٨٠، ص ١٠٣ - ١٠٤.
- (١٦) الشفا ١ / ٢٤٦.
- (١٧) لأستاذنا د. عباس الجراري دراسات عديدة في الموضوع منها:
 - الأمير أبو الربيع سليمان الموحد، ط. دار الثقافة ١٩٧٤.
 - وحدة المغرب المذهبية خلال التاريخ، ط. دار الثقافة ١٩٧٦.
 - وانظر كذلك كتابنا: الدولة الموحدية، ط. ١ - ١٩٨٣، وط. ٢ - ١٩٨٥. منشورات الجامعة.
- (١٨) مؤسس الدولة الموحدية بالمغرب ٥٤١ - ٦٥٦ هـ فقيه أصولي من أهم مؤلفاته: أعز ما يطلب.
- (١٩) انظر المراجع المذكورة.
- (٢٠) م. خ. الاسكوريال رقم ١٧٤١.
- (٢١) أشار عياض في كتابه إلى تاريخ التأليف بقوله: «والقرآن العزيز الباهرة آياته، الظاهرة معجزاته، على ما كان عليه اليوم مدة خمسمائة وثلاثين سنة لأول نزوله إلى وقتنا...» وبما أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يهاجر إلا في السنة الثالثة عشرة لمبعثه، وبداية نزول القرآن، فيكون تاريخ التأليف سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة.

علم المياه

واستنباطها في الحضارة الإسلامية

خالد عذب

اهتم العلماء المسلمون بالتأليف في علم استنباط المياه وما يتعلق به، لإدراكهم أهميته، وقد برزت مبتكراتهم وخبراتهم فيما صنّفوا من كتب. ونحن اليوم بحاجة ماسة إلى التعمق في دراسة خبراتهم من أجل استيعاب الطرق الفنية التي سلكوها في استخراج المياه، بهدف مقارنتها بعضها ببعض وإرساء قواعد الصلة بينها وتحليل نتائجها والاستفادة منها. ومن أبرز ما وصل إلينا منها المصنّفات التالية:

يذكر تحت عنوان صفة الأرض: «ومن حكمة الله أن خلق في الأرض مواضع كثيرة ذات جبال متصلة.. فإذا كان الزمان في هذه المواضع شتاء كثف الهواء، واشتد البرد، واستمال الهواء إلى الماء استمالة قوية، ووقعت عليها الثلوج لاتنقطع شتاءً ولا صيفاً، فإذا اشتد الحر بها بملامسة الشمس إياها ذابت وصار ذوبها مادة للعيون والأنهار والقنى والآبار، وجرت مياهها في عروق الأرض والخروق التي في بطنها فصارت مادة لمنابع في أمكنة بعيدة»^(٢).

ثم يقول: «لما خلق الله الأرض والماء،

١ - كتاب إنباط المياه الخافية^(١):

وضعه العالم الرياضي المهندس أبو بكر محمد بن الحسن الحاسب الكرخي المتوفى في القرن الخامس الهجري نحو سنة ٤١٠ هـ / ١٠٢٠ م. وهو كتاب نفيس يعدّ موسوعة فنية في دراسة المياه الجوفية واستثمارها. وقد كان الكرخي ذا خبرة كبيرة في هذه الصناعة. يذكر في مقدمة كتابه أنه بعد أن تصفّح شيئاً من كتب المتقدمين في الموضوع وجدها قاصرة عن الكفاية واقعة دون الغاية، فبدأ في تصنيف كتابه هذا في إنباط المياه الخافية.

وعن مفهومه للدورة الهيدرولوجية للماء

خلق لكل منهما مادة؛ فمادة الماء الساكن في بطنها، والعيون والأودية والأنهار والينابيع عليها من الأمطار والثلوج. فلو انقطعت قلت المياه، وأدى ذلك إلى خراب الأرض»^(٣).

ويقول بعد ذلك: «وعلى هذا يجب أن تكون المياه من الثلوج والأمطار، ومن استمالة الماء إلى الهواء والهواء إلى الماء»^(٤).

فهو هنا يشير إلى التبخر والتكاثف، ولعل بقية كلامه من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى تعليق.

ويصنّف أنواع المياه الأرضية تصنيفاً دقيقاً يثير العجب، ينطبق تماماً على ما يعرفه الهيدرولوجيون اليوم فيقول: «الماء في بطن الأرض ثلاثة أنواع: ماء أصلي ساكن في جوفها لا يزيد بزيادة الأمطار ولا ينقص بنقصانها، ولا يتغير حاله إلا شيئاً قليلاً، قد غمر جرم الأرض بحسب وجود الخل، والمنافذ فيه لا يتغير بشدة القيظ وأزمان الدهر. ويكون هذا الماء قليل الحركة والجريان في بطن الأرض. وماتكون مادته استحالة الهواء إلى الماء في بطن الأرض دائماً، وهذا يدوم جريه ما بقي السبب الذي به يستحيل الهواء إلى الماء، والثالث الماء الذي مادته من الثلوج والأمطار. وأكثر عمارة أهل الأرض به لأنه مادة الأودية العظام والعيون والقنى»^(٥).

فهذه النصوص تدل دلالة قاطعة على وضوح فكرة الدورة الهيدرولوجية عند مؤلف الكتاب الذي عاش في القرن الرابع

الهجري / العاشر الميلادي، وهو عندما يسوق هذه المفاهيم لايسوقها لبحث بحثاً نظرياً أكاديمياً يعارض فيها هذا المؤلف أو ذاك. إذ الغاية من كتابه غاية علمية يمهد لها بمعطيات نظرية. وهو يعبر عن هذه الفكرة بوضوح فيقول: «ومن يتصور ماذكرته وحققته فقد عرف قطعة كبيرة من صناعة إنباط المياه، لأن تصور طبع الأرض والماء وكيفية وضعهما وخلقتهما وصفة حال الماء وخللها يدل على معرفة قوية في هذه الصناعة»^(٦).

إنها معطيات نظرية تقود إلى إتقان صناعة علمية، صناعة إنباط المياه الجوفية التي تحيا بها الأرض وأهلها. وهو يدرك أهمية هذه الصناعة فيقول:

«وبعد فلست أعرف صناعة أعظم فائدة وأكثر منفعة من إنباط المياه الخفية التي بها عمارة الأرض وحياة أهلها»^(٧).

٢ - كتاب البئر :

ألفه أبو عبدالله محمد بن زياد الأعرابي، ت ٢٣١ هـ / ٨٤٥ م، وكتابه يعدّ من الرسائل التي كانت نواة للمعجم العربية الكبيرة فيما بعد، وهو يضم مجموعة غير قليلة من الألفاظ التي توصف بها الآبار في حفرها، واستخراج المياه منها وقلّة تلك المياه أو كثرتها وأجزاء البئر وأنواعها وأسماء كل نوع وأنواع المياه الخارجة منها وآلات استخراج المياه من الآبار^(٨).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ
 عَنِ الْجِبَالَةِ بِعِلْمِ اسْتِنْبَاطِ الْجِبَالَةِ الْعَلِيِّ (الاستنباط)
 وَأَهْلِي عِلْمِهِ (الأعلام) لِكَيْ يَحْمَدَ الرَّحْمَنُ وَيُحْمَدَ اللَّهُ بِهِ أَمِينٌ
 حَمْدًا نَبِيًّا يَفْقَهُ أَرْبَعَ الْكَلِمَاتِ وَأَحْسَنَ نَمْتَهُ بِإِلَهٍ نَوْعِي
 الْجِبَالَةِ وَالنَّبَاتِ وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى مَنْ اسْتَبَدَّكَ مِنَ الشُّرُوفِ
 (الأعلام) بِسِيرَتِهِ وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا لَمَنْزِلَ مَنْ أَهْلُوا بِرُوحِ الْحَسَابِ
 وَعَلَى اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ بِمَا رَزَقَنَا مِنْهُ وَمَنْ تَبِعَهُمْ
 بِالْحَسَنَاتِ الَّتِي دَارَ فِيهَا وَبِشَرِّهِمْ فَيَقُولُ تَسْتَكْبِرُ سَحَابٌ
 عَجِبُوا مَوْلَاكَ الْعَلِيِّ أَحْمَدًا لَمْ يَسُورِي الْخَفِيِّ (الذي لا يكون السحاب عيني
 الخبيثي) سِرًّا مَلَأَ النَّفْسَ مِنْهُ بِعَيْشِ الْإِيمَانِ مِنْ رِسَالَةِ مُحَمَّدٍ عَلَى
 اسْتِنْبَاطِ الْجِبَالَةِ عَلَى وَجْهِ عَيْشٍ بِمَا جَمَعْتَهُ لَزَلًا وَعَ غَايَةِ
 اسْتِنْبَاطِ الْجِبَالَةِ وَتَكْرُرِ الْخَطِّ مِنْ تِلْكَ الْأَمْوَاجِ وَصَوْرِ الْخَالِ وَالْجِبَالِ
 مَا يَحْتَضِرُ فِيهَا فِي تِلْكَ الْفَلَاحِ وَمَنْ تَبِعَهُ مَا وَفَّقَتْ عَلَيْهِ مِنْ كَلِمَاتِ
 الْحِكْمَةِ الْأَعْلَى وَالْمَنْزِلِ عَلَى تِلْكَ الْبَيْتِ مَسْتَقِيمٌ بِهَيْئَةِ الصَّفَاةِ
 بِرِغْبَتِهِ ذِكْرًا بِعِلْمِ الْبَلَاغَةِ اسْتِكْرَادًا لِقَوْلِهِمْ بِبِضَاعَةِ
 وَتَسْمِيَةِ عَيْشِ الْجِبَالَةِ بِعِلْمِ اسْتِنْبَاطِ الْجِبَالَةِ وَرَبِّتَهُ
 عَلَى مَقَرِّهِ وَبِلَايَتِهِ وَحَلَّتْ فِيهِ رَأْيًا مَعَهُ بِمَجْلَانِهِ أَنْ يَنْتَبِهُ
 وَبِحَسْبِهِ الْعَقْدَةُ عَمَّا خَلَّتْهُ أَعْمَالُ الْفَرَسِ مِنْ عَيْشِ
 اسْتِنْبَاطِ الْجِبَالَةِ وَبِمَا اسْتَبَدَّ بِهِ بِعِلْمِ اسْتِنْبَاطِ الْجِبَالَةِ
 نَزَلَ بِهَيْئَةِ الْخَالِ نَبِيَّكَ الْبَلَدِ نَبِيَّكَ وَنَبِيَّكَ بِفَوْطَانِ

والله

وَأَنْبِيَّكَ الْعَبْدُ بِرِغْبَتِهِ وَالْإِسْتِنْبَاطُ الْإِسْتِقْرَاحُ الْقَلْبِيُّ وَالْجِبَالَةُ
 جَمْعٌ مَا بِاللَّهِ وَيُفَكَّرُ مِنْهُ نَبِيًّا وَعَلِيًّا وَمَنْ تَبِعَهُمْ وَهُوَ جَوْسَرٌ لِكَيْ يَحْمَدَ
 ذُو لَوْنٍ يَخْلُقُ الْعَمَلُ تَعَالَى إِلَهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ وَاحِدٌ مَوْجُودٌ قَلْبِي
 أَلُوًّا بِاللَّهِ كَمَا وَارْتَفَاعُ مَا فِيهَا وَاللَّهُ بِمَا جَمَعْتَهُ
 مَوَاءَ فَلَيْتَ الْوَاوِيَاءَ لِكَيْ يَحْمَدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
 وَمَعْنَاهُ اللَّغِيثُ عَلَى تَعْلِيمِ بَابِهِ كَيْفَ اسْتِنْبَاطِ الْجِبَالَةِ الْكَلِمَاتِ
 بِمَنْزِلَةِ الْوَاوِيَاءِ الْوَاضِحِ الْوَاضِحِ الْوَاضِحِ الْوَاضِحِ الْوَاضِحِ
 الْحِكْمَةُ حَيَاةُ الْجِبَالَةِ الْخَفِيِّ وَالنَّبَاتِ وَالْعَالَمِ وَالصَّلَاةَ
 الْعَمَلُ تَعَالَى وَجَلَّتْ نَوْعَانِ عَلَوْنِ وَهُوَ مَنْ مَفْعُولٌ بِاللَّغِيثِ
 عَمْرٍ بِاللَّغِيثِ الْوَاضِحِ الْوَاضِحِ الْوَاضِحِ الْوَاضِحِ الْوَاضِحِ
 لِحُرَّةِ النَّارِ وَيَسْمُوهُ عِلْمُ الْكَلِمَاتِ وَالصَّلَاةَ وَالصَّلَاةَ
 الْوَاضِحِ الْوَاضِحِ الْوَاضِحِ الْوَاضِحِ الْوَاضِحِ
 أَنْ الْجِسْمُ الْعَلِيِّ أَمَا أَنْ يَكُونَ تَقْدِيرًا أَوْ خَيْبًا أَوْ أَمَّا
 أَنْ يَكُونَ تَقْدِيرًا عَلَى الْوَاضِحِ الْوَاضِحِ الْوَاضِحِ الْوَاضِحِ
 الْوَاضِحِ الْوَاضِحِ أَمَا أَنْ يَكُونَ خَيْبًا مَكْلَفًا وَهُوَ النَّارُ وَالْوَاوِيَاءُ
 الْوَاضِحِ الْوَاضِحِ الْوَاضِحِ الْوَاضِحِ الْوَاضِحِ
 وَاللَّغِيثُ الْوَاضِحِ الْوَاضِحِ الْوَاضِحِ الْوَاضِحِ الْوَاضِحِ
 وَالنَّبَاتِ وَالصَّلَاةَ وَالصَّلَاةَ وَالصَّلَاةَ وَالصَّلَاةَ
 صَوْرَتُهُ عَمْرٍ الْوَاضِحِ الْوَاضِحِ الْوَاضِحِ الْوَاضِحِ
 الْحَمْدُ وَالْحَمْدُ الْوَاضِحِ الْوَاضِحِ الْوَاضِحِ الْوَاضِحِ
 بِاللَّغِيثِ الْوَاضِحِ الْوَاضِحِ الْوَاضِحِ الْوَاضِحِ
 بِالرَّحْمَنِ الْوَاضِحِ الْوَاضِحِ الْوَاضِحِ الْوَاضِحِ

صفحة من مخطوط (عين الحياة في علم استنباط المياه) نسخة دار الكتب الوطنية في تونس ٤٥٤

٣ - كتاب عين الحياة في علم استنباط المياه:

يعدّ من المؤلفات المتأخرة في هذا العلم، وبالرغم من ذلك فهذا الكتاب أهمية خاصة، سببها خلال تحليل مضمونه (٩).

مؤلف الكتاب : هو أبو العباس أحمد بن عبد المنعم الدمنهوري. ولد بدمنهور (١٠) سنة ١١٠١ هـ / ١٦٩٠ م، ونشأ يتيمًا، لا وزر له.. وكان ذكيًا فهمًا، في نفسه طموح وعزم، وجد في اكتساب العلم والتحلي بحليته ما يخرج منه واقع حاله البائس إلى ما يطمح إليه من الرفعة والمجد. نزح إلى الأزهر صغيراً دون أن يكفله أحد، واجتهد في تحصيل العلم، واشتد ولعه بالفقه، واجتهد في التعرف على المذاهب الفقهية الأربعة،

وعني بعلوم الهندسة والمساحة والهيئة (الفلك) والميقات والحساب وصنع المزاويل (١١). وفي أواخر حياته ولي مشيخة الأزهر. ولم تطل مدته فيها، إذ توفي في شوال سنة ١١٩٢ هـ / ١٧٧٨ م.

سبب تأليف الكتاب : التمس الشيخ يوسف بن محمد الزاغوني - وهو فقيه تونسي معروف - من أبي العباس الدمنهوري وضع هذا الكتاب، الأمر الذي يدعو إلى الاستغراب، إذ كيف يصدر ذلك عن فقيه مثله لاعلاقة له بعلم المياه؟

لكن الاستغراب ينجلي إذا علمنا صلة الرجل بأمير بلاده، وما كان يدركه من حاجاته ومطالبه في العمران. إنه الباي

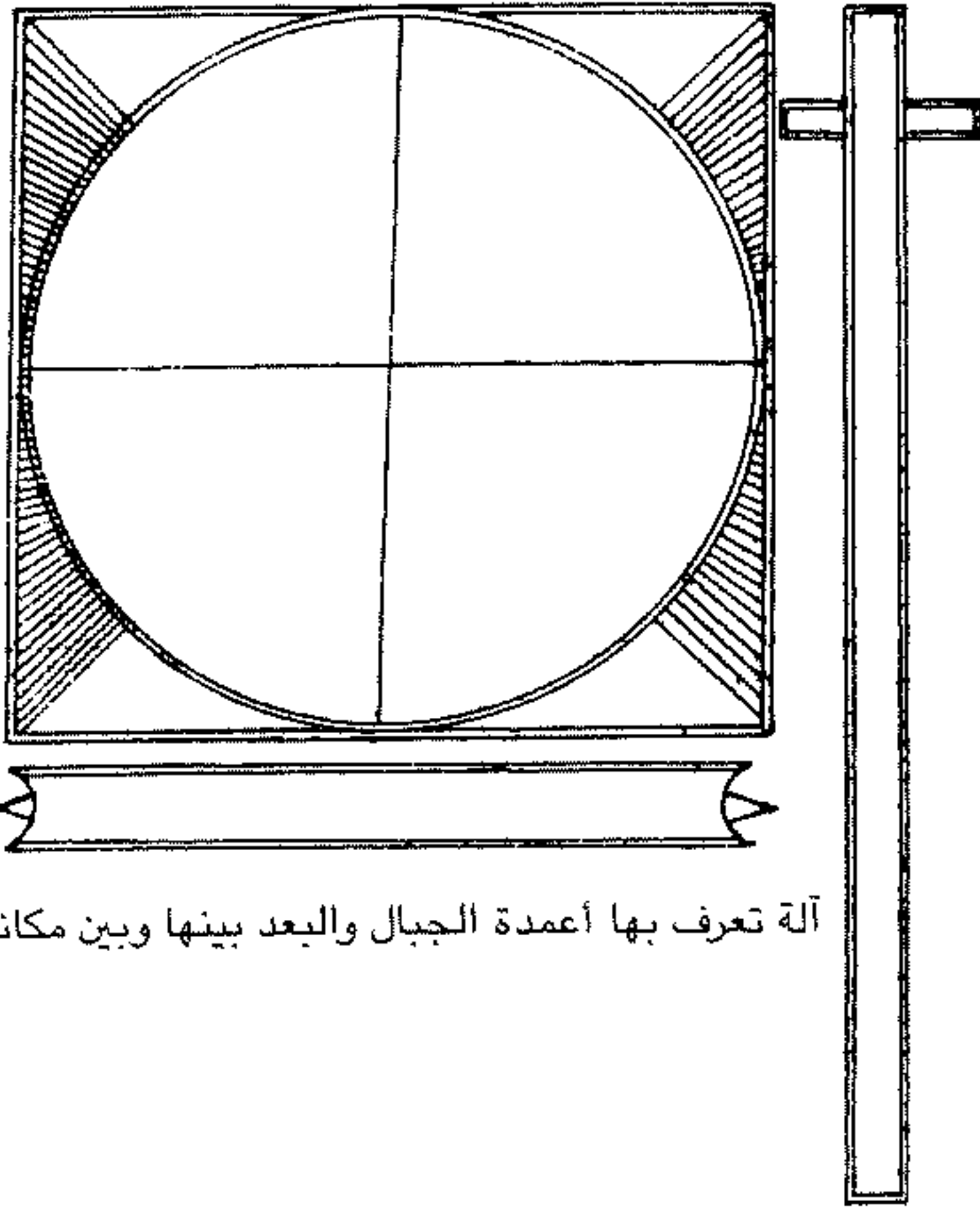
حسين بن علي تركي مؤسس الإمارة الحسينية بتونس، وإليه نسبتها وقد كان حفيماً بالعمران، جاداً في نشره، وضع الماء في طليعة مُتطلباته، ولزمه أن يتوافر في الأرضين التي تخلو منه أو تشح، ولذلك دأب في طلبه، فأنشأ الفوارات والسقايات، وبنى المآجل والصهاريج، واستكثر من نشره، ومن هنا نشأ اهتمام الشيخ الزاغوني بالماء، وحرص على تعرف طرق إنباطه، ووسائله ليستعين بها أمير بلاده في نشر العمران والخصب^(١٢). والناس على دين ملوكهم.

محتويات الكتاب : يتألف كتاب الديمهوري من: مقدمة، وبابين، وخاتمة. أما المقدمة فقد خصها المؤلف بأشياء تتصل بطبيعة موضوع الماء، ففسر الاستنباط لغة واصطلاحاً، وتكلم عن العناصر الأربعة التي كان القدماء يظنون العالم مركباً منها وهي: الماء والهواء والنار والتراب، فشرح خواصها وتناولها بالتعليل، وأوضح نسبة بعضها إلى بعض، وذكر الرياح الأربع وحدوثها وصفاتها، وبين علاقتها بالمياه في تجفيفها أو زيادتها. وأما البابين، فأولهما في «تعريف المواضع التي فيها ماء، والتي ماؤها قريب، والتي ماؤها بعيد». وما يستدل به على ذلك من أمارات ذكرها المؤلف. وثانيها في «حفر الآبار، وطرائقه، ووسائل معالجته»، وقد أنهى هذا الباب بأقوال بعضها من الاعتقاد

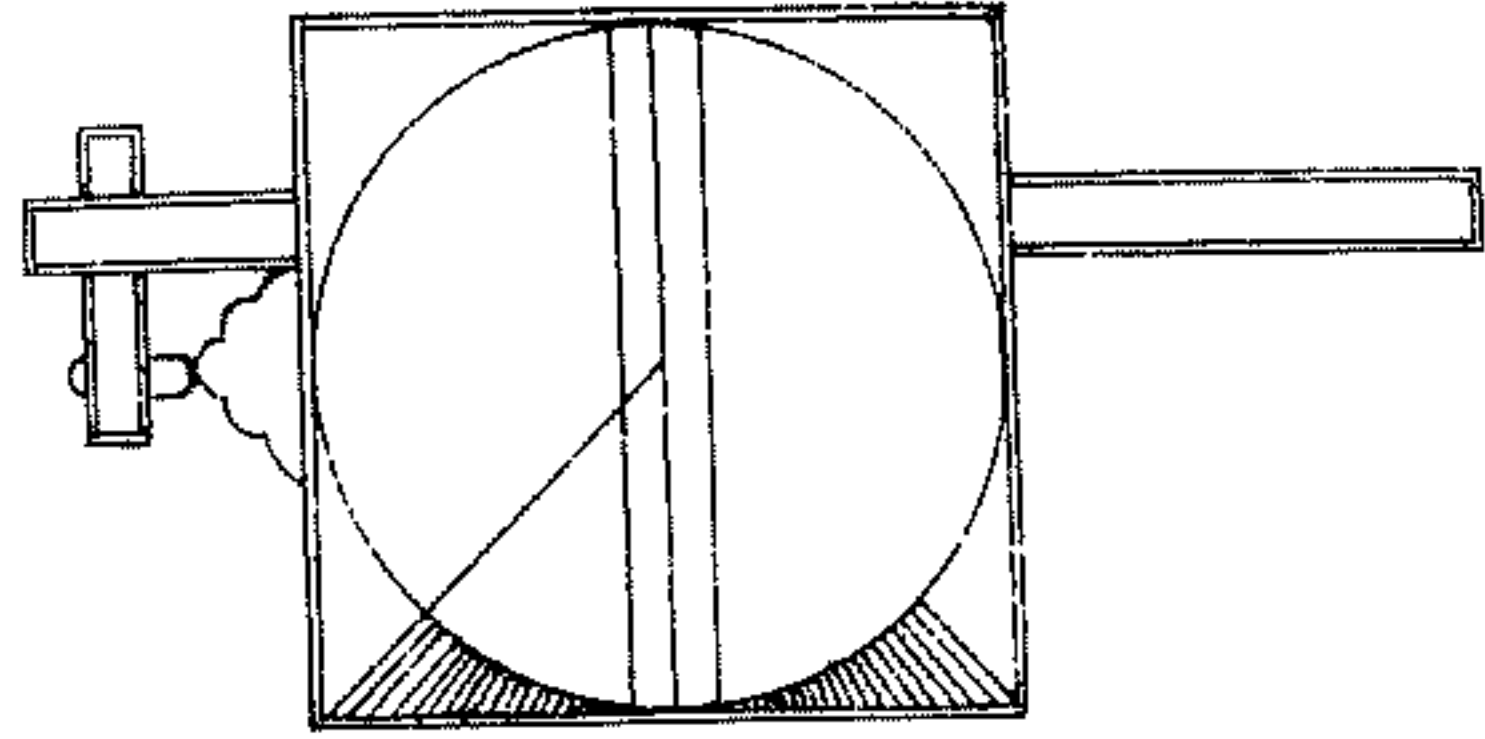
الباطل بالنجوم والقمر، وما يحكيه المنجمون، وبعضها الآخر من حكايات أهل الشعوذة. وكان الخليق بالمؤلف، حين شاء إيراد مثل هذه الحكايات، أن يفندوها ويذكر بطلانها وسخفها، كما ينبغي لمثله بعلمه الواسع وعقله الحصيف أن يفعل^(١٣). وهذان البابين هما لب موضوع الكتاب.

وأما الخاتمة فقد ضمنها ثلاثة مباحث: الأول في إيضاح ماتقدم، مستمداً من كتاب «عجائب المخلوقات» وغيره، وهو ما يتعلق بالأرض وطباعتها وطبقاتها، وما يحيط بها من الماء والهواء، وصفة الماء وأنواعه، والأبخرة.. والمبحث الثاني في بيان المعمور من الأرض، وطوله وعرضه، وقسمة الأقاليم إلى سبعة، وأثر الأقاليم في الأبدان والألوان والطبائع والأخلاق.. والمبحث الثالث عقده لبيان فضل العلم وأهله، فذكر بعض ماتواترت به الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة والآثار في فضله، والحث على تحصيله، وكأنه أراد بذلك أن يحفز همم الأمة على اكتسابه لتفيد منه في شؤون دنياها وآخرتها، فتعمر الأرض، وتنبت المياه، وتزرع ماتتقوت به، وتحصل على مايمدها من أسباب الحياة الهانئة، إذ الناموس المقرر في الحياة: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا».

وفي أثناء الكتاب وآخره، وضع المؤلف صوراً لمهاب الرياح، وكرة الأرض والأقاليم



آلة تعرف بها أعمدة الجبال والبعد بينها وبين مكانك



صورة الميزان والخشبة

● من كتاب انبساط المياه الخفية

- في جملة ما يدل - على مبلغ تعلق علماء الإسلام خلال العصور بعلوم الحياة، دقيقتها وجليلها، وأنهم عكفوا عليها يدرسونها ويعلمونها، ويؤلفون فيها لا يفترون.

٤ - وأحدث ما وضعه المسلمون في هذا المضمار كتاب الشيخ الرياضي الحاسب محمد بن حسين العطار المتوفى بدمشق سنة ١٢٤٣ هـ / ١٨٢٧ م، سماه «علم المياه الجارية في مدينة دمشق»^(١٦).

وهذا الكتاب وإن كان يتناول بالحديث مياه دمشق وطريقة توزيع ماء بردى فيها للشرب والري، وانقسامه إلى قنوات، وحصّة

السبعة وغيرها.

ولاريب في أن جملة ماتضمنه هذا الكتاب في المقدمة والباين والخاتمة، هو من العلم النافع الذي عني به الفلكيون وعلماء الفلاحة، وتداولوه، وظل موضع نظر ودرس واعتبار، على مسار رحلة العلم من زمن إلى زمن آخر، ومن بلاد في الشرق إلى أخرى في الغرب، لاتحجزه حدود مغلقة، ولاتقيده قيود حابسة^(١٤).

ومع أن الدمنهوري لم يأت بجديد في كتابه، إلا أنه امتاز ببراعته في تلخيص أصول استنباط المياه التي باتت اليوم في حكم المفقودة^(١٥).

ويدل تأليف الكتاب في ذاك الزمن المتأخر

كل حي من أحياء المدينة، إلا أنه يتحدث كذلك عن أمور عديدة تتعلق بعلم المياه عموماً، فهو يورد الأشياء التي يحتاج إليها الحاسب في عمله. ويتحدث عن بيع المياه. وغير ذلك مما يتعلق بتقسيم المياه وتوزيعها وبشكل دقيق جداً. وهذا عمل فريد من نوعه من جهة، ومهم لدى

أصحاب الأراضي والسكان من جهة أخرى. تلك كانت لمحة عن علم استنباط المياه في الحضارة الإسلامية قصدنا بها التعريف بهذا العلم وإبراز جهود ومؤلفات العلماء المسلمين فيه. ■

المراجع والهوامش :

- (١) محمد بن الحاسب الكرخي، إنباط المياه الخافية - طبعة دائرة المعارف العثمانية ١٣٥٩ هـ. وانظر : د. جلال الدين خانجي، مدخل إلى مفهوم الدورة الهيدرولوجية عند العرب المسلمين ص ٨٩، ص ٩١. أبحاث المؤتمر السنوي الثالث للجمعية السورية لتاريخ العلوم، نشر معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، ١٩٨٠ م. الزركلي، الأعلام ٦ / ٨٣ ط ٩.
- (٢) إنباط المياه الخافية، ص ٥.
- (٣) المرجع السابق.
- (٤) المرجع السابق ص ٩.
- (٥) المرجع السابق ص ١٥ - ١٦.
- (٦) المرجع السابق.
- (٧) المرجع السابق.
- (٨) أبو عبدالله بن زياد الأعرابي، كتاب البئر، تحقيق د. رمضان عبدالنواب، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧٠ م. وانظر: الزركلي، الأعلام ٦ / ١٣١ ط ٩.
- (٩) أحمد بن عبد المنعم الدمهورى، عين الحياة في علم استنباط المياه، حققه وشرحه محمد بهجة الأثري، ص ١١، الأكاديمية المغربية للعلوم، ١٩٨٩ م. وانظر: الزركلي، الأعلام ١ / ١٦٤ ط ٩.
- (١٠) وهي تقع غرب دلتا النيل، وعاصمة إقليم البحيرة.
- (١١) جمع مزولة، ساعة شمسية يعين بها الوقت بظل الشاخص الذي يبث عليها (المعجم الوسيط زول).
- (١٢) عين الحياة.
- (١٣) المرجع السابق.
- (١٤) المرجع السابق.
- (١٥) د. محمد عيسى صالحية، علم الريافة عند العرب، ص ٩. صدر ضمن نشرة دورية يصدرها كل من الجمعية الجغرافية الكويتية، قسم الجغرافيا بجامعة الكويت، (٢٧).
- (١٦) محمد حسين العطار الدمشقي «علم المياه الجارية في مدينة دمشق» تحقيق أحمد غسان سبانو، نشر دار قتيبة - دمشق ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م. وانظر الزركلي، الأعلام ٦ / ١٠٤ ط ٩.

ابن الجزار القيرواني

هو أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد ابن الجزار، وكنيته أبو جعفر، أحد أطباء تونس الرواد الذين اشتهروا في القرن الرابع الهجري^(١).

عرفت أسرته باشتغالها بالطب، إذ كان والده إبراهيم بن أحمد بن أبي خالد وعمه أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي خالد من الأطباء الممارسين.

إعداد:

محمد حسن نوفلية

العاصمة السياسية فجمع لبيت الحكمة هذا نفائس الكتب وآلات الرصد، وضم إليها أكابر العلماء والأطباء والمترجمين^(٢). وكان من عادة الأغالبة أن يجددوا الولاء لخلافة بغداد مرة أو مرتين في كل عام، فكان إبراهيم الثاني يكف وفود الولاء إلى

كانت القيروان إبان ولادة أحمد بن الجزار تتمتع بالنهضة الأدبية والعلمية التي بدأت في حكم الأغالبة حيث أنشأ إبراهيم الثاني الأغلبي^(٢) (٢٦١ - ٢٨٩ هـ) بيت الحكمة في مدينة الرقادة القريبة من القيروان لتكون عاصمة علمية لدولته إلى جانب القيروان

بغداد أن يجمعوا له الكتب والنوادر وكانوا يغرون العلماء بالمال لينزحوا إلى تونس ويخدموا فيها بعلومهم وصنائعهم.

وكان من جملة من استقدمهم إبراهيم الأغلبي إسحاق بن عمران الطبيب البغدادي الذي يعد مؤسس مدرسة الطب في تلك البلاد بلا منازع، ومن تلاميذه إسحاق بن سليمان الإسرائيلي الذي قدم إلى تونس قاصداً إياه، وأبو بكر محمد بن أحمد ابن الجزار عم أحمد بن إبراهيم ابن الجزار وغيرهم.

ولد ابن الجزار في حدود عام ٢٨٥هـ في عهد الأمير إبراهيم الثاني وأخذ عن أبيه وعمه، وبرع في غير ما علم ولا سيما في الطب والطبيعة والفلسفة والتاريخ. قال ابن جليل في ترجمته: «وكان ممن لقي إسحاق بن سليمان الإسرائيلي وصحبه، وله في الطب تواليف عجيبة، وكان من أهل الحفظ والتطلع والدراسة للطب وسائر العلوم، وله تواليف في غير الطب، كتأليفه التواريخ، وتأليفه كتاب (الفصول والبلاغات)، وكان قد أخذ بنفسه مأخذاً عجيباً في سمته وهدية وقعوده، ولم تحفظ عليه بالقيروان زلة قط، ولا أخلد إلى لذة. وكان يشهد الجنائز والعرائس ولا يأكل فيها، ولم يركب إلى أحد من رجال أفريقية ولا إلى سلطانها، إلا أبي طالب عم معد، كان له صديقاً قديماً، وكان يركب إليه كل جمعة لا غير.

وكان ينهض في كل عام إلى المنستير -

رابطة على البحر^(٤) - فيكون هناك طول أيام القيظ، ثم ينصرف إلى أفريقية، وكان قد وضع على باب داره سقيفة أقعد فيها غلاماً له يسمى برشيق، أعد بين يديه جميع المعجونات والأشربة والأدوية، فإذا رأى القوارير بالغداة، أمر بالجواز إلى الغلام وأخذ الأدوية منه، نزاهة بنفسه أن يأخذ من أحد شيئاً^(٥).

كان ابن الجزار ثرياً موسراً يكتظ المتداوون في محل عيادته، وكان بعد فحصهم يحيلهم لغلامه رشيق الذي يوزع عليهم الأدوية، كما كان يعامل وجوه الدولة بمثل معاملته لعامة الناس، وليس أدل على ذلك من تلك القصة التي يرويها ابن جليل في طبقاته فيقول:

«حدثني عنه من أثق به فقال: كنت عند ابن الجزار في دهليزه وقد غص بالناس إذ أقبل ابن أخي القاضي النعمان وكان حدثاً جليلاً بأفريقية، يستخلفه القاضي إذا منعه مانع عن الحكم، فلم يجد في الدهليز موضعاً يجلس فيه، إلا مجلس أبي جعفر، فخرج أبو جعفر، فقام له ابن أخي القاضي على قدم، فما أقعده ولا أنزله، وأراه قارورة بماء كانت معه، لابن عمه ولد النعمان، واستوفى جوابه عليها وهو واقف، ثم ركب ونهض وماكدح ذلك في نفسه، وجعل يتكرر عليه بالماء في كل يوم حتى برأ العليل.

قال الذي حدثني: فكنت عنده ضحوة نهار، إذ أقبل رسول النعمان القاضي، بكتاب

يشكره فيه على ماتولى من علاج ابنه، ومعه منديل بكسوة وثلاثمائة مثقال، فقرأ الكتاب وجاوب شاكراً ولم يقبض المال ولا الكسوة، فقلت له: أبا جعفر رزق ساقه الله إليك، ترده؟ فقال لي: والله لا كان لأحد من رجال دولة معد قبلي نعمه»^(٦).

قال عنه القاضي صاعد الأندلسي في طبقات الأمم: «وكان مع هذا حسن المذهب، فاضل السيرة، صائناً لنفسه، معتصماً عن الملوك ذا وفرة وثروة»^(٧).

وقال ياقوت في معجم الأدباء: «كان منقبضاً عن الملوك، ذا ثروة، ولم يكن يقصد أحداً إلى بيته، وكان له معروف وأدوية يفرقها على الفقراء»^(٨).

ولو تتبعنا مانقله القاضي عياض في ترتيب المدارك عن ابن الجزار لوجدنا فيه العالم المؤرخ الذي يحفظ لأهل العلم منزلتهم ومكانتهم، وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدل على فضل ابن الجزار وحكمته. فمن ذلك قوله عن محمد بن سحنون: «كان ابن سحنون إمام عصره في مذهب أهل المدينة بالمغرب، جامعاً لخلال قلما اجتمعت في غيره من الفقه البارع والعلم بالأثر والجدل والحديث والذب عن مذهب أهل الحجاز...».

والواضح من ترجمات ابن الجزار الكثيرة التي ذكرها علماء هذا الفن - ولعل أول من أطل في التعريف به هو ابن جلجل - أن ابن الجزار تلقى معظم علومه في تونس وأنه همّ في وقت ما بالرحلة إلى الأندلس، ولكنه لم

ينفذ ذلك.

وقد وقع في تاريخ وفاة ابن الجزار اختلاف كبير فقال ياقوت (٨) «إنه كان في أيام المعز لدين الله في حدود سنة ٣٥٠ هـ»، وقال الذهبي: «ويجوز أن يكون توفي قبل الخمسين وثلاثمائة»^(٩).

وقال ابن العذاري إن وفاته كانت سنة ٣٦٩ هـ^(١٠)، وبه أخذ فؤاد سزكين^(١١) ورجّحه حسن حسني عبدالوهاب^(١٢) وإبراهيم بن مراد^(١٣) والحبيب الهيلة^(١٤). واضطربت أقوال حاجي خليفة فقال مرة إنه توفي سنة ٣٩٥ هـ، وقال في أخرى سنة ٤٠٠ هـ، وقال غير ذلك^(١٥). ولعل قول ابن عذاري هو الأقرب للصواب^(١٦).

تلاميذ ابن الجزار :

لم تذكر المصادر من تلاميذه إلا عمر بن بريق أبا حفص الذي رحل إليه من الأندلس، وأخذ عنه وهو الذي أدخل إلى الأندلس كتابه «زاد المسافر».

علم ابن الجزار وأثاره :

كان ابن الجزار ذا ثقافة موسوعية شاملة، يدل على ذلك ما تركه من مؤلفات تزيد على الأربعين في الطب والتاريخ والأدب والفلسفة، وقد غلبت عليه معرفته في الطب والصيدلة على ما عداها فاشتهر بها وذاع صيته فيها.

وقد تتبع كثير من المستشرقين^(١٧)

وغيرهم مثل سزكين^(١٨) وحسن حسني عبدالوهاب ومحمد الحبيب الهيلة وإبراهيم بن مراد مؤلفات ابن الجزار وذكر كل واحد منهم قائمة كتب له لم يتفق فيها مع الآخرين كل الاتفاق. وفيما يلي كتبه التي ذكرها مشفوعة بما قيل فيها.

آثار ابن الجزار :

آ . الكتب التي وصلت إلينا:

١. أبدال الأدوية.

ذكره ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء ص ٤٨٢، وذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ٨٤١ والبغدادي في الهدية ٧٠/١، وأورده بروكلمان بلفظ «أبدال العقاقير» ٢٩٩/٤، وذكره سزكين بلفظ «أبدال العقاقير» و«بدل العقاقير» ٣٠٦/٣. منه نسخة في الأسكوريال ٥/٨٩٦، ونسخة في دار الكتب المصرية (خيري) ٥٦٣٦. ومنه نسخة مصورة عن النسخة المصرية في مكتبة حسن حسني عبدالوهاب، ورقات ٣١٦/١.

٢. الاعتماد في الأدوية المفردة.

ذكره صاعد الأندلسي في طبقات الأمم ص ١٥٤ وابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء ص ٤٨٢، وياقوت في معجمه ١٣٦/٢، والذهبي في السير ١٥/٥٦١ بلفظ «الأدوية

المفردة» وفي تاريخ الإسلام ص ٢٤١، وذكره حاجي خليفة في الكشف ١٢٠، والبغدادي في الهدية ١/٧٠. وقد ذكر محمد الحبيب الهيلة في مقدمة سياسة الصبيان^(١٩) أن الصفدي ذكره في الوافي^(٢٠) نقلاً عن (مخطوط الزيتونية العبدلية رقم ٤٨٤٤ الورقة ٢٢٣ ب) غير أنني لم أجد ذكراً للكتاب في ترجمة ابن الجزار عند الصفدي في النسخة المطبوعة، وذكره بروكلمان ٤/٢٩٧ وسزكين ٣/٣٠٤.

منه نسخة في أياصوفيا ٣٥٦٤ ونسخة فلورنسا - لورنز ٣٧٤/٢٥٦ ونسخة في برلين ٣٨٣٢/٤ ونسخة في الرباط ١١٢١، وأخرى ٤٨٧٤، ونسخة في بيروت ٣٣٥/٥

وورد في فهرس الظاهرية «طبائع العقاقير على مذهب ابن الجزار في كتاب الاعتماد - المقالة الرابعة».

الرقم العام ٣١٥٧ هـ. قال صلاح الخيمي معد الفهرس المؤلف مجهول، وذكر ذلك سزكين وبروكلمان إلا أن سزكين في مقدمة إصداره للكتاب نفسه صحح ذلك، وعد القطعة الموجودة في الظاهرية من الكتاب نفسه، وقد نشره تصويراً لنسخة أياصوفيا، وذكر في المقدمة أن معظم النسخ الأخرى المتوفرة للكتاب ناقصة، وأن الكتاب ترجم إلى الإغريقية واللاتينية والعبرية. وذكر بروكلمان ٤/٢٩٧ أنه ترجم إلى

العبرية نقلاً عن: شتاين شنايدر ٤٤٨.

وقد عرف الأستاذ إبراهيم بن مراد بالكتاب فقال:

«ألف ابن الجزار كتاب الاعتماد في زمن الخليفة الفاطمي القائم بن المهدي، الذي أهداه إليه، فتكون فترة تأليفه إذن بين سنتي ٣٢٢ - ٣٣٤ هـ، أي أن عمر ابن الجزار عندما ألف هذا الكتاب كان حوالي الأربعين سنة.

قسم ابن الجزار كتابه إلى أربع مقالات، ولم يتبع في تأليفه الطريقة المعجمية المألوفة التي تقوم أساساً على الترتيب الهجائي للمفردات، بل نهج طريقة تعتبر في عصره مستحدثة بحق، وهي ترتيب الأدوية حسب درجة قوتها وهي أربع: الأولى والثانية والثالثة والرابعة. لذلك كان كتابه في أربع مقالات. وهذا الترتيب يدل - بلا شك - على مدى إدراك ابن الجزار قوة تأثير الأدوية ومعرفته بمختلف خصائصها».

٣ - البغية في الأدوية المركبة.

ذكره صاعد الأندلسي في طبقات الأمم ص ١٥٤، وابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء ص ٤٨٢، والذهبي في التاريخ ٢٤١، وياقوت في معجمه ١٣٦ / ٢، وحاجي خليفة في الكشف ٢٥١، والبغدادي في الهدية ٧٠ / ١ وسزكين ٣٠٦ / ٣، وذكر نسخة في حلب برقم ٦١٨ في مكتبة بولس سباط (٢١).

٤ - «الخواص» رسالة.

ذكره ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء ص ٤٨٢، وحاجي خليفة في سلم الوصول^(٢٢)، والبغدادي في الهدية ٧٠ / ١، وبروكلمان ٢٩٨ / ٤، وسزكين ٣٠٦ / ٣. وذكرنا نسخة ترجمته إلى العبرية نقلاً عن شتاين شنايدر رقم ٤٥٢، ومنه نسخة في الجامع الكبير في صنعاء رقم ٢٠ / طب.

٥ - زاد المسافر وقوت الحاضر.

وهو أهم كتاب من الكتب المتوفرة لابن الجزار.

ذكره صاعد الأندلسي في طبقات الأمم ص ١٥٤، وابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء ص ٤٨٢، وياقوت في معجمه ١٣٦ / ٢، والذهبي في السير ١٥ / ٥٦١، والتاريخ ص ٢٤١ بعنوان «زاد المسافر في علاج الأمراض»، والصفدي في الوافي ٦ / ٢٠٨، وحاجي خليفة في الكشف ٩٤٦، والبغدادي في الهدية ٧٠ / ١، وبروكلمان ٢٩٦ / ٤، وسزكين ٣٠٥ / ٣.

منه نسخ متعددة: في مكتبة أزمير ميلي ٥٠ / ٤٧٠ (٢٦٦٣٦)، وفي مكتبة دريسدن في ألمانيا رقم ٢٠٩، وفي المكتبة الوطنية بباريس ٢٨٨٤، وبالخزانة العامة بالرباط ١٧١٨، وبودليانا «انجلترا» رقم ٣٠٢، وبالجزائر رقم ١٧٤٦ وبكليفلاندا رقم ١ / ٩٢ (طب) وبيدار الكتب (طب، م ٤ - ٣٧) وبكوبنهاجن رقم ١٠٩ ونسخة أخرى

بالخزانة الملكية Arab cix وتشستربيتي
رقم ٥٢٢٤ وبيروت - سامي حداد - ١٥
وبالخدوية ن ع / ٧٦٩٦ وبحضرموت
١١٥٨ وبالمكتبة الشعبية بالملكلا^(٢٢) وبتركيا
كمانكش ٣٥٣ وبهافيتا ١٠٩ وميتديشي
٢٥٦ ورامبور ٤٨١ / ١٠٤ وبالجامعة
الأمريكية ببيروت طب / ٦٣١ ودار الكتب
٤٣٠٨ / ل

ترجم الكتاب منذ أول عهده إلى اللاتينية
والعبرية وفي مكتبات العالم نسخ متعددة
عن هذه الترجمات. وأخيراً فقد نشره
الأستاذان محمد سويسي والراضي الجازي
سنة ١٩٨٦ في بيت الحكمة بتونس (سلسلة
إحياء التراث العلمي ٢).

أما عن التعريف بالكتاب فقد طارت
شهرته كثيراً منذ أول عهده قبل وفاة
مؤلفه، فقد امتدحه الشاعر المشرقي كشاجم
المتوفى سنة ٣٦٠ هـ في أبيات فقال:

أبا جعفر أبقيت حياً وميتاً
مفاخر في ظهر الزمان عظاماً
رأيت على «زاد المسافر» عندنا
من الناظرين العارفين زحاماً
فأيقنت أن لو كان حياً لوقته
يوحنا لما سمي «التمام» تماماً
سأحمد أفعالاً لأحمد لم تنزل
مواقعها عند الكرام كراماً^(٢٣)

أما عن الطريقة التي اتبعها ابن الجزار في
تصنيف هذا الكتاب فهي طريقة مغايرة

لطريقته في كتاب الاعتماد التي سبق
الحديث عنها، فهو يقسم الكتاب إلى سبع
مقالات مقسمة بدورها إلى أبواب حسب
أمراض الجسم. يقول ابن الجزار في مقدمة
كتابه: «وسلكت في ذلك عند تأليفه وجمعه
مسلكاً بيناً مختصراً واضحاً مشروحاً
مفسراً، لينظر فيه الراغب، ويقتصر عليه
الطالب، ويكون تذكرة للعالم الحاضر، وزاداً
للمسافر إلى البلدان البعيدة التي لا يوجد
فيها طبيب، أطال الله بقاءك.

لامزيداً على ما يحتاج إلى علمه من صناعة
الطب فتنسأه، ولا يقصر عن مرادك فتلجأ إلى
ماسواه، وذلك أنني ذكرت في كل باب منه
(ماهية) العلة التي يقصد إلى ذكرها
ومداواتها، وأثبت حدها المبين عن طبيعتها،
والسبب الفاعل لها، والبرهان الدال عليها». و
ربما كان من المناسب أن أذكر بعض
مقاله أهل هذه الصناعة عن هذا الكتاب.

يقول الدكتور عبدالكريم شحادة الأستاذ
بكلية الطب في جامعة حلب: «إن زاد المسافر
موسوعة طبية مختصرة شاملة، كتبت
بأسلوب سهل شيق، واحتوت على كل
ما يحتاج إليه الطبيب، وطالب الطب، فضلاً
عن ليس بطبيب، مسافراً كان أو مقيماً،
وهؤلاء كلهم يجدون في هذا الكتاب الجامع،
بيسر وسهولة، وبلغة مبسطة، معلومات
مختصرة، ولكنها كافية لتذكيرهم سريعاً
بأعراض الأمراض التي يودون الاطلاع
عليها، وعلى أسبابها وعلاماتها وتشخيصها،

وتفريقها عما ينشأ بها من الأمراض، كما تطلعهم على طرائق معالجاتها والأدوية النافعة فيها، فهي والحالة هذه تشبه الكتب الطبية الحديثة المختصرة التي يطلق عليها «مسعفات الذاكرة»^(٢٤).

٦ - سياسة الصبيان وتدبيرهم.

لم تذكره المصادر القديمة ويوجد منه نسخة في البندقية ضمن مجموع برقم (ms. or. 157) وفي الأسكوريال (موراتا - أندلس) ١١٠ / ١٩٣٤ / ٢ ونسخة في الخزانة الملكية (نانيانا ٢ / ٢٤٠) ونسخة بالمكتبة الملكية بالرباط مجموع رقم ١٠٤٤، وقد حققه الأستاذ محمد حبيب الهيلة ونشره بتونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٦٨، وأعاد نشره في بيروت: دار الغرب الإسلامي ١٩٨٤ ورد في مقدمته

«قال أبو جعفر أحمد بن إبراهيم ابن أبي خالد: إن معرفة سياسة الصبيان وتدبيرهم، باب عظيم الخطر جليل القدر، ولم أر لأحد من الأوائل المتقدمين المرضيين في ذلك كتابا شافيا، بل رأيت ما يحتاج من علمه ومعرفته من ذلك متفرقا في كتب شتى، وأماكن متفرقة، مما جعل بعض الناس قد عرف بعضه، وجهل بعضه، ولعل بعضهم قد عرف ذلك كله، ولم يعرفه من أسهل طرقه، وأقصر سبله، وأقرب مأخذه، فلما كان الأمر في ذلك على ما وصفنا، رأيت أن

أجمع المتفرق من ذلك في الكتب الكثيرة، وألفت بعضه في هذا الكتاب، كالذي يؤلف من الجوهر إكليلا بهيا.

٧ - طب الفقراء.

ذكره ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء ص ٤٨٢، والذهبي في السير ١٥ / ٥٦٢ والتاريخ ص ٢٤١، وحاجي خليفة في الكشف ١٠٩٥، والبغدادي في الهدية ١ / ٧٠، وبروكلمان بعنوان طب الفقراء والمساكين ٤ / ٢٩٧، وسزكين ٣ / ٣٠٦ بعنوان «طب الفقراء والمساكين» أيضاً. ومنه نسخة في الأسكوريال رقم ٨٥٧ / ٢ ونسخة أخرى برقم ٨٥٢ / ١ وباريس المكتبة الوطنية رقم ٣٠٣٨، وبغوته رقم ٢٠٣٤، وببورصة ١١٢٦ / ١ وبكامبردج Or/021/12 وببغداد (المتحف) ٢١٠٣، وبالرباط (كتاني) ٩٣٨، وبالخزانة الصبيحية ٢٢٢ / ٤ وبيروت (سامي حداد) ١٦، وتركيا (خراحي أوغلي) ١١٢٦ / ١.

ذكر بروكلمان أن الكتاب ترجم إلى العبرية نقلاً عن شتاين شنايدر ٤٥١.

وقد حققه وطبعه الأستاذ سليمان قطاية وظهر في طبعة فاخرة بباريس (دون تاريخ).

ذكر في مقدمته أنه ألف كتابا في علاج أمراض البدن سماه زاد المسافر، ولما رأى أن كثيرا من أهل الفقر والمسكنة يعجزون

عن أن ينالوا منافع ذلك الكتاب وغيره من سائر الكتب التي ألفها، جمع لهم في هذا المختصر ما ييسر لهم تحصيله من تلك الأدوية^(٢٥).

٨. طب المشائخ وحفظ صحتهم.

كتاب عالٍ فيه الحالات التي تعترى المسنين والمعمرين وما يجب عليهم اتباعه للمحافظة على العافية واستدامة الصحة. ولم يذكره أحد ممن ترجم لابن الجزار من القدماء. ويوجد منه نسخة في دار الكتب (خيري) ١٠٨ / ١٥٨، ونسخة أخرى مصورة عنها برقم ٥٦٣٦ / ل طب. كتب عنه الدكتور إسماعيل بودربة أطروحة التي قدمها لجامعة الجزائر سنة ١٩٥٢ بعنوان

Contribution a l'étude de la médecine arabe en Tunisie au Xe siècle a travers "Tibb, al masayih" d'Ibn Al-Gazzar.^(٢٦)

٩. العدة لطول المدة.

ذكره ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء ص ٤٨٢ والذهبي في تاريخ الإسلام ص ٢٤١ وحاجي خليفة في كشف الظنون بعنوان «العمدة لطول المدة» ص ١١٧١، والبغدادي في الهدية ٧٠ / ١ بعنوان «العمدة لطول المدة».

منه نسخة في المكتبة الخاصة لمايرهوف برقم (٢٠ / ١٩٢٨ / ٧٥).

١٠. علاج السعال وإزالة حصى الكلى والمثانة وعلاج مرض الطحال.

ذكره بروكلمان ٤ / ٢٩٨، منه نسخة في بودليانا ١ / ٢٠٥٧٩.

١١. الفرق بين العلل التي تشبه أسبابها وتختلف أعراضها.

ذكره ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء ص ٤٨٢، وحاجي خليفة في الكشف ١٢٥٦، والبغدادي في الهدية ١ / ٧٠. منه نسخة في مكتبة الأوقاف ببغداد (١ / ٦٠٢ / مجاميع). وقد حقق الأستاذ سلمان قطاية كتاب «مالفارق أو الفروق أو كلام في الفروق بين الأمراض».

ونشره معهد التراث العلمي بحلب سنة ١٩٧٨، ونسبه إلى أبي بكر الرازي ثم أعادت تحقيق الكتاب رمزية محمد الأطرقي، ونشرته بعنوان: «الفرق بين الاشتباهات في العلل». نشر مركز إحياء التراث العلمي العربي ببغداد، ١٩٨٤، ونسبته إلى ابن الجزار^(٢٧).

١٢. فنون الطيب والعطر.

ذكره ابن الجزار في طب المشائخ، وذكره حسن حسني عبدالوهاب بعنوان «العطر» وقال: يظهر أنه خصه لصناعة الروائح

العطرية، وطرائق تقطيرها من النباتات والعقاقير التي يستخرج منها. وذكر بروكلمان ٤ / ٢٩٨ كتاب «بديل العطور» وأن له نسخة في الإسكوريال برقم أول ٨٩١: ٤، ومنه نسخ أخرى في تركيا (إسماعيل صائب) ٥١٤٣ و تركيا (وهبي) ١٤٨١.

١٣. كتاب المعدة وأمراضها ومداواتها.

ذكره مؤلفه في طب المشايخ، وابن أبي أصيبعة في عيون الأنبياء ص ٤٨٢، والبغدادي في الهدية ١ / ٧٠، وبروكلمان ٤ / ٢٩٨، وسزكين ٣ / ٣٠٦. منه نسخة في الأسكوريال ثان ٨٥٢: ٤، والظاهرية ٣١٦٦، وبالمتحف العراقي رقم ٢١٠٣ ورد فيها العنوان «طب المعدة». حققه الأستاذ سلمان قطاية ونشره في بغداد: دار الرشيد، ١٩٨٠ (٢٨).

١٤. المعتمد في الأدوية المفردة.

ذكره الأستاذ الهيئة في مقدمة سياسة الصبيان وقال: منه نسخة في برلين ضمن المجموع رقم ٦٤٢٦، ويبدو أنه غير كتاب الاعتماد السابق الذكر. فقد كتب في نهايته: انتهى المقصود من كتاب المعتمد المختصر من كتاب الجامع لقوى الأغذية والأدوية. وقد نقد هذا الكلام ابن مراد فقال: «وبالنظر في وصف هذا المخطوط في الفهرس المذكور تبين لنا أن عنوان الكتاب

صحيح هو «المعتمد في مفردات الطب». وهو للطبيب المعروف السلطان الملك يوسف بن عمر بن علي بن رسول النسائي ت ٦٩٥ هـ. وقد اختصر فيه المؤلف بعض المؤلفات الطبية. ذكرها في المقدمة كالجامع لابن البيطار والمنهاج لابن جزلة وتقويم الأدوية للتفليسي والإبدال لابن الجزار» (٢٩).

ب - الكتب التي لم تصل إلينا :

■ «الأحجار» الكريمة ومنافعها ومعادنها وخواصها.

ذكره التيفاشي القفصي في تصنيفه أزهار الأفكار في جواهر الأحجار، ومن جملة ما نقل عنه العبارة التالية:

قال أحمد بن خالد المعروف بابن الجزار في كتابه في الأحجار: «عالجت أنا وصيفاً الخادم (الفاطمي) صاحب المظلة من حصاة عظيمة كانت به...» (٣٠).

١. أسباب وباء مصر، والحيلة في دفعه.

ذكره ابن أبي أصيبعة في عيون الأنبياء ص ٤٨٢، والذهبي في السير ١٥ / ٥٦١ والتاريخ ص ٢٤١ بعنوان «الأسباب المولدة للوباء في مصر بطريق الحيلة في دفع ذلك. والبغدادي في هدية العارفين بعنوان «نعت الأسباب المولدة للوباء».

وقد ألف علي بن رضوان (٣١) ت ٤٥٣ هـ كتاباً عنوانه «كتاب في دفع مضار الأبدان

عن أرض مصر « خصص الفصل الخامس منه للرد على ابن الجزار في كتابه هذا فقال: فصل في أن أكثر ما أعطاه ابن الجزار في الباب الأول من كتابه أن العلة في مرض الذين وفدوا من المغرب إلى مصر هو شدة اختلاف هواء مصر»^(٢٢).

٢ - أسباب الوفاة.

ذكره حاجي خليفة في سلم الوصول^(٢٣).

٣ - الاستهانة بالموت.

ذكره ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء ص ٤٨٢، والصفدي في السواني ٦ / ٢٠٨ بعنوان «رسالة في استهانة الموت»، والبغدادي في الهدية ١ / ٧٠.

٤ - أصول الطب.

ذكره الذهبي في تاريخ الإسلام ص ٢٤١ بعنوان «الوصول إلى الأصول» وهو كتاب «المدخل إلى الطب». وذكره المؤلف في طب المشائخ^(٢٤).

٥ - «البلغة» في حفظ الصحة.

ذكره ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء ص ٤٨٢، وحاجي خليفة في الكشف ٢٥٣، والبغدادي في الهدية ١ / ٧٠.

٦ - التعريف بصحيح التاريخ.

ذكره صاعد في طبقات الأمم ص ١٥٤،

وابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء ص ٤٨٢، وياقوت في معجمه ٢ / ١٣٦، وقد رآه ياقوت في عشر مجلدات، والصفدي في الوافي ٦ / ٢٠٨، ونقل عنه المالكي^(٢٥) في رياض النفوس، والقفطي في إنباه الرواة ٢ / ١٧٣. كما نقل عنه ابن خلكان في وفيات الأعيان^(٢٦) في ترجمة أشهب تلميذ مالك والقزاز محمد بن جعفر التميمي النحوي المعروف. وترجمة أبو عبيد القاسم بن سلام، ونقل عنه القاضي عياض في المدارك^(٢٧)، وذكره حاجي خليفة في الكشف ٤٢٠، والبغدادي في الهدية ١ / ٧٠، وبروكلمان ٤ / ٢٩٨.

وهو كتاب يشتمل على وفيات علماء زمانه وقطعة من أخبارهم. وسار فيه على طريقة التاريخ بالحواليات ذكراً للحوادث على نظام السنين^(٢٨).

٧ - «الجدام» وأسبابه وعلاجه.

ذكره ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء ص ٤٨٢، والصفدي في السواني ٦ / ٢٠٨، وحاجي خليفة في الكشف ٨٥٧ بعنوان «رسالة في الجدام». والبغدادي في الهدية ١ / ٧٠.

٨ - «الحمامات» منافعها ومضارها.

ذكره ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء ٤٨٢، وحاجي خليفة في سلم الوصول^(٢٩).

٩- «الخواص».

ذكره ابن أبي أصيبعة في عيون الأنبياء ٤٨٢، والبغدادي في الهدية ١ / ٧٠، وبروكلمان ٤ / ٢٩٨، وذكر ترجمته للاتينية نقلاً عن شتاين شنايدر ٤٥٢ وترجم إلى العبرية أيضاً^(٤٠).

١٠- دولة المهدي وظهوره بالمغرب.

ذكره في عيون الأنبياء ٤٨٢، وياقوت في معجم البلدان في مادة (طنبذة)، والذهبي في السير ١٥ / ٥٦١، والتاريخ ص ٢٤١، والمقرئزي في اتعاظ الحنفا، وحاجي خليفة في الكشف ٢٧ بعنوان أخبار الدولة. وهو تاريخ حافل بسط فيه القول عن ظهور عبيدالله المهدي بأفريقية، وانتشار دعوته بها، وسقوط دولة بني الأغلب وماحصل من الأحداث في تلك الفترة^(٤١).

١١- دم إخراج الدم.

ذكره ابن أبي أصيبعة في عيون الأنبياء ص ٤٨٢ بعنوان «التحذر من إخراج الدم من غير حاجة دعت إلى إخرجه»، والذهبي في السير ١٥ / ٥٦١، والتاريخ ٢٤١، وحاجي خليفة في الكشف ٨٦٤، والبغدادي في الهدية ١ / ٧٠.

١٢- رسالة الأدوية.

ذكرت في سلم الوصول ولعلها «إبدال الأدوية»^(٤٢).

١٣- رسالة في النفس.

ذكرها صاعد في طبقات الأمم / ١٥٤، وابن أبي أصيبعة في عيون الأنبياء ص ٤٨٢، وياقوت في معجمه ٢ / ١٣٦، والذهبي في السير، ١٥ / ٥٦١، والتاريخ ٢٤١ بعنوان «النفس وأقوال الأوائل فيها». والصفدي في الوافي ٦ / ٢٠٨ بعنوان «رسالة في النفس»، وحاجي خليفة في الكشف ٨٩٦، والبغدادي في الهدية ١ / ٧٠.

١٤- «الزكام» وأسبابه وعلاجه.

ذكره في عيون الأنبياء ٤٨٢، والصفدي في الوافي ٦ / ٢٠٨، وحاجي خليفة في كشف الظنون ٨٧٠، والبغدادي في الهدية ١ / ٧٠.

١٥- زاد المسافر في علاج الفقراء والمساكين.

ذكره البغدادي في الهدية ١ / ٧٠، وفي إيضاح المكنون ١ / ٦٠٧، وقال الحبيب الهيلة^(٤٣): «ويمكن أن يكون هو بذاته كتاب طب الفقراء»، وأكد ذلك ابن مراد^(٤٤) فقال: «والكتاب هو فعلاً طب الفقراء والمساكين». وهذا هو مذهب بروكلمان أيضاً، وقد اطلع لكرك على مخطوطة هذا الكتاب ووصفها في تاريخه وصفاً موجزاً واعتبرها نسخة مختصرة مشوهة من كتاب زاد المسافر.

١٦- كتاب السموم.

ذكره ابن الجزار نفسه في كتابه الاعتماد

في المقالة الرابعة ص ١٤٧ من منشورات سزكين وفي خاتمة الكتاب أيضا وذكره ابن البيطار في مفرداته^(٤٥).

١٧- طبقات القضاة.

نقل عنه القاضي عياض في المدارك وكأنه خصصه لتراجم العلماء الذين تداولوا على قضاء أفريقية إلى عصره^(٤٦).

١٨- عجائب البلدان.

وقيل «عجائب الأرض».

نقل عنه ابن البيطار في مادة «زمرد» وذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ١١٢٦، وفي إيضاح المكنون ٢ / ٩٣، وهدية العارفين ١ / ٧٠.

وهو تقويم البلدان ووصفها، ورد ذكره مراراً في الكتاب المعروف بجغرافية المأمون المنسوب إلى الفزاري، ونقل عنه فصلاً في وصف مدينة رومية.

وذكر حسن حسني عبدالوهاب أنه يوجد منه نسخة في خزانة كتب المرحوم الباشا المصلوحي قائد بني رزين من بلاد غمارة في ناحية الريف من المغرب الأقصى^(٤٧).

١٩- «الفصول» في سائر البلاغات والعلوم.

ذكره ابن جلجل ص ٨٩، وابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء ٤٨٢، والبغدادي في الهدية ١ / ٧٠.

٢٠- قوت المقيم.

ذكره ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء ٤٨٢، وقال: حكى الصاحب جمال الدين بن القفطي أنه رأى له بقفط - في مصر - كتاباً كبيراً في الطب اسمه «قوت المقيم» وكان عشرين مجلداً. وذكره البغدادي في الهدية ١ / ٧٠.

٢١- كتاب عن النسيان وتقوية الذاكرة.

ذكره بروكلمان ٤ / ٢٩٨، ترجم إلى العبرية واللاتينية (شتاين شنايدر ٤٥٢).

٢٢- كتاب في الحيوان.

ذكره ابن الجزار نفسه في خاتمة كتاب الاعتماد^(٤٨).

٢٣- كتاب في منافع الأغذية.

ذكره ابن الجزار في خاتمة كتاب الاعتماد^(٤٩).

٢٤- «مجربات» في الطب.

ذكره ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء ص ٤٨٢، وحاجي خليفة في الكشف ١٥٩٢، وإيضاح المكنون ٢ / ٤٣١، والهدية ١ / ٧٠، ويذكر Le clerc أن منه نسخة بالقسطنطينية^(٥٠).

٢٥- «المختبرات».

ذكره ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء

ص ٤٨٢، وفي هدية العارفين ١ / ٧٠ بلفظ «المنخبرات».

٢٦. مغازي أفريقية.

في أخبار فتح العرب لبلاد تونس، ولم نر من بين المؤرخين من ذكره سوى أبي عبيد البكري في «مسالكه»^(٥١).

٢٧. «المقعدة وأوجاعها» رسالة.

ذكرها ابن أبي أصيبعة في عيون الأنبياء ص ٤٨٢، وحاجي خليفة في سلم الوصول^(٥٢).

٢٨. «المكمل» في الأدب والسياسة.

ذكره ابن أبي أصيبعة في عيون الأنبياء ص ٤٨٢، والبغدادي في الهدية ١ / ٧٠.

٢٩. صالح الأبرار.

ذكره ابن أبي أصيبعة في عيون الأنبياء ص ٤٨٢، والصفدي في الوافي ٦ / ٢٠٨ وحاجي خليفة في كشف الظنون ١٩٥٥، وذكره المؤلف في طب المشائخ، والبغدادي في الهدية ١ / ٧٠.

٣٠. النصح.

ذكره ابن الجزار نفسه في طب المشائخ وقال إنه جمع فيه أدوية الملوك والخواص^(٥٣).

٣١. النوم واليقظة.

ذكره ابن أبي أصيبعة في عيون الأنبياء ٤٨٢، والصفدي في الوافي ٦ / ٢٠٨، وحاجي خليفة في كشف الظنون ٨٩٦، وقال: كتبها إلى ابن أبي فضالة، والبغدادي في الهدية ١ / ٧٠.

خاتمة:

بعد هذه الجولة في آثار ابن الجزار ماوصل إلينا منها ومالم يصل، لا بد لنا من أن نلقي نظرة سريعة على تأثير ابن الجزار في الحضارة العربية الإسلامية، وتأثيره في الثقافة الغربية في عصره وماتلاه من عصور وعلى بعض ملامح منهجه العلمي. لقد بدأ تأثير ابن الجزار في الثقافة العربية الإسلامية وهو لا يزال على قيد الحياة بكتابه «زاد المسافر» خاصة الذي حظي بمنزلة كبيرة جداً في المشرق العربي وفي الأندلس.

وكذلك كتابه الاعتماد في الأدوية المفردة، الذي ينقل عنه ابن البيطار في كتابه الجامع لمفردات الأدوية، فقد نقل عنه في أكثر من ثلاثين موضعاً.

ومن جملة من نقل عنه في كتبه الطبية أبو القاسم الزهراوي في «التصريف لمن عجز عن التأليف». وابن سينا في «القانون» والشريف الإدريسي في «الجامع لصفات أشتات النبات».

أما تأثيره في الثقافة الغربية فقد كان عن

طريق الترجمة إلى اللغات العلمية المستعملة في أوروبا في القرن العاشر إلى السادس عشر الميلادين، وأهمها اللاتينية والإغريقية، فقد ترجمت كتب ابن الجزار إلى هذه اللغات في الوقت الذي لاتزال الثقافة اليونانية الطبية والصيدلية هي الرافد الأساسي للثقافة العربية الإسلامية^(٥٠).

أما عن منهج ابن الجزار العلمي فإن أهم سماته تتمثل فيما يلي:

١ - ذكر المصادر :

فهو يذكرها ويذكر أسماء أصحابها بكثير من التقدير والإجلال ويثني على مجهوداتهم الكبرى.

٢ - النقد :

ويتمثل في أمور وهي:

أ - محاولة منه لتكميل ما بدا له ناقصاً أو مشتتاً، فهو يرى مثلاً «أن معرفة سياسة الصبيان وتدبيرهم باب عظيم الخطر، جليل القدر، ولكنه لم ير لأحد من الأوائل المتقدمين في ذلك كتاباً كاملاً.

ب - محاولة منه لإيجاد صيغة أفضل لتقديم المعلومات بطريقة تتجنب الإطالة المملة أو التقصير المخل، فقد رأى كثيراً من عظماء الأطباء وأفاضلهم وضعوا كتباً في علاج الأدوية التي تعرض في جميع أعضاء البدن. إلا أن منهم من طول وأكثر في مقدار الحاجة ومنهم من قصر عما يحتاج إليه، فقام بوضع تأليف وسط فكان كتابه طب الفقراء.

ج - محاولة منه لتعويض ما بدا له غير مفيد، فيذكر مثلاً وصفة وضعها الأقدمون ثم ينبه القارئ أنه إذا لم تنفعه هذه الوصفة فما عليه إلا أن يجرب وصفة أخرى وضعها هو بنفسه تعويضاً عن الوصفة الأخرى.

٣ - التبويب المنطقي :

يحاول ابن الجزار أن يكون واضحاً تمام الوضوح فيما يضعه أمام القارئ من تأليف. فكتابه الاعتماد مقسم إلى أربع مقالات مرتبة حسب درجة قوة الأدوية. وهو ترتيب من مبتكراته، أما زاد المسافر فمقسم إلى سبع مقالات مقسمة بدورها إلى فصول حسب أمراض الجسم من أعلى إلى أسفل. وكذلك في كتاب العطور، فيذكر أن الأصول التي يبني عليها جميع العطر تنقسم إلى قسمين: باردة وحارة. وأصول الحارة أربعة وهي المسك والعنبر والعود والزعفران وأصول الباردة أربعة الكافور والصندل والورد والأشنة.

وهذا طابع سائر كتبه وكأنه مغرم بالتقسيم المنطقي، فهو يحاول دائماً أن يقدم مادته حسب مراحل معينة مضبوطة. رحم الله ابن الجزار هذا الابن البار للثقافة العربية والإسلامية بل للثقافة الإنسانية جمعاء، ونسأل الله أن يُعيد لهذه الأمة سالف مجدها ودورها في بناء الحضارة الإنسانية. ■

الهوامش :

(١) ممن اشتهر بتونس من الأطباء إسحاق بن عمران (٢٩٤ أو ٢٩٥ هـ) وإسحاق بن سليمان الإسرائيلي (ت نحو ٣٢٠ هـ) ومحمد ابن أحمد بن أبي خالد الجزار (المتوفي في النصف الأول من القرن الرابع للهجرة وإبراهيم بن أبي بكر بن الجزار أخو محمد وزيد بن خلفون والفضل بن علي بن ظفر وغيرهم وورقات ص ٢٣٣ وما بعدها.

(٢) إبراهيم الثاني الأغلبى : هو إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب ، تاسع الأمراء من آل بيته، تولى حكم أفريقية من سنة ٢٦١ - ٢٨٩ وكان شديد الطلب ، مولعاً بمصاحبة العلماء الأجلاء، يميل إلى العلوم الرياضية ولاسيما الفلك مع إتقانه لعلوم الدين واللغة والأدب وينشد الشعر الرقيق، وكان يشارك في مناظرة العلماء ت سنة ٢٨٩: وورقات عن الحضارة العربية ١ / ٢٢٢.

(٣) بيت الحكمة : أسسه إبراهيم الثاني الأغلبى في مدينة الرقادة قرب القيروان وأطلق عليه هذا الاسم تيمناً بسميتها العباسية وعين لها ناظراً سماه صاحب بيت الحكمة، جمع لها نفائس الكتب وآلاف الرصد حتى صارت مركز إشعاع علمي كبير كان له أثر جليل في نقل العلوم العربية في الطب وغيره لتصل إلى صقلية وإيطاليا، بقي بين الحكمة يؤدي دوره الكبير في صنوف المعرفة حتى استيلاء عبيدالله المهدي على البلاد التونسية، فحواله إلى مركز لبث الدعوة الفاطمية الإسماعيلية لصالح العبيديين فلم ير علماء المعهد بعد أن انتفتت الغاية العلمية من وجودهم فيه إلا الهجرة إلى خارج البلاد». السامرائي، مختصر

تاريخ الطب ١ / ٥٥٩.

(٤) المنستير : مدينة بساحل أفريقية كان يربط بها المتعبدون وبعض الزهاد، وفي آخر كتاب «شجرة النور الزكية» رسالة في الكلام على المنستير وفضائلها وجغرافيتها ووصفها.

(٥) طبقات ابن جلجل ص ٨٨ - ٩١

(٦) نفس المصدر السابق.

(٧) طبقات الأمم لصاعد الأندلسي ص ١٥٣ - ١٥٤.

(٨) معجم الأدباء ٢ / ١٣٦.

(٩) تاريخ الإسلام للذهبي ٢٤١.

(١٠) ابن عذاري في البيان المغرب ج ١ ص ٢٣٧.

(١١) تاريخ التراث العربي ٣ / ٣٠٤ - ٣٠٧.

(١٢) وورقات ١ / ٣١٩.

(١٣) ابن مراد في بحوث في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب ص ١٨٦.

(١٤) مقدمة سياسة الصبيان ص ٣٣ - ٣٥.

(١٥) حاجي خليفة في كشف الظنون ٢٧، ١٢٠، ٢٥١، ٢٥٣، ٤٢٠، ٨٤١، ٨٥٧، ٨٦٤، ٨٧٠، ٨٩٦، ٨٩٧.

(١٦) ٩٤٦، ١٠٩٥، ١١٢٦، ١١٧١، ١٢٥٦، ١٥٩٢، ١٩٥٥.

والقول في ترجيح رأي ابن عذاري لأسباب:

- الراجح أن ابن عذاري نقل عن إبراهيم بن القاسم الرقيق ت ٤١٧ وهو قيرواني معاصر لابن الجزار.

- أن ابن الجزار توفي قبل سنة ٣٧٧ هـ وهو تاريخ تأليف طبقات ابن جلجل الذي يذكر موته.

- اطلع ابن الجزار على كتاب الحروف للقزاز الذي ألفه استجابة لرغبة المعز العبيدي وأكمه في سنة ٣٦١ محمد الحبيب الهيلة في مقدمة سياسة الصبيان.

- (٣٠) ورقات ١ / ٣٢٠ .
- (٣١) ترجمته في معجم المؤلفين لكحالة ٧ / ٩٤ .
- (٣٢) من كتاب علي بن رضوان نسخة دار الكتب رقم (١٠١ / ط)، سلمان قطاية: مقدمة كتاب المعدة ص ٢٥ ، ٢٧ .
- (٣٣) مقدمة سياسة الصبيان ص ٤٥ .
- (٣٤) ورقات ١ / ٣١٩ .
- (٣٥) رياض النفوس للمالكي ٢ / ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٧٧ .
- (٣٦) وفيات الأعيان لابن خلكان ١ / ٢٣٨ ، ٤ / ٣٧٥ ، ٦٢ .
- (٣٧) تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض لمحمد الطالبی ص ٧٩ - ١٧٢ وغيرها .
- (٣٨) مقدمة سياسة الصبيان ص ٤٦ .
- (٣٩) المرجع السابق ص ٤٩ .
- (٤٠) ورقات ١ / ٣١٧ .
- (٤١) المصدر السابق ١ / ٣١٨ .
- (٤٢) مقدمة سياسة الصبيان ص ٤٧ .
- (٤٣) المرجع السابق ص ٤٨ .
- (٤٤) بحوث في تاريخ الطب... ص ٧٦ .
- (٤٥) مفردات ابن البيطار في مادة «شجرة الدب» .
- (٤٦) تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض لمحمد الطالبی ص ٤١ .
- (٤٧) ورقات ١ / ٣١٩ .
- (٤٨) خاتمة كتاب الاعتماد (منشورات سزكين ص ١٨٠) .
- (٤٩) المرجع السابق .
- (٥٠) مقدمة سياسة الصبيان ص نقلاً عن لوكلارك: تاريخ الطب العربي ١ / ٤١٦ .
- (٥١) ورقات ١ / ٣١٩ .
- (٥٢) مقدمة سياسة الصبيان ص ٤٧ .
- (٥٣) ورقات ١ / ٣١٧ .

- (١٧) هناك كثير من المستشرقين الذين اهتموا في تاريخ الحضارة الإسلامية وتاريخ الطب العربي خاصة مثل مايرهوف، وهيرشبرغ وأولمان وسارتون ولوكير وبروكلمان .
- (١٨) سزكين ٣ / ٣٠٤ - ٣٠٧ .
- (١٩) مقدمة سياسة الصبيان ص ٣٨ .
- (٢٠) الوافي بالوفيات للصفدي ٦ / ٢٠٨ .
- (٢١) فهرس سباط ١ / ٧٦ .
- (٢٢) مقدمة سياسة الصبيان ص ٣٨ .
- (٢٣) عيون الأنباء ص ٤٨٢ وغيره .
- (٢٤) راجع بحثاً مهماً في التعريف بالكتاب للأستاذ إبراهيم بن مراد في كتابه بحوث في تاريخ الطب... ص ٣٠٧ .
- (٢٥) كوركيس عواد في بحث عن المخطوطات الطبية نشره في مجلة سومر العراقية مج ١٥ / ١٩٥٩ ص ٣٩ .
- (٢٦) مقدمة سياسة الصبيان ص ٤٢ .
- (٢٧) قام خلاف ونقاش حول نسبة الكتاب فنشر الأستاذ قطاية اعتراضه على نسبة الكتاب لابن الجزار في «أخبار التراث العربي» الصادرة عن معهد المخطوطات العربية بالكويت عدد ١٦ / ١٩٨٤ ص ٨ . ثم نشر ما يؤيد ذلك الأستاذ محمود الحاج قاسم محمد من الموصل في «أخبار التراث العربي» عدد ١٩ / ١٩٨٤ ص ٦ ، ثم انتصر لرأي الأطرقي الدكتور عادل البكري من جامعة المستنصرية. ونشر بحثه في «أخبار التراث العربي» عدد ٢٠ / ١٩٨٥ ص ٦ - ٨ ، وقدم لإثبات نسبة الكتاب لابن الجزار حججاً من الكتاب نفسه .
- (٢٨) ذخائر التراث .
- (٢٩) بالإضافة إلى أن رقم ٦٤٢٦ في فهرس برلين ليس مجموع أصلاً وإنما هو كتاب المعتمد الذي تحدث عنه ابن مراد .

مصادر ترجمة ابن الجزار

- صاعد بن أحمد بن عبدالرحمن الأندلسي
٤٢٠ - ٤٦٢ هـ.

طبقات الأمم / تحقيق حياة بوعلوان . - بيروت :
دار الطليعة ، ١٩٨٥ (ص ١٥٤).

- ابن جلجل ، سليمان بن حسان ٣٢٢ - بعد
٣٧٧ هـ.

طبقات الأطباء والحكماء / تحقيق فؤاد سيد . -
القاهرة : مطبعة المعهد العلمي الفرنسي ، ١٩٥٥
(٨٨ - ٩٠).

- ابن أبي أصيبعة ، أحمد بن القاسم ٥٩٦ - ٦٦٨
هـ.

عيون الأنباء في طبقات الأطباء / تحقيق نزار رضا
- بيروت : دار مكتبة الحياة ، ١٩٦٥ (ص ٤٨١ -
٤٨٢).

- ياقوت الحموي ، ابن عبدالله ت ٦٢٦

معجم الأدباء المعروف بـ إرشاد الأريب إلى معرفة
الأديب . - [دمشق] : دار الفكر ، ١٩٨٠ (ج ٢ ،
ص ١٣٦ - ١٣٧).

- الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان ت ٧٤٨
هـ.

- سير أعلام النبلاء / أشرف على تحقيقه شعيب
الأرنؤوط .

- بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٣ (ج ١٥ ،
ص ٥٦١ - ٥٦٢).

- تاريخ الإسلام / تحقيق عمر عبدالسلام
تدمري .

- بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٩٨٩ (حوادث
ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠ ص ٢٤١).

- المقرئزي ، أحمد بن علي ٧٦٦ - ٨٤٥ هـ.

اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء /
تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة : لجنة إحياء
التراث الإسلامي ، ١٩٦٧.

- صلاح الدين الصفدي ، خليل بن أيك .

الوافي بالوفيات / اعتناء س. ديدرنيغ . - دار
النشر فرانز شتاينر بغسبادن ، ١٩٦٢ (ج ٦
ص).

- القفطي ، علي بن يوسف ت ٦٤٦ هـ.

إنباه الرواة على أنباه النحاة / تحقيق محمد أبو
الفضل إبراهيم . - القاهرة : دار الكتب المصرية ،
١٩٥٢ (ج ٢ ص ١٧٣).

- ابن فضل الله العمري ، أحمد بن يحيى ٧٠٠

- ٧٤٩ هـ. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار
منشورات سزكين (ج ٩ ص ٣٠٩).

- الحاج خليفة ، مصطفى بن عبد الله ١٠١٧

١٠٦٧ هـ

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون . -
بيروت : دار الفكر ، ١٩٨٢.

- الباباني البغدادي ، إسماعيل بن محمد أمين

ت ١٣٣٩.

- هدية العارفين . - بيروت : دار الفكر ، ١٩٨٢
(١ / ٧٠).

- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون .

- بيروت : دار الفكر ، ١٩٨٢.

- كارل بروكلمان

تاريخ الأدب العربي / نقله إلى العربية السيد
يعقوب بكر ورمضان عبدالنواب . - القاهرة ، دار
المعارف ، ١٩٨٣ (ج ٤ ص ٢٩٦).

- فؤاد ، سزكين

تاريخ التراث العربي

- حسن حسني عبدالوهاب

ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية التونسية .
- تونس : مكتبة المنار ، ١٩٦٥ (١ / ٣٠٦ -).

- علي عبدالله الدفاع

إسهام علماء العرب والمسلمين في الصيدلة . —
بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٥ (ص ٢٦٨).

- إبراهيم بن مراد

بحوث في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب . —
بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ١٩٩١ م.

- محمد الحبيب الهيلة

مقدمة سياسة الصبيان لابن الجزار . — تونس :
الدار التونسية للنشر ، ١٩٦٨.

- خير الدين الزركلي

الأعلام . — بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٧٩.

- عمر رضا كحالة

معجم المؤلفين . — دمشق : مطبعة الترقى ،
١٩٦٠.

- عبد السلام الترماني

أحداث التاريخ الإسلامي . — دمشق : دار طلاس ،
١٩٩١.

- عبد الوهاب الدخلي

الإسهام التونسي في تحقيق التراث المخطوط . —
قرطاج : بيت الحكمة ، ١٩٩٠.

- عبدالكريم اليافي

علماء العقاقير النباتية في الحضارة العربية
الإسلامية
مجلة التراث العربي ع ٢١ / ١٩٨٥ ص ٥٣.

- شوكت موفق الشطي

تاريخ الطب . — دمشق : مطبعة الجامعة السورية ،
١٩٥٧ (ج ٣ ، ص ١٨٠).

- كوركيس عواد

بحث عن مخطوطات في الطب نشره في مجلة سومر
العراقية مج ١٥ / ١٩٥٩ م.

- كمال السامراني

مختصر تاريخ الطب . — بيروت : دار نضال ،
١٩٨٩.

- محمد بن سعد الشويعر

عرض وتلخيص لكتاب «سياسة الصبيان» نشره
في مجلة الفيصل ع ٢٤ / ١٩٧٩ ص ٦٨-٧١

- الدوميلي

العلم عند العرب / ترجمة عبدالحليم النجار
ومحمد يوسف موسى . — القاهرة : دار القلم ،
١٩٦٢.

- ابن عذاري ، محمد المراكشي ت ٦٩٥

البيان المعزب في حلي المغرب

- العيون والحدائق في أخبار الحقائق لمؤلف
مجهول

تحقيق نبيلة عبدالمنعم داوود . — العراق ، مطبعة
النعمان ، ١٩٧٢.

- هيكل نعمة الله والياس مليحة

موسوعة علماء الطب . — بيروت : دار الكتب
العلمية ، ١٩٩١ م.

- القاضي عياض بن موسى اليحصبي ٤٧٦ -

٥٤٤

تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضي
عياض / تحقيق محمد الطالبي . — تونس
: الجامعة التونسية ، ١٩٦٨.

- جمعة ، شيخة

بحث بعنوان المنهج العلمي عند ابن الجزار منه
نسخة في مركز جمعة الماجد.

وهناك مصادر كثيرة ذكرت ابن الجزار لم أذكرها
خشية الإطالة وقد أحصى بعضها الأستاذ محمد
الحبيب الهيلة في مقدمة سياسة الصبيان وإبراهيم
بن مراد في «بحوث في تاريخ الطب...».

خواطر وآراء

حول مجلة

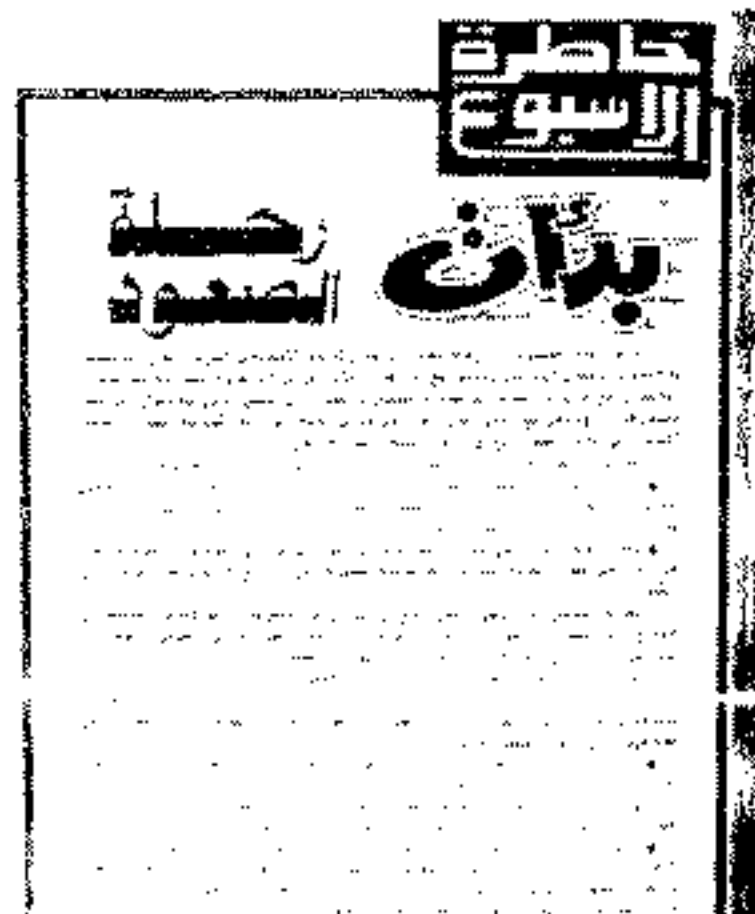
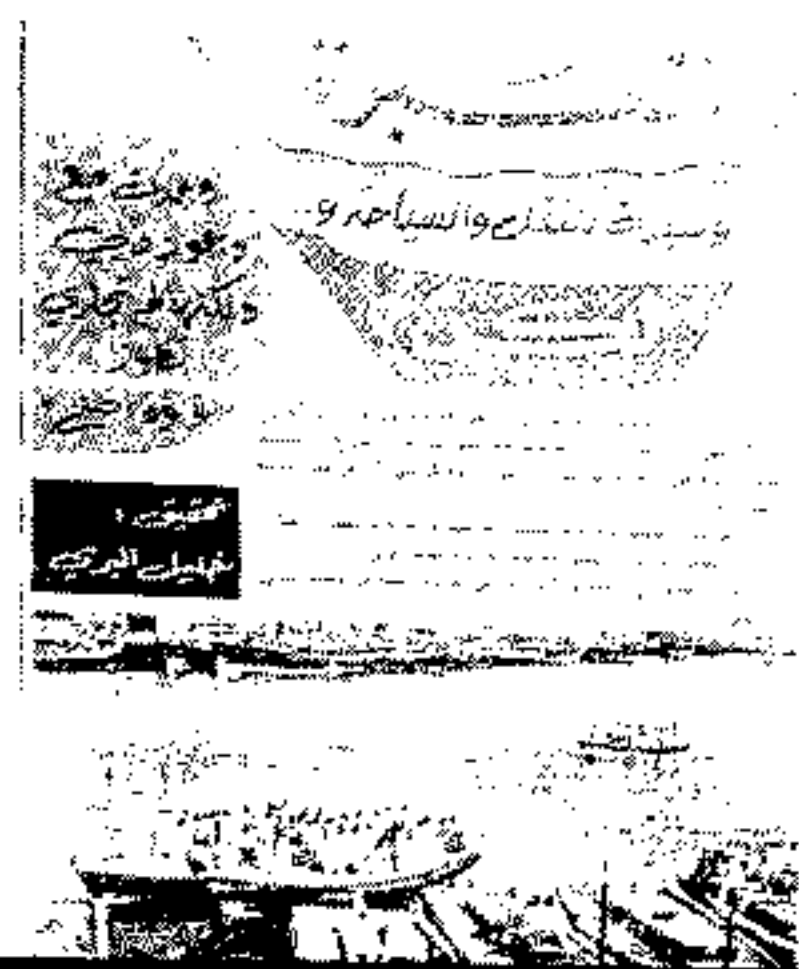
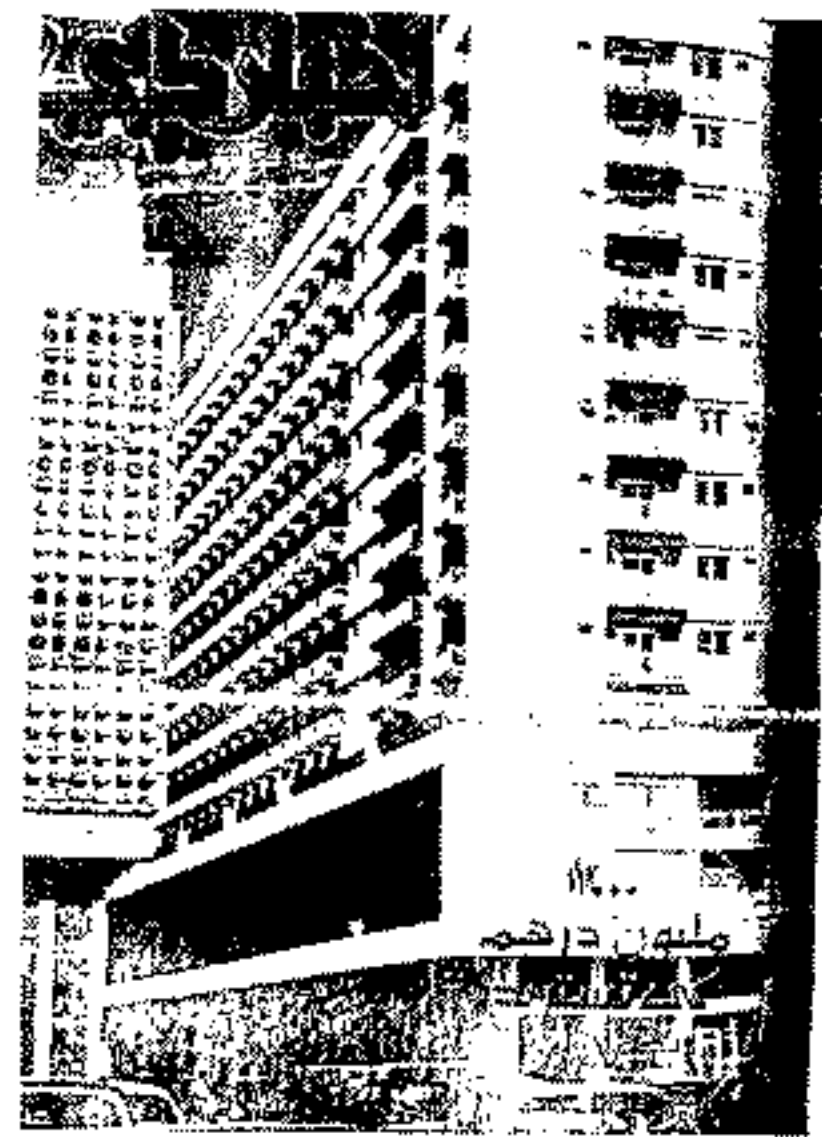
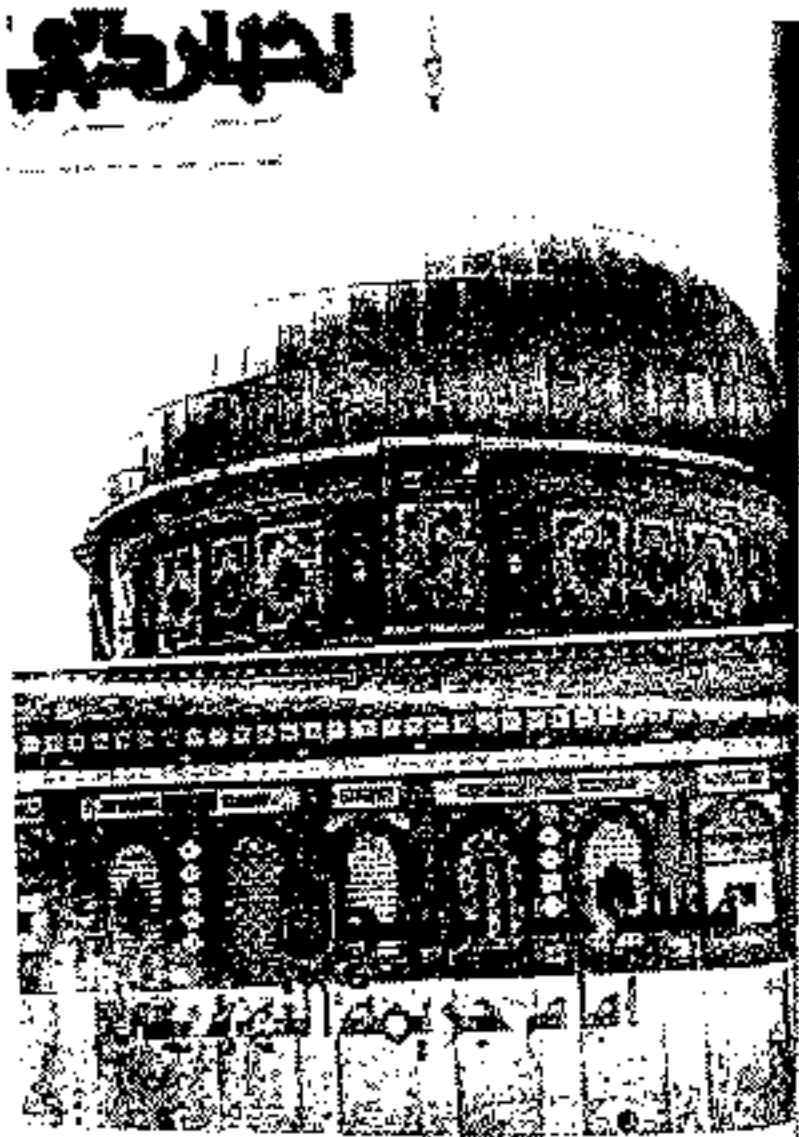
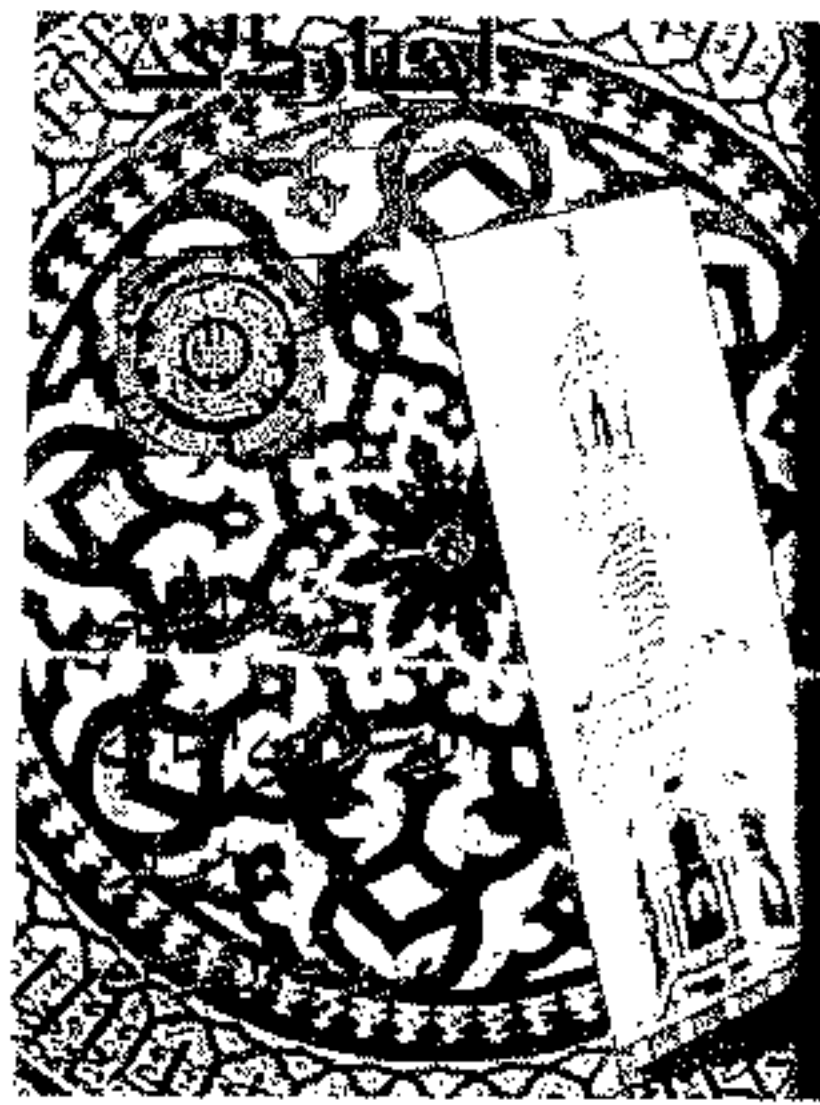
أخبار دبي

إعداد: محمد نذير الضريب



«...لم نكن حينذاك نتصور أبداً أن هذه المجلة ستكون الشاهد الوحيد الذي قيض له أن يواكب نهضة دولة الإمارات خطوة خطوة حتى أصبحت هذه الدولة راسخة الأركان، وأصبح ذكرها ملء السمع والبصر كما هو شأنها الآن.»

مدير بلدية دبي



بدأت مجلة «أخبار دبي» بالصدور على شكل نشرة إخبارية محلية (استانسل)، ثم تطورت بعد ذلك إلى نشرة دورية، ومن ثم إلى شبه جريدة محلية تحولت بعدها إلى جريدة نصف شهرية، وأخيراً إلى مجلة أسبوعية متنوعة.

ولعلنا نستهل حديثنا عن تلك الدورية بافتتاحية العدد الأول، التي كتبها أمين المكتبة العامة بدبي أمين صقر في يوم السبت ١٤ رمضان ١٣٨٤ هـ الموافق ١٦ يناير ١٩٦٥، وكانت حينذاك تصدر عن المكتبة العامة في إمارة دبي، وجاء فيها:

«نحمد الله تبارك وتعالى الذي بفضله خرجت هذه النشرة الإخبارية إلى النور، ومن حسن يمن الطالع أن صادف بزوغها حلول شهر رمضان المعظم، وبهذه المناسبة الكريمة نتقدم بأطيب التهاني لحاكم دبي

المعظم الشيخ راشد بن سعيد المكتوم وللمواطنين كافة، راجين المولى عز وجل أن يعيده على المسلمين باليمن والبركات.

«والغرض من إصدار هذه النشرة هو الإسهام بقدر الجهد المتواضع والإمكانات المحدودة في نشر الثقافة وكل ما هو نافع لهذا البلد الطيب والسادة المواطنين، وليست هذه النشرة قاصرة على جهة ما، أو وقفاً على طائفة معينة، بل هي ملك للجميع».

«كما يسعدنا أن نتلقى كل ما هو نافع لنشره، وكذا الرسائل للرد عليها أو نشرها إذا لزم الأمر. ولا يغرب عن الذهن أن بالنشرة أبواباً نذكر منها على سبيل المثال أخبار سمو الحاكم والحكومة، كما تتناول النواحي الدينية والأدبية والعلمية والطبية والاقتصادية والتربوية



والرياضية، وعلاوة على ذلك تقبل الإعلانات العامة والخاصة لنشرها وكذلك التهاني. والله تعالى نسأل أن يوفقنا بالمسير بهذا العمل الخيراً دائماً في خدمة الصالح العام، وهو ولي التوفيق».

بدأت نشرة أخبار دبي بالصدور عندما اقترح كمال حمزة مدير البلدية آنذاك (عام ١٩٦٥) إصدار نشرة إخبارية تحصر أعمال مجلس البلدية والدوائر الحكومية، وذلك بالتعاون مع كل من أمين صقر (أمين المكتبة العامة) وعبد الغفار حسين (مساعد مدير البلدية) والدكتور ياقوت السهوي (المشرف العام على الصحة في البلدية). تحقق هذا الاقتراح فصدرت النشرة التي تحولت إلى جريدة ثم إلى مجلة واكبت تطور إمارة دبي.

كانت نشرة أخبار دبي تتطور من حيث الكمية والنوعية، ومن حيث الشكل والمضمون بالرغم من العقبات الجمّة التي واجهتها البدايات، فقد شحت مواردها المادية لأن رسوم الاشتراكات والإعلانات كانت رمزية، ولم تتوافر لها كذلك القدرات الفنية والطباعة ولم يكن يطبع في بدايتها سوى خمسمائة نسخة فأصبحت ألف نسخة بعد عام ثم ألفين فيما بعد.

وأما ما يتعلق بوجود الكفايات الفكرية فكان هناك ندرة في الأقلام المتخصصة لتغطية أبواب هذه المجلة.

وبالرغم من كل هذه العقبات فقد أصبح للمجلة أسواق رائجة على الصعيد العربي، وفي كل من ألمانيا وبريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية

وإندونيسيا، وساعد على انتشارها النشاط التجاري الهام لإمارة دبي، وذلك باستقطابها المشتغلين بالتجارة الذين اشتركوا فيها.

كانت المجلة في تطور دائم ومستمر، يتماشى مع التطور السياسي والاجتماعي والاقتصادي لإمارة دبي. ففي عام ١٩٦٨، مع الذكرى السنوية الرابعة لها، طرأ على الجريدة تجديد من حيث الشكل والمضمون فأصبحت مجلة أسبوعية إعلامية جامعة، وظهر فيها أبواب جديدة مثل:

«رسائل إلى المحرر»، «زاوية الطبيب»، «استطلاع الأسبوع»، «قصة العدد»، «الرياضة»، «الأدب»، «التعارف»، «مسابقة الأسبوع»، «كلمات متقاطعة».

ثم ما لبثت أن احتجبت عن الصدور خمسة أشهر تقريباً، إلى أن صدر عددها الأول في منتصف عام ١٩٧٠ بإخراج جديد بواسطة التنضيد الآلي وطباعة الأوفست، بعد أن كانت تصدر على شكل عادي جداً وبطريقة لاتلائم طبيعة العصر، ولقد اقترح أحد القراء وقتها أن يبدل اسم مجلة أخبار دبي إلى مجلة «أخبار الإمارات»، إلا أن هيئة التحرير رأت الإبقاء على الاسم حتى بعد قيام دولة الاتحاد مع الأخذ بعين الاعتبار إبراز وجه دبي التجاري، لاسيما وأن لدى المجلة مراسلين في الإمارات كلها يزودونها بالأخبار والاستطلاعات والتحقيقات.

ورأيت من الطريف أن أنتقي بعض العناوين البارزة الواردة على أغلفة

المجلة التي تطرقت إلى مواضيع سياسية واقتصادية وحضارية واجتماعية وطبية ورياضية... إلخ

فمن الموضوعات السياسية :

«نتائج إيجابية لاجتماعات مجلس حكام الإمارات المتصالحة»، «لقاء من أجل إقامة اتحاد الإمارات العربية بين عاهلي إمارتي دبي وأبوظبي»، «الدولة العربية الجديدة: الإمارات العربية المتحدة» «حققنا الخطوة الأولى نحو اتحاد الإمارات التسع»، «اتحاد الإمارات العربية: دولة مستقلة ذات سيادة»، «العيد الأول لقيام دولة الإمارات العربية المتحدة»، «بدأت حرب التحرير [حرب تشرين التحريرية]»، «رحم الله الفيصل [ذكرى وفاة الملك فيصل]»، «محمد

بن راشد: أمنك بخير.. أنت بخير»، «محمد بن راشد يعلن: مطاراتنا مغلقة في وجه الخاطفين [إثر عملية اختطاف طائرة]»، «بومدين في ذمة الله [وفاة الرئيس الجزائري]»، «راشد بن سعيد: نعم.. للاتحاد وسيادة الدستور»، «إعدام بوتو.. مهزلة قانونية على مسرح السياسة»، «علاقات أخوية وثيقة بين الإمارات وعمان»، «آخر توقيع لآخر إنجاز عربي حققه الرئيس الراحل لحقن الدماء العربية [ذكرى وفاة الرئيس عبد الناصر]»، «موطن الإسراء والمعراج: ١١ عاماً في الأغلال»

ومن الموضوعات الاقتصادية :

«استقبل ميناء راشد خمساً وستين باخرة خلال الشهر الماضي»، «دبي احتفلت بتدشين خزان النفط العائم رقم ٢»،

«افتتاح ميناء زايد بحضور
رئيس الدولة ونائب رئيس
الدولة»، «ميناء راشد
البحري أكبر ميناء في الشرق
الأوسط»، «دولة الإمارات
العربية المتحدة تصدر
نقدها الموحد الجديد»،
«كيف حقق راشد ازدهار
دبي بلا بترول»، «بدأ إنشاء
حوض دبي العملاق»، «ألف
مليون دولار لإنشاء منطقة
حرة في دبي»، «٨٠ مليون
دولار لاستثمار غاز دبي»،
«حمدان بن راشد: التصنيع
البتروكيماوي.. يحتل
المرتبة الأولى»، «مدينة
صناعية كبرى تقام في جبل
علي»، «مصنع إسمنت
الشارقة أحد دعائم
الدولة...»، «دبي أقامت
مصنع الحديد والصلب»،
«الزراعة داخل بيوت
مكيفة»، «مليار درهم للماء
والكهرباء في جبل علي»،
«حوض دبي الجاف يستعد
لاستقبال الناقلات
العمللاقة»، «السكك.. أبقى

من النفط».

ومن الموضوعات الحضارية :

«دبي تحتفل بافتتاح
المبنى الجديد لمطارها
الدولي»، «مطار دبي الدولي
يستقبل شهرياً ٩٢٠٠
قادم»، «دبي لأول مرة الخليج
عمرها ١٥٠٠ عام»، «٣٢
مليون درهم للمبنى البلدي
الجديد»، «راشد افتتح جسر
المكتوم الثاني»، «راشد:
تخصيص ٣٠٠ مليون
درهم للإسكان»، «محطة
الأقمار الصناعية في دبي-
أكبر إنماء تكنولوجي
اتحادي»، «زايد وخليفة
وراشد يفتتحون نفق
الشنديغة»، «أم القيوين
بدأت رحلة الازدهار»،
«برج راشد معلم على
صفحة الإمارات»،
«الهندسة العريقة في
مساجدنا الجديدة»، «٣٠٠
مليون لأنفاق المرور».

ومن الموضوعات الاجتماعية :

«البستكية بين البقاء
والزوال»، «الكهرباء زيادة
في الأسعار... وزيادة في
الانقطاع»، «مشاكل
الهاتف.. إلى متى؟»،
«الحفريات لماذا..؟ وإلى
متى..؟»، «التأثيرات
المزورة.. في مصيدة الأمن»،
«رقابة هابطة = أفلام
هدامة»، «مشروع راشد
لرعاية المعوقين يدخل
مرحلة الدراسة والتنفيذ»،
«بعد منع الخمر، إجراءات
لصيانة الأمن الأخلاقي»،
«مشروع زايد.. وإعداد جيل
قرآني»، «يتعلمن الحياكة
بسجن النساء».

ومن الكتابات الطبية :

«لأول مرة في العالم
قرنيات السمك لعيون
الإنسان، نصر طبي في
مستشفى راشد»، «٣٥٠
مليون لمستشفى دبي
الجديد»، «مركز نموذجي

للخدمات الطبية تحضير الأدوية».

وفي المجال الرياضي :

«مبروك .. استاد النصر»،
«وفاز الأهلي بالكأس».

وقد شهد بنجاح المجلة وفد دولة قطر الذي زار دبي للاجتماع بمجلس بلديتها في يناير ١٩٦٩ م، وقد كان يتوقع أن لا تكون أخبار دبي سوى صفحات تحمل أخبار دبي الداخلية. ولدى متابعتها لموادها وجدتها تسابق عن جدارة أرقى وأكبر المجالات العربية. وقد زاده دهشة واستغراباً مدى قفزاتها الرائعة، ورأى فيها ثمرة جهد كبير، وأنها لا يقف وراءها جهاز صحفي كامل كبقية الصحف والمجلات الأخرى وأنها في طريق تحقيق المزيد من القفزات الرائعة.

والجدير بالذكر هنا أن مجلة أخبار دبي كانت من

أوائل المجلات الصادرة في دولة الإمارات العربية المتحدة، وصدر بعدها وبثلاث سنوات جريدة (اليقظة) في إمارة الشارقة كما قال كمال حمزة مدير بلدية دبي آنذاك.

صدر العدد الأخير من مجلة أخبار دبي في مارس/ آذار ١٩٨٠ بعد عمر حافل بالأحداث استمر زهاء خمسة عشر عاماً. ويسعدني أن أنهي هذه الخواطر بالكلمة الختامية التي خطتها للعدد الأخير كمال حمزة، مدير البلدية وفيها:

«هذا هو العدد الأخير من مجلتكم أخبار دبي التي دأبت طيلة الخمسة عشر عاماً التي مضت على التجوال معكم في كل مكان وعلى أي صعيد، راصدة أحوالكم ومعلية صوتكم متحدثة باعتزاز عما أصبتموه وأصابه الوطن من تقدم ونهضة برعاية

قادته المخلصين.

«وعندما أضع يدي على هذا العدد الأخير من أخبار دبي فإني أعود بذاكرتي إلى بداية هذه المجلة حيث أخذت والزميلان السيد أمين صقـر والسيد عبدالغفار حسين نكتب للعدد الأول.

«لذلك فإنني أتألم إذ أرى أن هذه المجلة ستتوقف عن أداء هذا الدور التاريخي العظيم. ولا يخفف ألمي سوى أنني بأن من سيخلفها سيحمل عنها هذه الشعلة الوضوءة، ويتولى من بعدها إكمال المشوار».

«إنني أحمد الله على أن مكنتني من بذل ما بذلته في نطاق ذلك، وهنا فإنه لا يسعني سوى أن أشيد بالجهاز الذي تعاقب على إصدار هذه المجلة الأم. فقد كان هذا الجهاز صغيراً في حجمه وتعداده وتكاليفه، ولكنه كان كبيراً في عطائه وإخلاصه».

«ففي أمان الله أيتها
المجلة الحبيبة، وفي رعاية
الله أيها الزملاء الكرام،
وعزاًؤناً في أن أخبار دبي
التي ستتوقف كمجلة،
وستستمر كنشرة تضم
أخبار البلدية والدوائر
الحكومية والإعلانات
الرسمية وأخبار المجتمع،
كما تواكب نشاط دولتنا
الفتية».

وأخيراً أرى أنه من
الضروري أن ألقى بعض
الأضواء على آراء ثلة من
أعلام الإمارات، أنقل معها
تقييمهم لمسيرة مجلة أخبار
دبي، وماقدمته خلال
خمس عشرة عاماً:

السيد خليفة النابودة :
مجلة أخبار دبي كانت
سياسية وإعلامية
وكانت أمماً للصحافة.

السيد حبيب الرضا :
المجلة غطت مجالات
السياسة والاجتماع
والرياضة والإعلام.

المقدم خادم سرور
المعتصم: المجلة قامت
بنشر الثقافة والمعرفة.

السيد حسن أحمد الحاج
حسن: المجلة حققت
حضوراً على جميع
المستويات المحلية
والإقليمية والعالمية.
كما كانت المرجع
والأرشيف لكل وقائع
الأحداث المحلية
والخليجية والعربية
والعالمية.

السيد ملاك أحمد زيد :
المجلة سجل وثائقي
يؤرخ لمسيرة البلاد.

المهندس شهاب غانم:
مجلة أخبار دبي

حافظت على توازن
دقيق بين الرصانة
والإمتاع.

السيد حميد سعيد الغيث:
المجلة حققت الرضا
لكل القطاعات.

وختاماً ومهما يكن من
أمر فقد كانت مجلة
أخبار دبي بمثابة
سجل وثائقي حفظ لنا
مراحل التطور
والازدهار في المجالات
السياسية والاقتصادية
والثقافية والطبية
والفنية للإمارات عموماً
ولدبي خاصة، وكان
لاستمرار بلدية دبي
بإصدار نشرة باسم
نشرة أخبار دبي ضمان
لاستمرار ذكرى المجلة
واستمرار النشاطات
المختلفة في الدولة. ■

المراجع :

- ١ - المعجم الموسوعي لمصطلحات المكتبات والمعلومات إنكليزي/ عربي. أحمد محمد الشامي، سيد حسب الله - الرياض: دار المريخ، ١٩٨٨.
- ٢ - أخبار دبي: نشرة/ إصدار المكتبة العامة بدبي.
- ٣ - أخبار دبي: مجلة/ إصدار بلدية دبي، مكتب الإعلام.

ولأن القراءة عملية شخصية بحتة فلا بد أن يعالجها أخصائي المكتبة بما يتناسب مع الطفل وبيئته، وظروفه، وقدراته، ومدى استجابته للكلمة المطبوعة. فقد وضعت المناهج التعليمية وصبت في برامج لتطبيقها وتعميمها على الكم الهائل من الأطفال، ولكن تبقى القراءة كمهارة فريدة في نوعها لا يمكن أن تكتسب إلا إذا عومل الطفل كشخصية فريدة متميزة لها خصائصها المحددة التي تختلف عن أي شخصية أخرى بمكوناتها وقدراتها وتذوقها الفني الخاص وعاداتها المستمدة من البيئة المحيطة بمجتمعه الصغير داخل الأسرة، ومجتمعه الكبير في الحضارة والمكتبة.

ومن هنا لزم معالجة كل شخصية على حدة للتغلب على حاجز الربط بين الكلمة المسجلة سواء أكانت مرئية أم مسموعة أم معاشة، وبين استيعاب معناها عن طريق الكلمة المطبوعة.

وكما أن القراءة مهارة تكتسب حسب شخصية الطفل ومقوماتها والبيئة المحيطة بها والجهود المبذولة للوصول إلى هذا الهدف المنشود، كذلك فالتذوق الفني لفروع الفن وأشكاله المختلفة التي يمكننا أن نتعامل بها مع الأطفال حسب استعداد كل طفل وتذوقه الشخصي وتقبله لنوع من الفنون دون الآخر، وتوفير الوسائل السمعية والبصرية بالمكتبة لخدمة هذا الهدف التي يجب أن تشمل ضروب الفن المختلفة لوضع الجمل المكتوبة في قالب فني

تطويع الفن لاكتساب مهارة القراءة للطفولة المبكرة

د. عايذة نصير

إن اكتساب مهارة القراءة عن طريق ربطها بأشكال الفن المتعددة سوف تساعد على تنمية وتطور شعور الطفل وإظهار إمكانياته وكفاءاته، وتكوين ثقته بنفسه واحترامه لذاته، وإشعاره بأنه فرد له كيانه ومكانته وكرامته. وتكسب الطفل الإحساس المرهف والانتماء لمجتمعه، وتنمي فيه الشخصية الذواقة المحبة للخير والحق والجمال، وتجنبه أن يصب في قالب جامد تفرضه المناهج المحددة والبرامج الجافة والكتب المقررة.

محبب ومبتكر ومتنوع مع الموسيقى والرسم والشرائح الفيلمية والأفلام والفنون الأدبية، من مسرحية وقصة وتمثيلية وكتابة وشعر، ومحاولة توصيل الفكرة عن طريق أي من هذه الوسائط الفنية وربطها بالكلمة أو الجملة المنظورة، حيث إن الموسيقى قد تتكلم بصورة واضحة لطفل معين، بينما يحقق الرسم الرسالة المراد توصيلها لطفل آخر.

كذلك نجد أن الاستمتاع بنوع معين من الفنون يقودنا بالضرورة إلى الرغبة في الاستمتاع بأنواع أخرى من الفنون التي يمكن استخدامها جميعاً لتدريب الحواس من سمع وتذوق ولمس ونظر، وتوجيهها إلى خدمة حاسة النظر، وربطها بالكلمة المكتوبة كشكل من أشكال الفنون المختلفة، مع التعاون الكامل بين المكتبة والمدرسة ليتعرف أخصائي مكتبة الأطفال على المناهج بها. فقد يتبادر الخوف من عدم الالتزام بتطبيق مناهج تعليمية محددة ومفروضة على دور الحضانة عملاً بمبدأ تكافؤ الفرص وإتاحة المبادئ التعليمية الأولية والأساسية للطفل مثله كباقي الأطفال، ولكن يبقى دور المكتبة لتطويع الفن كجزء هام لاستكمال التعليم الأساسي لكل فرد، ويتعامل مع الطفل كشخصية مستقلة فإن من السهل إعطاء الطفل دروساً معينة، وتدريبه على مهارات محددة، ولكنه في النهاية سوف يتحول إلى آلة مفيدة، وليس كشخصية متناغمة

ومتناسقة ومنسجمة في نموها وتطورها مع مجتمعتها. فعندما يتاح للطفل اكتساب الشعور الحي من تذوق الجمال ومعرفة القيم المختلفة، سيفهم دوافع الأشخاص المحيطين به، ويتعايش معهم في حدود علاقة سوية، اكتسبها من خلال سيطرته على مهارات الاتصال بينه - كشخصية مميزة - وبين الآخرين، بما توفره له المكتبة من وسائل تتعامل معه كفرد مميز، وليس كطفل بين مجموعة كبيرة.

قدرات الطفل ومهارة القراءة :

توصل علماء النفس في دراساتهم المتنوعة إلى أن القدرات العقلية للطفل تتكامل قبل أن يتجاوز الرابعة من عمره، حيث وجد أن ٢٠٪ من النمو العقلي والإدراكي للطفل يتم في السنة الأولى من عمره، وأن ٥٠٪ من نموه العقلي يتكامل في الثامنة من عمره وأن ٩٢٪ من نموه العقلي يتم في السنة الثالثة عشرة. وعلى ذلك يجب التأكيد على ضرورة تنشيط القدرات العقلية والإدراكية للطفل، وتطوير مداركه الفكرية في السنوات الأولى من عمره، وتطويع تلك المدارك للتغلب على حاجز استيعاب الكلمة المكتوبة.

ولقد أظهرت الدراسات النفسية اللغوية في السنوات الأخيرة أهمية مرحلة الطفولة المبكرة في بناء النمو اللغوي للطفل، وأنه يتوقف أصلاً على محيط لغوي سليم ونشط، ومواقف مشجعة على التعبير

والتحدث والطلاقة في الاستفسار والاستمتاع، والاستعداد المبكر لاكتساب المهارات اللغوية الأساسية بصورة صحيحة، وذلك لأن السنوات الخمس الأولى تعتبر مرحلة الأساس في تكوين القدرة اللغوية للطفل واكتسابها، فالسن من مرحلة ثلاث سنوات إلى خمس سنوات تعدّ من أخصب مراحل العمر في بناء شخصية الطفل وتشكيلها، وتكامل أبعاد نموه الأساسية من الناحية اللغوية والجمالية خاصة، حيث يستوجب بناؤها وتكوينها تكويناً سليماً بطريقة ذكية في الأسرة وفي الروضة، فهي من أخصب سنوات العمر إذا استثمرت بتغذيتها بإعداد برامج مشوقة بالمكتبة، لتعليم مهارات القراءة المعتمدة على بيئة فنية ثرية تستخدم الفنون المختلفة من تمثيل وموسيقى وفيلم ورسم وربطها بالكلمة المكتوبة وتعليم أصوات الحروف استعداداً للقراءة.

هذا ويجب مراعاة أن ذكاء الطفل ينشط بتفاعله مع بيئته المحيطة والمرتبطة بها ولذا وجب التأكيد على أن تستشف برامج المكتبة الفنية الهادفة لاكتساب مهارات القراءة من بيئة الطفل ومعايشته لحياته اليومية داخل حدود أسرته والمجتمع المحيط به في الروضة والمكتبة.

الإبداع الفني والقراءة :

إن الهدف من وضع أي برنامج في

المكتبة للتعامل مع الطفولة المبكرة يجب أن يركز بالضرورة - بجانب التنمية اللغوية للطفل - على إيجاد خطة متكاملة لممارسة التدريب على استخدام الموسيقى والأغاني والرسم والتصوير، ليتمكن الطفل من اكتساب المهارات الضرورية في مجال القراءة، وذلك باختيار ألوان جيدة من شعر الأطفال يقدم في شكل أغنية للطفل من خلال الإذاعتين المسموعة والمرئية، وما تشمله من حركة وإيقاع وموسيقى تصويرية، ومناظر طبيعية، ومؤثرات ضوئية ولقطات مكبرة، ودمى وعرائس تتخلل الأغنية، وأطفال يضحكون ويمرحون، تخلق معها جمهوراً من الأطفال فاهماً ومتذوقاً، مع مقابلة هذه الجهودات ببرامج للشعر المكتوب والمنشور بعناية، وإخراج مبهج وورق مبهج وغلاف وصور ورسوم ولقطات وألوان زاهية، وبنط للكتابة مكبر، وتعبير بالرسم والألوان مما يستثير الطفل ويشوقه إلى قراءة هذه الأغنية المكتوبة وينمي ميله الفني. ذلك لأن للتسجيلات الصوتية أثراً مهماً في تحقيق مهارة القراءة للأطفال، شريطة أن توفر المكتبة برامج جيدة الإعداد والإخراج والتقديم، ومصاحبة الكتاب لكل تسجيل.

كما يمكن الاستفادة من الوسائط الاتصالية ذات الجاذبية، مثل التلفزيون والفيديو في تحريك اهتمام الطفل بالقراءة.

إن الاهتمام الجاد بمرحلة الطفولة المبكر
بمكتبات الأطفال واعتبارها فرصة ذهبية
لاكتساب مهارة القراءة، تتأتى بوضع
برامج فنية متنوعة، تربط الكلمة والجملة
المكتوبة بالشكل الفني، أو الحركة الإيقاعية
والتمثيلية أو الموسيقى والأغاني.

والوصول إلى الهدف المنشود من تعليم
وتنمية القراءة من خلال تطويع وتطوير
الإبداع الفني الفعال لدى الطفل يجب
مساعدة الطفل على:

- أن يكون مبدعاً من خلال الفنون
كالرسم والموسيقى.

- أن يكون معبراً من خلال الفنون
كالتمثيل والموسيقى التوقيعية والرسم
وعمل النماذج.

- أن يميز ما هو جميل وليكون للجمال
أهمية في حياته.

- أن يعمل على تطوير رغبته في المشاركة
بالفن.

- أن يقدر على التعامل مع أدوات الفن
والموسيقى.

- أن يعمل على تطوير شعوره في
الأساليب اللغوية.

- أن يقدر على التطوير في استخدام اللغة
بصورة مبتكرة لإعداده للقراءة والكتابة
والمهارة الرياضية (الحساب).

برامج المكتبة الفنية :

لابد من إعداد البرامج التي تبنى على

مهارات متعددة تساند وتقوي برامج
القراءة وتشتمل على:

مهارات الاتصال ومنها :

اللغة : وذلك باستعمال اللغة في فروع
الفن المختلفة المسموعة والمرئية، بألفاظ
ومفردات لغوية، وبصورة فعالة ومؤثرة،
مع اختيار كتب جذابة تتميز بقصر الجمل
وصحتها، والتأكيد على المفردات الجيدة من
خلال الأنشطة الفنية المختلفة.

مهارات حركية ومنها :

الحركات الإيقاعية : مثل القيام بحركات
تعبيرية، وحركات إيقاعية بصورة فردية أو
جماعية، والإكثار من الحركات الرياضية
المتناسقة والاندماج مع الموسيقى. فإن
أغنية أو تمثيلية أو عرضاً للعرائس يمكن
تطويع كل منها لنشاط القراءة.

مهارات إبداعية : مثل :

على الورق : واستعمال المطرقة وإدخال
أشكال الحروف في فتحاتها، والقيام بأعمال
بناء الكلمات من الحروف باستخدام
المكعبات والبلوكات بأنواعها.

ولتطبيق مثل هذه البرامج بالمكتبة لابد أن
يسمح للأطفال التعبير عن أنفسهم بحرية.
ومن خلال مختلف الوسائل مثل الرسم
وتشكيل الصلصال إلى حروف، ثم تكوين
الكلمة، حيث إن التطبيق والتنفيذ الجيد

ألعاب موسيقية :

مثل الأدوات الموسيقية المتنوعة المستخدمة في روضة الأطفال؛ بجانب اللعب الموسيقية التي تصدر أصواتاً جميلة عند النجاح في تكوين كلمة معينة.

ألعاب الفن وأشغال يدوية :

أدوات الرسم والأصباغ والأوراق الملونة، والأقلام والفرش والطباشير من أنواع مختلفة، وقوالب للطبع تعبر عن أشكال تصحبها مدلولها بالكلمة المطبوعة.

أدوات وألعاب لتعلم اللغة :

لوحات ومربعات الصور، ومحاولة لاجاد صور الأشكال المتشابهة، والحروف المجسمة، ولوحات الحروف، ومكعبات للكلمات والحروف.

ألعاب النقود :

نماذج من النقود المعدنية والورقية وعلامات التسعيرة وتوفير أختام لطبع النقود.

ألعاب الأعداد :

مكعبات تركيبية، ولوحات وعيدان مختلفة الأشكال والألوان، ولوحات الصور، ولوحات مربعات ذات فتحات مختلفة للأرقام، وأرقام بلاستيكية، وصور لأعداد مختلفة مجسمة من (١ - ١٠) ولوحات مثقوبة للأرقام، ولوحات العدادات وأشكال هندسية.

للبرامج يسعى لتطوير قدرات الطفل العقلية واللغوية، ومهاراته الفنية، وتطويعها للقراءة بصورة نظامية، ومن خلال ألعاب مباشرة وأدوات مصممة خصيصاً لهذا الغرض، مع الأخذ بعين الاعتبار رغبات الأطفال الصغار، والتنوع المستمر المتجدد، ومراعاة قصر المدة بين برنامج وآخر لكي لا يمل الطفل.

مكتبة الألعاب ومهارة القراءة :

ولأن الطفل ملول بطبيعته، وفي هذه السن المبكرة خاصة - ما قبل خمس سنوات - فمن المستحسن إنشاء مكتبة خاصة بالألعاب وقد يطلق عليها مكتبة الألعاب Toys Library لأطفال ما قبل المدرسة وفق أنماط ومواصفات تساعد على ربط الفن بالقراءة عن طريق توفير تلك الألعاب وتشمل:

ألعاب الاستكشاف :

مثل نماذج للسيارات والمركبات عموماً تركب وتفك، وتصحبها كتب تشرح بالصورة والكلمة المكتوبة مدلول كل لعبة أو نموذج ومثل المكعبات الخشبية لكل حرف وطبع أشكال الحيوانات، ثم ربطها باسم كل حيوان بتجميع الحروف المكونة لاسمه، وتوفير لوحات العدد من ١ إلى ٩.

ألعاب بنائية تركيبية :

مثل ألعاب الليجو المتنوعة تركيبياً ولوناً وشكلاً وتوفير الكتب التي تشمل مدلولها بالكلمة المطبوعة.

برامج المكتبة لتنمية القراءة :

إن قدرة مكتبة الألعاب على استثمار قدرات الطفل العقلية والفكرية لتطويع تلك القدرات وتوجيهها نحو اكتساب مهارة القراءة تتأتى بتناول أخصائي مكتبة الألعاب الجوانب التالية:

عند إعداد برامج الإعداد للقراءة وتنميتها مثل:

- برامج لتدريب الطفل على حسن استخدام حواسه عن طريق استغلال الأنشطة الفنية المختلفة لتدريب الحواس من بصر يميز الجمال في أشكاله المتعددة، واللمس للنماذج الفنية، والسمع للأغاني والموسيقى، والتسجيلات للقصة والتمثيلية والشعر والإيقاعات الموسيقية المختلفة مصحوبة جميعها بربط الكلمة المكتوبة والجملة القصيرة المكبرة بتلك الأنشطة.

- برامج لتدريب الطفل على التصنيف للأشياء، والمقابلة والترتيب، وتوسيع مفاهيمه حول الأشكال والكميات والأوقات والألوان والأطوال وإدراك العلاقات بينها.

- برامج لتنمية خياله، وتطويره بالتدرج ليكون قادراً على التمييز بين الحقيقة والخيال.

- برامج لتكوين روح المرح والفكاهة لدى الطفل، ومصاحبة الكتاب للنوادر المرئية والمسموعة ليكون إيجابياً مع الحياة.

- برامج توضح مفاهيمه وحبه للكلمة المكتوبة، وقدرته على التمييز بأن الكلمة المكتوبة لها مدلولها وطريقة استخدامها،

وإثراء ثروته اللغوية في أحاديثه ومحاوراته وممارساته لفروع الفن المختلفة وكثرة أسئلته وحفظه للأناشيد وسرده للقصص.

- برامج تشجعه على استعمال الكتاب بمصاحبة الكلمة المنطوقة أو المجسمة، عن طريق الصور أو النماذج.

ولكي ينجح أخصائي مكتبة الأطفال في تحقيق الترابط بين مجالات الفن المتعدد، وتنمية مهارة القراءة لدى الطفل الصغير عليه أن يراعي في برامجه ملاحظة الطفل في التعبير عن ردود فعله الشخصي تجاه خبراته الخاصة في الحياة والتآلف مع أدوات الفن والكلمة المطبوعة وطريقة استعمالها بمهارة، للربط بينهما ولتنمية قابليته الإدراكية، ليشكل موضوع تعبيره الفني، ويسمح أن تكون أغلبية موضوعات الفن من تصور الطفل وخياله، لا أن تفرض عليه فرضاً.

ولا بد من أن تكون تلك البرامج مرنة تتكيف مع ظروف الأطفال من ناحية، ومتطلبات توصيل المعلومة من ناحية أخرى. فمثلاً برنامج أخصائي المكتبات الخاص بالعلوم لتعريف الطفل بظروف الطبيعة المحيطة به، فلا يحدد لتلك البرامج وقت معين ولكن ينتهز مثلاً فرصة سقوط الأمطار فيعد ورشة لإنشاء الأغاني حول المطر مصحوبة بالكلمات المطبوعة والصور المعبرة عن استقبال الكائنات الحية من حيوانات ونباتات للأمطار. بذلك يوجد الترابط بين المشاهدة والاستماع والاكتشاف واكتساب مهارة الربط بين تلك

الجوانب والكلمة المطبوعة.

ومن أهم الأنشطة لتحقيق برامج المكتبة للطفولة المبكرة استخدام الموسيقى والأنشطة الإيقاعية فالأنغام الموسيقية والحركات الإيقاعية تعطي نوعاً من المرح والسرور للأطفال مع سرد القصص المشوقة ومصاحبتها بالصور الملونة والكلمات المنطوقة المطبوعة. فإن الاستماع والمحادثة المشوقة والأسئلة الكثيرة الفضولية، والمحاورة ذات الطابع المرح بين الأطفال وأخصائي المكتبة، وسيلة للتعبير عن أحاسيسهم ومشاعرهم، وفرصة لإثراء ثروتهم اللغوية بالاستمتاع بالتحدث وسرد القصص المصورة ومشاهدتها ومتابعتها ومناقشة محتواها وأشخاصها.

ولأن الطفل فضولي بطبعه ومتشوق للخبرات الجديدة وجب على المكتبة إشراكه في مناقشات بصورة جيدة لئلا يصبح مجرد متلق للقصة بل متذوق لها وقادر على سردها ثانية. كذلك الاستماع بدقة ومعرفة إلى أي مدى يستطيع أن يميز بين الأصوات ويميز بين الفروق البسيطة في اللون والحجم والشكل والمسافة، ومعرفة مدى ولعه تجاه الرموز المكتوبة والقراءة والكتابة والحساب.

ولضمان نجاح برامج المكتبة لتنمية مهارات القراءة للطفل الصغير واستخدام الفن بوسائله المختلفة مع الكلمة المكتوبة للوصول إلى الهدف المنشود نؤكد على مراعاة مايلي:

- تعرف الطفل على الطبيعة المحيطة به من حيوانات ونباتات والتحدث عنها بطلاقة بصورة فعالة حيوية.
- التعبير عن لوحات مصورة والتحدث عنها.
- قراءة القصص وحفظ الأناشيد.
- الرسم الحر الموجه والقدرة على استعمال مختلف أدوات ومواد برامج الرسم.
- تكوين الميل للكتب المصورة والصور المفردة حتى تتطور تصوراتها وتخيلاته وإدراكه للأشياء الجميلة وتوفير اللعب والمستلزمات الخاصة بهذا السن.
- الاستمتاع بسرور في التعبير من خلال الغناء واللعب بآلات الموسيقى ببسر وسهولة.

مما سبق نخلص إلى أن استخدام فروع الفن المختلفة، ووضع الكلمات والجمل والمعاني في قالب فني محبب متنوع من موسيقى ورسم وقصة وفيلم وشريط تسجيل وكتابة، سوف تحقق تنمية القراءة عن طريق الوسيط الفني، مع توفير الكتب الشيقة المصورة والمجسمة والألعاب المدروسة بأنواعها المختلفة، مع مراعاة المكتبة عند وضع برامجها لتطويع هذه المواد جميعها لخدمة الطفل الصغير، وذلك لتكوين شخصيته المتميزة بمكوناتها وقدراتها وتذوقها للفن واستمتاعها بدنيا القراءة واللعب المدروسة، وفق أنماط ومواصفات تربط الفن بالقراءة. ■

الأخبار

الثقافية

الخارجية

زيارات

من الفاعلية في الحركة الثقافية العربية والإسلامية.

ومما يجدر ذكره أن المركز شارك بجناح خاص في هذا المعرض في دورته السادسة والعشرين خلال الفترة من ٢٢ يناير/ كانون الثاني وحتى التاسع من فبراير/ شباط، وتأتي هذه المشاركة بناء على دعوة موجهة إلى المركز من الدكتور سمير سرحان رئيس الهيئة العامة للكتاب في جمهورية مصر العربية، وقد تم تخصيص جناح مجاني خصص لعرض المطبوعات والكتب الصادرة عن المركز، وعرض صور ولوائح تعريفية تشرح أهدافه وخطته المستقبلية.

■ عقد السيد جمعة الماجد رئيس المركز

■ قام السيد جمعة الماجد رئيس المركز والدكتور عبدالرحمن فرفور نائب رئيس المركز بزيارة إلى معرض القاهرة الدولي للكتاب للاطلاع على الإصدارات الجديدة من الكتب، والمشاركة في المهرجان الثقافي الكبير الذي يصاحب إقامة المعرض الذي تشارك فيه مجموعة كبيرة من أبرز المثقفين والأدباء والمفكرين في الوطن العربي، كما قاما بزيارة المؤسسات والجهات الثقافية في جمهورية مصر العربية لتعزيز التعاون بينها وبين المركز، وعقد اتفاقيات ثقافية تدفع مسيرة العمل الثقافي بالمركز نحو مزيد

والدكتور عبدالرحمن فرفور نائب رئيس المركز جلسة عمل مع أعضاء الوفد السوداني الشقيق برئاسة الدكتور علي أحمد محمد بابكر مدير جامعة أم درمان وعضوية الدكتور عبدالمنعم محمد القوسي وكيل الجامعة والأستاذ محمد عبدالباقي دفع السيد مدير معهد الشرق للثقافة. وقد تم بحث سبل التعاون القائم بين الجامعة والمركز وتطويره في مجال المخطوطات والمكتبات. جرى ذلك أثناء زيارة الوفد للمركز بتاريخ ٢٩ / ١ / ١٩٩٤.

■ في إطار تعزيز الروابط والعلاقات الثقافية بين مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ومختلف المراكز الثقافية الأخرى الخليجية منها خاصة. قام الدكتور محمد مطيع الحافظ مدير المركز والدكتور وليد قصاب من كلية الدراسات الإسلامية والعربية في دبي، قاما بزيارة عمل إلى المملكة العربية السعودية الشقيقة في الفترة من ١٩ / ١ / إلى ٤ / ٢ / ١٩٩٤، زارا خلالها عدداً من المراكز الثقافية، منها مركز الملك فيصل وجامعة الإمام محمد بن سعود ومكتبة الملك فهد ودارة الملك عبدالعزيز وجامعة أم القرى والجامعة الإسلامية ورابطة العالم الإسلامي. وقد تخللت

الزيارة لقاءات مع المسؤولين فيها أسفرت عن زيادة أوجه التعاون والتبادل الثقافي في مجال المطبوعات والكتب والمخطوطات والاستفادة من الخبرات مما يسهم في إثراء مسيرة المركز.

■ قام معالي الشيخ عبدالله النعيم رئيس مجلس المعهد العربي لإنماء المدن بزيارة خاصة لمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث وذلك في ٢٩ / ١ / ١٩٩٤، وقد رافقه في هذه الزيارة السيدان عبيد الشامسي وعبدالعزيز الصديقي. هذا وقد أشاد الضيف الكبير بجهود مؤسس المركز واهتمامه بإشادة هذا الصرح الثقافي في هذه المنطقة وتمنى له وللعاملين فيه المزيد من التقدم والنجاح.

■ أبدى الوفد الأمريكي الذي يمثل المجلس الوطني للعلاقات الأمريكية العربية إعجابهم الشديد لدى زيارته المركز بتاريخ ٤ / ١ / ١٩٩٤، فقد اطلع على محتويات المركز وأقسامه المختلفة، كما اطلع على مقتنياته، وتعرف على الأساليب العصرية والتقنية التي يستخدمها في مجال المكتبات والتصنيف والفهرسة والترميم والميكروفيلم والسمعيات والبصريات، مما يؤهل المركز لأن يكون واحداً من أهم المراكز الثقافية، ومصدراً هاماً من مصادر المعلومات التراثية في هذه المنطقة.

وإيطاليا وألمانيا. وذلك يوم الثالث عشر من أبريل/ نيسان ١٩٩٤. وقال رئيس الندوة عميد كلية الآداب في جامعة الإسكندرية الدكتور فتحي أبو عيانه أن من أهداف الندوة التذكير بتاريخ المسلمين في الأندلس، وما حدث من تداعيات أدت إلى سقوط دولتهم هناك، والتركيز على إبراز أثر الحضارة الإسلامية على نهضة أوروبا، وإلقاء الضوء على الدور الذي قام به العلماء المسلمون في هذا المجال.

«البيان ١٤ / ٢ / ١٩٩٤»

□ ندوة عن العالم الحافظ جلال الدين السيوطي

أقامت إدارة الأزهر بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ندوة بمركز الاقتصاد الإسلامي في الجامعة الأزهرية بمناسبة مرور خمسمائة عام على وفاة العالم الحافظ جلال الدين السيوطي. شارك في الندوة عدد كبير من العلماء، وفي مقدمتهم شيخ جامع الأزهر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق، وقدمت عدة بحوث تناولت جهود الإمام السيوطي في خدمة الثقافة والمعارف الإسلامية، وأثره في علوم القرآن والفقه والحديث وعلم الأصول، فضلاً عن سيرته ومؤلفاته. وقد أصدرت الندوة عدة توصيات منها توصية بحصر

■ ضمن فعاليات المعسكر المركزي الأول المتعدد المجالات الذي أقامته منطقة دبي التعليمية مابين ١٩ - ٢٥ يناير/ كانون الثاني، قام وفد من الطلاب يرافقهم الأستاذ محمد شوقي موجه اللغة العربية في المنطقة التعليمية بزيارة إلى المركز شملت التعرف على أقسامه والخدمات التي يقدمها لرواده من الجمهور والدارسين وذوي الاختصاص. قام السيد روبرت حداد رئيس الجامعة الأمريكية في بيروت ووفد مرافق له بزيارة إلى المركز بتاريخ ٢٧ / ١ / ١٩٩٤. وقد أبدى الوفد انطباعات حسنة عن الزيارة، ووعد السيد حداد بتزويد المركز بنسخة مصورة من دورية الهدى واستكمال الأعداد الناقصة من دورية الفنون الأمريكية.

ندوات

□ ندوة عن «الأندلس.. الدرس والتاريخ»

نظم اتحاد الجامعات الإسلامية بالتعاون مع جامعة الإسكندرية ندوة في مجال الدراسات الأندلسية، شارك فيها أساتذة ومتخصصون في هذا المجال من عدد من جامعات دول العالم الإسلامي وإسبانيا

بمشاركة الجامع العربية ومكتب التعريب في الرباط وأخصائين في التعريب من بعض دول العالم العربي.

وقد ركّز المؤتمر على دراسة أربعة معاجم أعدها مكتب تنسيق التعريب في الرباط وأرسلها إلى الجامع اللغوية العربية للاطلاع عليها ودراستها وإعطاء الرأي فيها وهي: معجم السياحة ومعجم الطاقة المتجددة ومعجم الزلازل ومعجم البيئة.

«الشرق الأوسط ٢٨ / ١ / ١٩٩٤»

□ مؤتمر للتبادل الحضاري بين شعوب البحر المتوسط

نظمت كلية آداب جامعة الإسكندرية مؤتمر الإسكندرية الدولي الأول في ١٥ يناير/ كانون الثاني ١٩٩٤، شارك فيه مائة باحث من جامعات ١٦ دولة عدا الجامعات المصرية.

وناقش المؤتمر عدداً من الموضوعات المقدمة منها: الاتصال الحضاري بين مصر وشعوب البحر المتوسط عبر التاريخ، والبيئة والمكان، ومجتمعات وثقافات البحر المتوسط، والحضارة الإسلامية، والروابط العلمية بين المسلمين والأوروبيين في منطقة البحر المتوسط، وتاريخ الرياضة والاتصال الحضاري وكتابات الرحالة، واللغة والفنون والآداب في مجتمعات البحر المتوسط.

«الاتحاد العدد ٦٩٣»

مؤلفات السيوطي وفهرستها، وحصص مؤلفاته الموجودة في المكتبات التركية وتصويرها، وترجمة بعض أعماله إلى اللغات الأجنبية، وإعداد شريط وثائقي تسجيلي عن حياته.

«الفصل العدد ٢٠٦»

□ ندوة دولية عن «الإسلام والحداثة»
رغبة منها في دراسة الثقافتين الإسلامية والغربية وتحليلهما لفهم المشكلات الناجمة عن عملية التفاعل بينهما. استضافت مدينة كراتشي الندوة الدولية عن «الإسلام والحداثة» برعاية معهد البحوث الإسلامية ومعهد جوته الألماني، بالاشتراك مع المعهد العالمي للفكر الإسلامي. شارك في الندوة متخصصون في مجالات السياسة والأدب والقانون والاقتصاد من باكستان وألمانيا. ومن المقرر أن تعقد مثل هذه الندوات مرة كل أربع سنوات بالتناوب بين البلدين.

«الفصل العدد ٢٠٧»

مؤتمرات

□ مؤتمر التعريب السابع
بدعوة من الحكومة السودانية وتحت رعاية الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، انعقد في الخرطوم مؤتمر التعريب السابع

معارض

□ «وراثة الإسلام : الفن الإسلامي في إيطاليا»

استضافت مدينة البندقية في شهر أبريل/ نيسان معرض الفن الإسلامي في إيطاليا، وضم المعرض أروع ما في إيطاليا من المجموعات الفنية الإسلامية «المعدنية، والمخطوطات» حيث تحكي المعروضات تطور الفن الإسلامي عبر القرون.

«الفصل العدد ٢٠٦»

□ معرض البحرين الدولي السادس للكتاب

بمشاركة ٢٥٠ دار نشر عربية وأجنبية أقيم في العاصمة البحرينية معرض البحرين الدولي السادس للكتاب وذلك ما بين ٣ - ١٣ أبريل/ نيسان. وقد تم تخصيص ١٤٧ جناحاً بزيادة ٣٧ جناحاً عن المعرض السابق الذي أقيم في العام ١٩٩٢. وصاحب المعرض فعاليات ثقافية بمشاركة شعراء وأدباء ورجال فكر.

«البيان العدد ٥٠٢١»

□ معرض للكتاب الجامعي في المغرب أقامت كلية الآداب بجامعة ابن زهر بمنطقة

أغادير بالمغرب المعرض الدولي للكتاب الجامعي في الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، في الفترة من الأول حتى السابع من فبراير الماضي وذلك بمناسبة مرور عشر سنوات على إنشاء الكلية.

وشارك في المعرض عدد من الجامعات والمعاهد العليا في أفريقيا وآسيا وأوروبا وأمريكا، بالإضافة إلى بعض المؤسسات العلمية المغربية، وأقيمت على هامش المعرض ندوات تركزت حول موضوع النشر بالجامعة، تخللتها أنشطة ثقافية وفنية متنوعة.

«البيان ١٦ يناير/ كانون الثاني»

□ معرض الكتاب الأول

أقيم في النادي المصري في فيينا معرض الكتاب الأول للجالية العربية والإسلامية في النمسا.

تضمن المعرض عدداً من الكتب والمطبوعات باللغتين العربية والألمانية التي تبحث في قضايا مختلفة، إلى جانب الموضوعات الدينية والتربوية التي تهدف إلى تعريف أبناء الجالية بتراثهم الفكري والثقافي والحضاري، وربطهم به.

«الفصل العدد ٢٠٦»

رسالة دمشق

خيرالله الشريف

اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية يناقش «معجم النفط»

عقد اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية بالتعاون مع مجمع اللغة العربية بدمشق ندوته الثامنة في الفترة من ٩ - ١٢ يناير (كانون الثاني) ١٩٩٤، لمناقشة «معجم النفط» الذي وضعته لجنة معجم النفط في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وذلك ضمن نشاط الاتحاد في السعي إلى توحيد المصطلحات والنظر في الدراسات المتصلة باللغة العربية وتراثها اللغوي والعلمي.

وقد حرص اتحاد المجامع منذ نشأته على توحيد المصطلحات العلمية والفنية والحضارية، والمسائل الأساسية التي تتناول اللغة العربية وسبل تسييرها وتعليمها، فعقد ندوته الأولى في دمشق سنة ١٩٧٢، عني فيها بتوحيد مصطلحات في

القانون المدني والتجاري والبحري والإداري والتأمين بلغت ١٨١١ مصطلحاً، ثم تلتها ندوة بغداد سنة ١٩٧٣ تناول فيها الاتحاد المصطلح النفطي، وبلغ عدد المصطلحات التي انتهى إلى توحيدها ٩٩٧ مصطلحاً. أما ندوة الجزائر فكانت في سنة ١٩٧٦، وعولج فيها موضوع تيسير تعليم اللغة العربية، تلتها ندوة عمان ١٩٧٨ وخصّصت لدراسة تعليم اللغة العربية في ربع القرن الأخير، وعُنت ندوة الرباط سنة ١٩٨٤ ببحث موضوع مهم هو تعريب التعليم العالي والجامعي في ربع القرن الأخير أيضاً، ثم نوقش في ندوة عمان سنة ١٩٨٧ موضوع الرموز العلمية وطريقة أدائها باللغة العربية. وكانت عودة إلى المصطلح في ندوة تونس سنة ١٩٩٢، إذ نوقش فيها توحيد تعريب المصطلح الطبي.

صدرت عن هذه الندوات السبع توصيات مهمة تساعد على توحيد المصطلح وتيسر سبل تعليم اللغة العربية وبيان الطرق الصحيحة لنشر العربية الفصحى بين الطلاب والجماهير.

ولمجمع القاهرة نشاط محمود في إصدار المعجمات في شتى أنواع العلوم، فقد طبع في العام المنصرم ١٩٩٣ «معجم النفط»، ويحتوي على ما يزيد على أربعة آلاف مصطلح وضعتها لجنة معجم النفط في

المجمع.

ولما كان توحيد المصطلحات وإشاعتها في أنحاء الأقطار العربية كافة من مهام الاتحاد فقد بعث بنسخ من هذا المعجم إلى مجامع اللغة العربية قبيل انعقاد هذه الندوة بثلاثة أشهر لينظر فيه العلماء والمتخصصون، ويقدموا ما يرونه من ملاحظات تتعلق فيه. وهذه هي الندوة الثامنة لاتحاد المجامع تعقد في دمشق اليوم، وقد دعي إليها المهتمون من أعضاء المجامع في البلاد العربية والمتخصصون بالتعريب والنقط وعلوم الجيولوجيا.

في الجلسة الأولى انتخب المشاركون الدكتور شاكر الفحام - رئيس المجمع - رئيساً للندوة، والدكتور محمد يوسف حسن - عضو مجمع القاهرة ومقرر لجنة النفط فيه - مقررأ لها. والدكتور محمد إحسان النص - نائب رئيس المجمع - رئيساً للجنة الصياغة. والأستاذ إبراهيم الترزي والدكتور محمود يوسف حسن والدكتور عادل جرّار والدكتور محمد الهادي بن إسماعيل أعضاء.

ثم ألقى الدكتور محمد يوسف حسن كلمة حول المصطلح النفطي ومنهجية وضعه، والخصوصيات التي يميّز بها من باقي مصطلحات العلوم الأخرى. وأشار إلى أهمية

النفط في إطار التقدم العلمي والتقني، وإلى المخزون العالمي وإحصاءاته بين المتفائلين والمتشائمين، ومدى تنامي العلوم النفطية في المستقبل، الأمر الذي يؤكد ضرورة تعريبها للأجيال المقبلة. وتحدث بعد ذلك عن مهمة مجمع اللغة العربية بالقاهرة التي اضطلع بها منذ نشأته، من العناية بالعلوم المختلفة، وتأليف اللجان لها، وسياسة هذه اللجان التي تركزت في اتجاهين:

الأول : إقرار منهجية صالحة لتعريب العلوم يتفق عليها في جميع أرجاء الوطن العربي.

الثاني : جمع مصطلحات العلوم من مظاهرها المختلفة ونقلها إلى العربية. وكانت وسيلته لتحقيق الاتجاه الأول عقد مؤتمره السنوي في القاهرة. وأما وسيلته لتحقيق الاتجاه الثاني فهي إصدار معجمات متخصصة في مختلف العلوم.

وفي إطار هذا التوجه تحدث عن المعجمات التي أصدرها مجمع القاهرة، وعن لجنة معجم النفط التي انبثقت عن لجنة معجم الجيولوجيا لاشتراكهما في كثير من المصطلحات، وقد انضم إليها أساتذة من أعضاء المجمع المتخصصين باللغة العربية، وخبراء من خارج المجمع، فكانت ثمرة جهودهم أربعة آلاف مصطلح مشروح

التي توجه بها السادة المشاركون حول المعجم:

- الثناء الجم على المعجم والجهود المبذولة فيه. وأن يطبع في طبعته الجديدة باللغات الثلاث (اللغة العربية والإنكليزية والفرنسية)، إذ اقتصر على الأولين منها. وأنه لم يلتزم بقرارات مجمع القاهرة في المصطلحات جميعها مع عدم استخدام كلمة «النفط» في المصطلحات والشروح الواردة فيه، إذ كثيراً ما يستخدم كلمة «بترو» أو «زيت» بدلاً عنها. وضرورة ضبط ألفاظ المعجم المعربة بالشكل لدفع اللبس.

وهذه نماذج من المصطلحات النفطية التي نوقشت في الندوة:

- جل مائي Aquagel نوع من البنتونيت يضاف إلى طينة الحفر لتحسين خواصها، اقترح: هلام ص ٣٣.

- بتومين Bitumen، اقترح: حمر ص ٥٨.

- كابينة Booth هيكل محدد يخصص لإجراء عملية معينة ومثال ذلك المقصورة المخصصة لرش بعض التجهيزات بسائل سام كالدوكو، اقترح: مقصورة ص ٦٤.

- اسفلت لزج Brea اسفلت غليظ القوام يتخلف عن تبخر النفط من البئر، اقترح: القار أو القير ص ٦٨.

باللغة العربية، ضمها هذا المعجم.

ثم ذكر الدكتور محمد يوسف أهم الأسس التي أصدرها مجمع القاهرة بشأن منهجية وضع المصطلح والتعريب وهي:

أ - ألا تترجم اللجنة المصطلحات الأجنبية الدارجة، ولكن تتصرف بمعناها من الفصحى.

ب - مراعاة الوضوح وسهولة البحث عن المعنى المطلوب بالرموز المرشدة.

ج - وضع كشاف للمصطلحات بالعربية حسب التسلسل الهجائي.

أما ما تميّز به المعجم من خصوصيات فهي أنه:

١ - وصف أهم حقول النفط في العالم.

٢ - اشتمل على مصطلحات قانونية متصلة بامتيازات التنقيب واستغلال النفط وفض الخلافات وغير ذلك من مثل: (إتاوة، منحة توقيع، مستند، اتفاقية، الحفر بالمشاركة...).

٣ - اشتمل على المصطلحات التي وردت باللغة الأجنبية الدارجة، بعد أن تصرف فيها بما يتوافق مع مفهوم اللغة العربية مثل: (ممشى، كوع، شرفة المراقب...).

٤ - اشتمل على مصطلحات خاصة بتلوث البيئة ووسائل تنظيفها.

ونجمل فيما يأتي أهم الملاحظات العامة

– شمندورة Buoy منصة طافية تستعمل لإرساء السفن والزوارق بعيداً عن الشاطئ وتكون مثبتة بقاع البحر، اقترح: منصّة أو طَوْف أو رَمَث ص ٧٣.

– طارة رفع Cathead بكرة رفع ناتئة عند حيزوم السفينة تستعمل في رفع المرساة وتعلّق في طرفها المعقوف ص ٨٨. اقترح: رجام المرساة أو رافعة الأبخر.

– تراب الفحم Cool Dust المسحوق المتبقي من عمليات تكسير الفحم، ويكون مع الهواء مخلوطاً مفرقعا، اقترح: غبار الفحم ص ٩٨.

وفي نهاية الندوة عرضت التوصيات التي انتهى إليها المشاركون في مناقشة المعجم النقطي وهي:

١ – أن يصدر المعجم باللغات الثلاث (العربية والإنكليزية والفرنسية) مع شرح للمصطلحات باللغة العربية، وأن تطبق هذه التوصية على سائر المعاجم العلمية التي تصدر فيما بعد.

٢ – أن يستفاد مما ورد في كتب التراث من مصطلحات على ألا يتعارض هذا مع القواعد والكشوف العلمية الحديثة.

٣ – أن تُضبط ألفاظ المعجم العربية بالشكل دفعاً لكل لبس.

٤ – أن تخزن مواد المعجم في الحاسوب (الحاسب الآلي) ثم تدخل التعديلات التي يتم التوصل إليها تمهيداً لاستخراج نسخة معدلة تكون أساساً لطباعة المعجم النهائية. وقد تقدم ممثل مجمع اللغة العربية الأردني بعرض لتزويد اتحاد الجامعات بنسخة معدلة في صورتها النهائية.

٥ – أن تنجز طباعة المعجم بعد الخطوة السابقة وبعد أن تكون قد اعتمدت في صورتها النهائية في مجمع القاهرة طبقاً للأصول المرعية.

٦ – أن يصار إلى توحيد المصطلحات النفطية بين الأقطار العربية وسائر المصطلحات.

٧ – أن يتكرر عقد مثل هذه اللقاءات العلمية اللغوية تحت مظلة اتحاد الجامعات العربية كلما ظهر عمل معجمي جديد لما لمستة الندوة من فائدة جلية في إغناء العمل المعجمي من عقد هذه اللقاءات.

٨ – تؤكد الندوة رسالة اتحاد الجامعات اللغوية العلمية العربية في العمل على توحيد المصطلحات العلمية والفنية والحضارية ونشرها، والعمل على تنسيق الجهود في الأمور المتصلة باللغة العربية وتراثها اللغوي والعلمي. ■

المفكر اللبناني فريد جبر، الذي يعد أحد أبرز المهتمين بالفلسفة الإسلامية وأعلامها والإمام أبي حامد الغزالي خاصة.

ولد جبر عام ١٩٢١ وحصل على درجة الدكتوراه من السوربون عام ١٩٥٥، وعمل أستاذاً في جامعات عربية وأجنبية. وعلى الرغم من دراسته للاهوت وتنصيبه رئيساً على الآباء العازارين، إلا أنه انجذب للفلسفة الإسلامية، فكتب مفهوم اليقين عند الغزالي وترجم لأفلاطون، كما ترجم لأرسطو مجموعته المنطقية.

توفي الكاتب والروائي المصري أحمد محمد عطية إثر مرض عضال عن عمر يناهز ثمانية وخمسين عاماً.

ويعد عطية من الأدباء الجادين، وله ثلاثون كتاباً منها «الرواية السياسية» و«أدب أكتوبر»، وكان قد أوشك على الانتهاء من كتاب بعنوان «نجيب محفوظ وتأصيل اللغة العربية» لولا أن عاجله الأجل.

فقدت سلطنة عمان أحد أبرز أعلامها الثقافية والفكرية بوفاة الفقيه والمؤرخ

فقد الخط العربي واحداً من أبرز رواده المعاصرين، بوفاة شيخ الخطاطين العرب وعميدهم سيد إبراهيم، الذي وافته المنية عن عمر يناهز ثمانية وتسعين عاماً.

ولد الفقيد عام ١٨٩٦ والتحق بكلية دار العلوم التي تخرج فيها ليعمل مدرساً للخط العربي في المدارس المصرية، ثم أستاذاً في مدرسة تحسين الخطوط، ومن ثم كلية دار العلوم فالجامعة الأمريكية في القاهرة، إلى جانب عضويته في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية.

ويعتبر سيد إبراهيم شاعراً مجيداً، وهو أحد مؤسسي مجموعة أبوللو التي ترأسها أحمد شوقي.

ترك الفقيد مجموعة من المقالات الأدبية المنشورة. كما خلف تراثاً مطبوعاً في مجال الخط العربي يندر أن يتكرر مثيله. منه: خط النسخ. خط الرقعة. فن الخط العربي. روائع الخط العربي.

نعت الأوساط الثقافية في بيروت مؤخراً

والشاعر الشيخ سالم بن حمود السيابي عن عمر يناهز ٨٦ عاماً.

فقد ولد السيابي عام ١٩٠٨، وأمضى جل حياته في التبحر في العلم والأدب والتاريخ. وله أكثر من خمسين مؤلفاً منها: إرشاد الأنام في الأديان والأحكام، وهدى الفاروق - كتاب السلوك - العقود المعضلة في المسائل الموصلة.

■ توفي الأديب والناقد المصري المعروف عبدالفتاح الجمل عن عمر يناهز السبعين عاماً. عمل الفقيه مديراً لتحرير مجلة المساء لأكثر من ثلاثين عاماً. وكان قد أصدر أول ملحق أدبي مستقل في مصر قدام خلالهما معظم أدباء جيل الستينات في مصر. كما كان له الفضل في اكتشافهم ومن مؤلفاته:

«رواية الخوف» و«أمون» و«طواحين الصمت» و«وقائع عام الفيل» و«حكايات شعبية من مصر».

■ الشاعر السوري نديم محمد توفي عن عمر يناهز ٨٦ عاماً. ويعد نديم شاعراً مقلداً وأحد شعراء الرومانسية والرمزية.

وهو خريج جامعة مونتبييه الفرنسية تخصص آداب. ومن أعماله: «الأم» و«فراشات وعناكب» و«أفاق» و«ألوان» و«رفاق مضوا».

■ في باريس رحل الأديب اللبناني مري نعمان عن عمر يناهز اثنين وثمانين عاماً. وهو مؤسس دار النعمان للثقافة. ويحمل وسام المعارف اللبناني، ووسام الفنون والآداب الفرنسية.

ترك الأديب الراحل عدداً كبيراً من المؤلفات الشعرية والمسرحية منها: «التلاقي بعد الفراق» مسرحية شعرية، و«هنيمات» مجموعة قصائد. ومن ترجماته «الأم» لأندرية مالرو.

■ فقدت الجزائر مؤخراً واحداً من أبرز أبنائها الأعلام. فقد انتقل إلى رحمة الله تعالى الشيخ محمد خير الدين أحد مؤسسي جمعية علماء الدين في الجزائر، وذلك عن عمر يناهز مائة عام.

وقد كان الفقيد رحمه الله واحداً من مجموعة من العلماء، حيث كان من أبرزهم الشيخ عبد الحميد بن باديس

ومحمد البشير الإبراهيمي. أولئك الذين عكفوا على خدمة الإسلام، والدعوة إلى نشر اللغة العربية، ومحاربة الاستعمار والتغريب، والدعوات الفرانكفونية في الجزائر.

■ عن عمر يناهز الثالثة والسبعين عاماً رحل الشاعر اللبناني المعروف خليل فرحات إلى العالم الآخر، بعد أن عاش ويلات الحرب الطويلة التي لحقت به إلى مدينة زحلة فأنت نيرانها على مكتبته العامرة.

عُرف عن فرحات كشاعر أمانته في الصياغة، واعتناؤه البالغ باختيار اللفظة المناسبة، وانتقاؤه الصافي للصورة الشعرية الجذابة. وقد ترك عدداً من الدواوين الشعرية من أبرزها:

«هي الكتاب» و«تباريح» و«من الأعماق» و«الفارس والأبراج».

■ فقدت الدعوة الإسلامية في الهند مؤخراً أحد أقطابها بوفاة العالم الفقيه الشيخ أبو الحسن عبيدالله الرحماني عن عمر يناهز واحداً وثمانين عاماً.

ولد الفقيه عام ١٩٠٩ وتلقى علومه على كبار الأساتذة في الهند، وتخرج عام ١٩٢٦ في المدرسة الرحمانية في دلهي حيث عين مدرساً فيها.

ووفد الرحماني عام ١٩٤٦ على الملك عبدالعزيز آل سعود، والتقى نائبه في الحجاز الأمير فيصل رحمهم الله جميعاً.

■ توفي المؤرخ والعلامة اللبناني فؤاد أفرام البستاني في الأول من فبراير/ شباط ١٩٩٤ عن ٨٨ سنة. وكان فؤاد غزير الإنتاج حيث وضع ٢٣٢ مؤلفاً، وقام بنشر سلسلة كتب الروائع حيث تضمنت حياة الشعراء والفلاسفة العرب منذ الهجرة النبوية. كما وضع خمسة عشر جزءاً من «دائرة المعارف». ويعود له الفضل في تدريس الأدب الحديث في المدارس اللبنانية، والمساهمة في استحداث شهادة «البكالوريا» اللبنانية. كما يعود إليه الفضل في تأسيس الجامعة اللبنانية حيث كان أول رئيس لها وكان ذلك عام ١٩٥٣.

« قسم التوثيق بالمركز »

رسائل جامعية لنيل درجة الماجستير

عنوان الرسالة	الباحث	التخصص	الجامعة
■ الأبعاد الاجتماعية لنشأة مدينة بغداد: دراسة بنائية تاريخية.	إبراهيم مرزة محمد علي	العربية	معهد البحوث والدراسات العربية اليرموك
■ أثر الأجر على عرض العمل في الاقتصاد الإسلامي.	محمد فاروق الشبول	الشريعة والدراسات الإسلامية	معهد البحوث والدراسات العربية أم القرى
■ أثر التعليم على التغيير الاجتماعي في المجتمع اليمني.	علي محمد حسين النشمي	الدراسات العربية	معهد البحوث والدراسات العربية أم القرى
■ أثر الضوء في التعبير الفني والإفادة منه في تدريس التعبير بالألوان.	إلهام عبدالله الريس	التربية الفنية	معهد البحوث والدراسات العربية أم القرى
■ أثر المناخ على الزراعة في الضفة الغربية: دراسة في الجغرافيا.	منصور نصر علي اللوح	الدراسات العربية	معهد البحوث والدراسات العربية البنات بالرياض
■ أحاديث فضائل سور القرآن الكريم من تفسير الدر المنثور للسيوطي، تخريجها ودراسة أسانيدها والحكم عليها.	هند بنت محمد علي الجارالله.	الآداب	معهد البحوث والدراسات العربية البنات بالرياض
■ الأحكام الفقهية لقيام السوق الإسلامية المشتركة.	محمد عامر	الشريعة والقانون	القاهرة
■ الإمام عبدالعزيز محمد بن سعود ودوره في بناء الدولة السعودية الأولى ١١٥٧ - ١٢١٨ هـ / ١٧٤٤ - ١٨٠٢ م.	الجوهرة بنت عبدالرحمن المنيع	الشريعة والقانون	البنات بالرياض
■ الإنفاق العسكري في النظام المالي الإسلامي.	نجدة أرسلان	الشريعة والدراسات الإسلامية العربية	اليرموك
■ أوضاع التعليم في فلسطين المحتلة - دراسة اجتماعية ميدانية على الضفة الغربية وقطاع غزة في الفترة من ١٩٦٧ - ١٩٨٨.	نبيل محمد المدني	الدراسات العربية	معهد البحوث والدراسات العربية
■ البعد الإسلامي في السياسة الخارجية المصرية في الفترة من يوليو ١٩٥٢ حتى يوليو ١٩٦٧.	عبدالطوب مصطفى السيد إبراهيم	الدراسات العربية	معهد البحوث والدراسات العربية اليرموك
■ التجارة الخارجية في الفكر الاقتصادي الإسلامي مقارنة بالنظام الوضعي.	يوسف عبدالله مقداي	الاقتصاد الإسلامي	اليرموك

رسائل جامعية لنيل درجة الماجستير

عنوان الرسالة	الباحث	التخصص	الجامعة
■ التعليم الفني ومتطلبات التنمية في المجتمع العربي السعودي: دراسة تطبيقية.	حمد زيد حمد الزيد	العربية	معهد البحوث والدراسات العربية
■ التماثل الثقافي كعائق يواجه المترجمين لدى ترجمتهم للأعمال الأدبية من العربية إلى الإنجليزية.	حسين عبدالرحمن المطلق	الآداب	
■ التمثيل الدبلوماسي الفلسطيني قبل وبعد إعلان الدولة.	حسن خلف	معهد العلوم الإدارية والقانونية	الجزائر
■ تخصص المناهج وطرق التدريس في اللغة والأدب.	خيرية السقاف		ميسوري بأمريكا
■ الجامعة العربية وأزمات الخليج عام ١٩٩٠.	فارس بن حمد العقلا		معهد البحوث والدراسات الإسلامية
■ الجغرافيا السياسية للدولة الفلسطينية	جمال عبدالمعطي محمد البابا		معهد البحوث والدراسات العربية اليرموك
■ الجملة عند الأصوليين.	محمد أحمد أبو حزمة	اللغة العربية وآدابها	
■ الحريات العامة والنظام السياسي الموريتاني.	محمد ولد أحمد بمبا		معهد البحوث والدراسات العربية
■ الحياة العلمية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم.	ضاحي السيد نجار	التاريخ الإسلامي	الأزهر
■ دراسة في المسائل النحوية في كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر العسقلاني.	محمد محجوب حمدي محجوب	اللغة العربية	القاهرة
■ الدعوة الإسلامية في مصر خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر.	مجدي عبدالغفار حبيب	أصول الدين	الأزهر
■ الزخارف المعمارية في خربة الذريح: دراسة مقارنة.	مأمون محمد بعارة	الآثار (انثروبولوجيا)	اليرموك
■ السياسة الأمريكية في الخليج ١٩٦٩ - ١٩٨٠.	إبراهيم محمد إبراهيم المصري		معهد البحوث والدراسات العربية جامعة حلب
■ الاسطرلاب في التراث العلمي العربي.	محمد لؤي بلال	تاريخ العلوم الطبيعية	
■ سياسة الصين تجاه القضايا العربية (١٩٥٥ - ١٩٩٠).	طلال حسن زياب طوباسي		معهد البحوث والدراسات العربية

رسائل جامعية لنيل درجة الماجستير

عنوان الرسالة	الباحث	التخصص	الجامعة
■ شعر الفخر عند الشعراء الفرسان في العصر الجاهلي. ■ عادات الدفن في حضرموت. ■ عبدالله المبارك والمعاني التربوية في شعره. ■ علاقة أساليب المعاملة الوالدية والزوجية باستمرار زواج الأبناء (الإناث) أو فشلها. ■ العلاقات السياسية بين الامبراطورية الرومانية المقدسة والشرق الإسلامي في الفترة من ١١٥٢ - ١٢٥٠ م. ■ عمود الشعر في النقد العربي القديم بعد المرزوقي. ■ القرابة الروحية.	حنان أحمد الحتاملة عميدة محمد شعلان وليد أحمد صباح قاسم سعيد الرفاعي	اللغة العربية وآدابها الآثار القديمة الشريعة والدراسات الإسلامية علم النفس	اليرموك اليرموك أم القرى بمكة المكرمة المنيا في مصر
■ هالة فائز الحمد ■ غدير موسى عزام ■ محمد هادي علي المدخلي ■ خالد رجب علي شعبان	اللغة العربية وآدابها الآثار (الانثروبولوجيا) الحديث الشريف	اليرموك اليرموك الإسلامية بالمدينة	اليرموك اليرموك الإسلامية بالمدينة
■ مسند أبي داود الطيالسي من بداية مارواه عبدالله بن رباح عن أبي هريرة إلى نهاية الكتاب: تحقيق ودراسة. ■ مشكلات تعريب المصطلح اللغوي المعاصر. ■ المضامين التربوية للاتجاه التغريبي في مصر في النصف الأول من القرن العشرين. ■ المقارنة بين القصة الخيرية وفن التقرير الصحفي بين مجلتي (أكتوبر) المصرية و(التايم) الأمريكية. ■ مقدمة المفسرين محمد البيركوري: تحقيق ودراسة. ■ النبرات والسمعيات من كتاب شرح لمع الأدلة لشرف الدين ابن التلمساني.	عادل محمد السبيعي مصطفى طاهر الحيادة سامي سليمان محمد السهم شيم عبدالحميد عبدالرحمن صالح الدهش محمد عبد الوهاب محفوظ	أصول الدين اللغة العربية وآدابها التربية الإعلام أصول الدين أصول الدين	معهد البحوث والدراسات العربية الإمام محمد بن سعود اليرموك عين شمس القاهرة الإمام محمد بن سعود القاهرة

رسائل جامعية لنيل شهادة الدكتوراه

الجامعة	التخصص	الباحث	عنوان الرسالة
القاهرة	السياحة والفنادق	وصال محمد أبو علم	■ أثر نظام المشاركة الزمنية على إنعاش حركة السياحة في مصر.
الأزهر	اللغة العربية	عبدالصبور فاضل	■ أساليب تقويم الأداء الصحفي في المجتمع الإسلامي.
لندن		ليلي دبس	■ الاغتراب من مسرحيات الكاتب المصري ألفريد فرج والكاتب الألماني بيتر فايس.
القاهرة	الآداب	عبدالمنعم عبدالعزيز سلام	■ الأغنية الشعبية الدينية.
القاهرة	الآداب	هاشم محمد سويقي	■ ألفاظ الحضارة المادية في مؤلفات الجبرتي.
القاهرة		محمد فتحي عبدالهادي	■ إنشاء قائمة رؤوس موضوعات عربية في العلوم الاجتماعية.
الأزهر		رشدي شحاتة أبو زيد	■ انقضاء الالتزام بما يعادل الوفاء في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي.
السوربون		عبدالعزیز السلمة	■ تاريخ الصحافة المكتوبة في بلدان الخليج العربي بين ١٩٤٦ - ١٩٨١.
القاهرة		سامية محمد علي	■ تاريخ كتابة الحديث النبوي في مصر ومراحل تطوره منذ الفتح الإسلامي عام ٢٠ هـ وحتى قيام الدولة الفاطمية عام ٢٥٨ هـ.
أم القرى	المناهج والتدريس	مرزوق إبراهيم القرشي	■ التراكيب اللغوية التي يستخدمها تلاميذ المرحلة المتوسطة بالمنطقة الغربية ومطابقتها على ما درسوه في مقررات اللغة العربية.
القاهرة		عبد الوهاب عبدالسلام أبو النور	■ التصنيف البيوجغرافي لعلوم الدين الإسلامي.
القاهرة	الاقتصاد والعلوم السياسية	نورة الشامسي	■ التضخم الوظيفي وسياسات التوظيف في دول مجلس التعاون.
التربية للبنات بمكة	التربية	سارة فرج العقلة	■ توحيد الألوهية والفرق الضالة فيه : دراسة نقدية.
القاهرة	دار العلوم	علاء محمد رأفت	■ جهود ابن الدهان وأثره في الدراسات النحوية والصرفية والوقوف على آثاره العلمية.

رسائل جامعية لنيل شهادة الدكتوراه

الجامعة	التخصص	الباحث	عنوان الرسالة
لندن القاهرة		سلمى الخضراء الجيوسي شعبان عبدالعزيز خليفة	■ الحركات والاتجاهات في الشعر الحديث. ■ حركة نشر الكتب في الجمهورية العربية المتحدة واقعتها ومستقبلها. ■ دراسة تحليلية لشعر المنفى عند عبدالوهاب البياتي وروفاثيل البيرتي.
مدريد أوتونوما		خالد سالم	■ دوافع الخير ونوازع الشر في الإسلام. ■ الدولة الزيادية في طبرستان وجرجان خلال القرنين الرابع والخامس للهجرة.
الازهر	التفسير وعلوم القرآن التاريخ والحضارة	حصّة أحمد عبدالله الغزال سعد بن عبدالعزيز القصبى	■ الروض الباسم في شمائل أبي القاسم.
الإمام محمد بن سعود		المناوى	■ الصراط المستقيم في بيان القرآن الكريم للكارزوني من أول الكتاب إلى نهاية تفسير سورة براءة: تحقيقاً ودراسة.
الهند	حديث	حسين محمد شرف هاشم	■ الصورة البصرية في شعر العميان - دراسة فنية.
الإمام محمد بن سعود	أصول الدين	عبدالله بن أحمد بن علي الفيقي قرش عبد القادر	■ الصورة الفنية في الشعر الأندلسي في عهد المرابطين والموحدين.
الملك سعود	فلسفة الأدب والنقد	عزت محمود عبدالرحمن علي الدين	■ ظاهرة الاغتراب في شعر سمو الأمير عبدالله الفيصل ود. إبراهيم ناجي.
الجزائر	معهد اللغة والأدب العربي	سعد الكردي	■ الظواهر اللغوية في تفسير الطبري.
القاهرة		عبدالله عبدالمحسن أحمد التويجري	■ علل الحديث لابن أبي حاتم، من أول الكتاب إلى بداية قوله: سألت أبي عن رواية عروة عن علي: تحقيقاً ودراسة.
دمشق	الآداب والعلوم الإنسانية	سعود بن سلمان بن محمد آل سعود	■ الفكر المادي المعاصر في البلاد العربية وموقف الفكر الإسلامي منه.
الإمام محمد بن سعود الإسلامية	أصول الدين		
الرياض	الشريعة		

رسائل جامعية لنيل شهادة الدكتوراه

عنوان الرسالة	الباحث	التخصص	الجامعة
■ المنظور الإسلامي لممارسة الخدمة الاجتماعية.	عفاف إبراهيم عبدالله الدباغ	التربية	التربية للبنات في الرياض أم القرى
■ منهج سيد قطب في ظلال القرآن.	أسماء محمد مذعق		
■ منهج المستشرق برنارد لويس في دراسة الجوانب الفكرية في التاريخ الإسلامي.	مازن صلاح مطبقاتي	الدعوة - الاستشراق	الإمام محمد بن سعود
■ المهدي المنتظر عند الشيعة الاثني عشرية.	جلال الدين محمد صالح	الدعوة وأصول الدين الآداب	الإسلامية بالمدينة الزقازيق في مصر
■ موقف أبي البركات البغدادي من الفلسفة الإلهية عند ابن سينا.	جمال رجي		مدريد
■ النار والماء في الاحتفالات الشعبية في بورسعيد (مصر) وفالنسيا (اسبانيا).	طلعت شاهين		
■ النشر الأكاديمي بالجامعات المصرية مع التركيز على جامعات القاهرة وعين شمس والأزهر وحلوان.	حسناء محمد أحمد		القاهرة
■ النظرية الإسلامية لمكافحة المخدرات.	محمد جمعة سالم		
■ الواقعية في قصص الكاتبة البريطانية إيرسن وورتن.	عزة محمد الخولي	الآداب	الملك محمد الأول بالمغرب الاسكندرية

دوريات جديدة :

■ «التشكيلي السوري»

وهي ثاني مطبوعة سورية تختص بالفن التشكيلي بعد مجلة الحياة التشكيلية الفصلية التي تصدرها وزارة الثقافة. ويأتي صدور النشرة الجديدة استجابة للنمو المتزايد الذي يشهده الفن التشكيلي في سورية خاصة والعالم العربي عامة. وتقع المجلة في ١٦ صفحة من القطع الكبير.

■ الثقافية

صدر عن المكتب الثقافي السعودي بالعاصمة البريطانية (لندن) العدد الأول من مجلة «الثقافية» التي تهتم بشؤون الثقافة والتعليم ومسيرة الابتعاث. ركزت المجلة في إصدارها الأول على محاور التعليم، وملفات الثقافة ورصد مسيرة الابتعاث وشؤون المبتعثين السعوديين في بريطانيا.

■ كراسي للإبداع والفن المغاير

صدرت في بيروت مؤخراً، وهي مجلة غير منتظمة الصدور، ضم عددها الأول مجموعة من النصوص الشعرية والنثرية لكتاب من جيل الشباب.

■ رؤى إسلامية وعربية

أصدرها معهد الدراسات الإسلامية

والعربية في نيودلهي، وهي مجلة شهرية تصدر باللغة الإنكليزية مرة كل شهرين وتتناول مختلف القضايا الإسلامية والعربية، العلمية منها والسياسية والتاريخية، ويرأس تحريرها الباحث المعروف الدكتور ظفر الإسلام خان، مدير معهد الدراسات الإسلامية والعربية بالعاصمة الهندية.

■ المبتدأ

مجلة جديدة تصدر بين قبرص ولبنان وسورية، وهي شهرية ثقافية تهتم بالنص الجديد والكتابة الجديدة كما جاء في بيان التحرير.

والمجلة مشروع ثقافي ذو أفق عربي يطمح إلى نشر النص الجديد والعناية به والدفاع عن حقه في الانتشار والوصول به إلى أوسع دائرة ممكنة من القراء.

حوى العدد الأول ملفاً حول حركة الكتابة شارك فيه عدد من المفكرين.

■ دوتشيلاند

مجلة ثقافية سياسية اقتصادية علمية. صدرت في ألمانيا مؤخراً باللغات العربية والألمانية والإنكليزية والفرنسية والإسبانية والبرتغالية واليابانية والعبرية.

وستصدر كل شهرين وستوزع في ١٦٢ بلداً.

وتضمّن القسم الخاص بالعالم العربي في

عدها الأول ستة موضوعات هي غذاء من الصحراء. والحجارون في مصر القديمة وألمان يتكلمون العربية وحكواتي من معلولا واستخراج طاقة الرياح في استخراج مياه الشرب ويوسف واخناتون.

■ منارات النديم

صدر عن مركز النديم للمعلومات العدد الأول من المجلة الأدبية «منارات النديم» التي تهتم بالدراسات الأدبية الخاصة بالاتجاه السوسولوجي واحتضان الإبداعات الشابة.

■ فكر ومال

أصدرت دار المجموعة العربية للصحافة

والإعلام العدد الأول من مجلة «فكر ومال» التي تصدر شهرياً بصفة مؤقتة. وتهتم مجلة «فكر ومال» بقضايا العرب الاقتصادية. ويرأس مجلس إدارتها يحيى زيدان، ويتولى زكريا نيل إدارة التحرير. يذكر أن المجلة تعد الإصدار الثاني للمجموعة بعد مجلة «كاريكاتير».

■ فوالا

صدر في لندن العدد الأول من مجلة «فوالا» الشهرية الاجتماعية المصورة باللغة الإنكليزية لناشرها خلدون المالح.

« قسم التوثيق بالمركز »

إصدارات حديثة

■ الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة العربية السعودية (مدخل عام).

د. علي بن إبراهيم بن علي حامد غبان، الرياض ١٩٩٣.

■ أبحاث الندوة العالمية الرابعة لتاريخ العلوم عند العرب.

عدة مؤلفين، جامعة حلب.

■ الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي. عبد القادر فيدوح، اتحاد الكتاب

العرب - دمشق.

■ الاتجاهات الحديثة في المكتبات والمعلومات.

شعبان عبدالعزيز خليفة، المكتبة الأكاديمية - القاهرة.

■ الأجهزة الطبية الكهربائية.

محمد سمير طليمات، دار طلاس - دمشق.

■ أحلام عامل المطبعة.

- منير أسعد، دار مجلة الثقافة - دمشق.
- الانتفاضة «مجموعة قصصية للأطفال».
- إبراهيم قفعيني، عمان - الأردن.
- إنشاد المنادي «قراءة في شعر هولدرن وتراكل».
- مارتن هايدغر، تلخيص وترجمة بسام حجار، المركز الثقافي العربي - بيروت ١٩٩٤.
- الإيدز - التدابير الوقائية.
- جورجيت شحادة، دار طلاس - دمشق.
- بحث توثيقي بالصور الملونة للوضع الحالي والفنون الإسلامية في مختلف أرجاء العالم الإسلامي.
- مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية - استانبول.
- بصمات عربية ودمشقية في الأندلس.
- سلمى الحفار الكزبري، وزارة الثقافة - دمشق.
- البنى الأساسية في علم الأخلاق.
- محمد الجبر، دار المعرفة - دمشق.
- تاريخ النقود الإسلامية.
- موسى المازندراني، دار العلوم - بيروت ١٩٩٣.
- تأملات في سورة المائدة.
- حنان اللحام، دار الآفاق والآنفس - دمشق.
- التحليل النفسي للأقوال المأثورة.
- سمير عبده، دار علاء الدين - دمشق.
- التحليل النفسي لقوة الاستدلال.
- سمير عبده، دار علاء الدين، دمشق.
- التحليل النفسي للمكاشفة الباطنية.
- سمير عبده، دار علاء الدين - دمشق.
- تدوين السنة.

- مروان المصري، وزارة الثقافة - دمشق.
- أحكام صلاة الجماعة والجمعة في الفقه الإسلامي.
- د. محمد عادل عزيزة الحسيني - دبي.
- أزمة المياه والصراع في المنطقة العربية.
- غسان دمشقية، دار الأهالي - دمشق.
- إشكالية الموت.
- غسان السيد، دار معد - دمشق.
- أضواء على البحث العلمي.
- د. سيد الحديدي، دار القلم العربي - حلب.
- الأطفال أولاً.
- عدة مؤلفين، مكتب اليونسكو - دمشق.
- أعتقد أنني.
- شبيب الأمين، دار الجديد - بيروت ١٩٩٤.
- أعلام عرب محدثون من القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر.
- نقولا زيادة، الدار الأهلية - بيروت.
- الإمام علي بن أبي طالب وتجربة الحكم.
- حسن المزين، دار الفكر الحديث - بيروت.
- أمنيات صغيرة.
- طلال شاهين، دار حطين - دمشق.
- الأمير عبد القادر الجزائري.
- نزار أباطة، دار الفكر - دمشق.
- انتخاب العوالي والشيوخ الأخيار من فهارس شيخنا الإمام المسند العطار أحمد بن عبيدالله العطار.
- عبد الرحمن بن محمد بن عبدالرحمن الكزبري، تحقيق د. محمد مطيع الحافظ، دار الفكر - دمشق.
- الانتصار (مجموعة قصصية).

- إبراهيم فوزي، رياض الرئيس للكتب- لندن.
- التدين المنقوص.
- فهمي هويدي، دار الشروق- بيروت/ القاهرة.
- التلقي والتأويل.
- محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي- بيروت.
- الجامعة الإسلامية والفكرة القومية (نموذج مصطفى كامل).
- محمد عماره، دار الشروق- بيروت/ القاهرة.
- الجذور الخضراء.
- بديعة الحسيني الجزائري، دار سلام- دمشق.
- الجغرافيا القرآنية.
- فوزي حميد، دار الصفدي- دمشق.
- حسان بن ثابت الأنصاري (شاعر الإسلام).
- ربيعة أبو الفضل، دار العلم للملايين- بيروت.
- حكايات من الشام.
- محمد خالد رمضان، دار الطليعة- دمشق.
- خطاب الجنون في الثقافة العربية.
- محمد حيان السمعان، رياض الرئيس للكتب- لندن.
- الخطابة القضائية.
- دياب يونس، دار العلم للملايين- بيروت.
- الخطط التوفيقية الجديدة لمعز القاهرة.
- علي باشا المبارك، (الأجزاء 9 و 10 و 11)، الهيئة العامة للكتاب في مصر.
- الخيول «مسرحية».
- إبراهيم عبدالله غلوم، أسرة الأدباء والكتاب في البحرين.
- دور سورية في بناء الحضارة الإنسانية عبر التاريخ.
- سعد صائب، دار طلاس- دمشق.
- الدين والحياة.
- الشيخ عبدالمنصف محمود عبدالفتاح، لجنة البحث العلمي بجامعة أنصار السنة المحمدية.
- الذاكرة والأوراق.
- محمد دكروب، دار الينابيع- دمشق.
- الروض الباسم في شمائل أبي القاسم للمناوي.
- د. محمد عادل عزيزة الحسيني- دبي.
- الزاد من النحو.
- إبراهيم علي، دار الغدير- دمشق.
- الزمن العباسي.
- د. مصطفى علم الدين، دار النهضة العربية- بيروت 1993.
- سبيل النجاة في الحب في الله والبغض في الله.
- يوسف النبھاني، مراجعة عبدالله سعود، دار القلم العربي- حلب.
- سؤالات أبي داود.
- أحمد بن حنبل، تحقيق زياد محمد منصور، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة.
- سوريا في عهد السلوقيين.
- مفيد راتب العابد، دار شمال- دمشق.
- شرائط ملونة في حياتي.
- ليلي عسيران، رياض الرئيس للكتب- لندن.
- شقة الحرية (رواية).
- غازي عبدالرحمن القصيبي، رياض

الرئيس للكتب - لندن.

■ الشيخ خالد النقشبندی العالم المجدد،

حياته وأهم مؤلفاته.

■ نزار أباطة، دار الفكر - دمشق.

■ صفحات من حياة نازك الملائكة.

■ حياة شرارة، رياض الرئيس للكتب -

لندن.

■ طرائف الشعراء في مجالس الأدباء.

■ نجيب البعيني، دار المناهل - بيروت.

■ عكا .. تراث وذكريات.

■ د. يوسف شبيل ومنى سمعان، دار

الحمراء اللبنانية - بيروت.

■ عناقيد الكلمات.

■ أيمن رزوق، دار الغدير - دمشق.

■ فتاوى المازري.

■ تقديم وجمع د. الطاهر المعموري، الدار

التونسية للنشر.

■ الفتح العربي الإسلامي.

■ سليمان الخش، رياض الرئيس للكتب -

لندن.

■ الفتح المبين في بيان الزكاة وبيت مال

المسلمين.

■ عبد الرحمن المنجرة، تحقيق د. محمد

الحبيب التجكاني، دار الأفاق الجديدة -

المغرب ١٩٩٣.

■ الفضائل المحمدية.

■ يوسف النبھاني، تحقيق وترتيب

محمود فاخوري، دار القلم العربي -

حلب.

■ قائمة رؤوس الموضوعات العربية

الكبرى.

■ شعبان خليفة ومحمد عوض العايدي،

المكتبة الأكاديمية - القاهرة.

■ ديوان شعر: كان بستاناً يسمى

الشمس.

■ كميل قيصر داغر، دار الآداب - بيروت.

■ كتب الأطفال ومبدعوها.

■ جان كارل، ترجمة صفاء الروماني،

وزارة الثقافة - دمشق.

■ كيف نعتني بالطفل وأدبه.

■ إسماعيل الملحم، دار علاء الدين - دمشق.

■ لطائف القرآن.

■ أبو الفضائل أحمد بن محمد بن مظفر

الرازي، تحقيق محمد عبدالرحمن

النابلسي، دار السنابل - دمشق.

■ لعينيك تبزغ الشمس.

■ أحمد موسى محمود، دار الينابيع -

دمشق.

■ مابعد الحداثة - انفجار عقل أواخر

القرن.

■ سامي أدهم، دار كتابات - بيروت.

■ ٢٠٠ قصة سورية.

■ عدة مؤلفين، دار الصداقة - حلب.

■ المأساة في الأدب.

■ صالح الرزوق، اتحاد الكتاب العرب -

دمشق.

■ مباحث علمية واجتماعية.

■ إسماعيل بك حقي، مراجعة وفهرسة

وتقديم: انطوان بشاره قيقانو، دار لحد

خاطر - بيروت.

■ محمد أبو ريشة «حياته وشعره».

■ جميل علوش، دار الرواد للنشر

والتوزيع - بيروت.

■ مختصر مشيخة محمد شاكر العقاد.

■ تحقيق د. محمد مطيع الحافظ، دار

الفكر - دمشق.

■ مختصر الموت ومابعده.

■ عبد الناصر أبو هارون، دار دمشق -

- دمشق.
- مرافئ
- وداد قباني، دار مجلة الثقافة - دمشق.
- مرتبة الروح.
- فؤاد كحل، اتحاد الكتاب العربي - دمشق.
- مسائل تافهة.
- تاج الدين الموسى، دار الينابيع - دمشق.
- المسلمون في آسيا الوسطى والبلقان.
- د. محمد حرب، المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي - القاهرة.
- معجم العالم العربي.
- مجالى مرسي، ترجمة جورج سعد، دار الحداثة - بيروت.
- المغرب العربي وقضايا الحداثة.
- عبد الكبير الخطيبي، ترجمة أدونيس وآخرون، راجعه محمد بنيس.
- مقاصد القرآن الكريم.
- أيمن بهجت دعدع، دمشق.
- المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي.
- يوسف بن تغري بردي (ج ٧)، الهيئة العامة للكتاب - القاهرة.
- موجز علوم العربية.
- محمد قاسم وأحمد الحمصي، جروس برس - طرابلس.
- الموجز في مفهومي الأخلاق والدولة عند هيكل.
- دار المعرفة - دمشق.
- الموسوعة التاريخية الجغرافية:
- القارات، المناطق، الدول، البلدان، المدن، معالم وثائق، موضوعات، زعماء.
- بيروت د. ن
- المياه في القانون الدولي.
- زكريا السباعي، دار طلاس - دمشق.
- نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الأزمان.
- الخطيب الجوهري علي بن داود الصيرفي (ج ٤)، الهيئة العامة للكتاب - مصر.
- نظم التعليم عند المسلمين.
- عارف عبد الغني، دار كنان - دمشق ١٩٩٣.
- النقد الأدبي في القرن العشرين.
- جان ايف داتيسين، ترجمة قاسم المقداد، وزارة الثقافة - دمشق.
- هندسة القرآن.
- جمال البدر، دار الآفاق الجديدة - المغرب ١٩٩٣.
- الوثائق العربية العثمانية في مراكز الأرشيف الفرنسية.
- جمع وتحقيق صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي.
- الوجيه في قصة الحضارة (الحضارة الإسلامية).
- ول ديورانت، أوجزه د. غازي طليمات، دار طلاس - دمشق (ج ٣).
- وحدة الثقافة العربية وصمودها بوجه التحديات.
- مجموعة من المفكرين العرب، مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت.
- الوسطية في الإسلام.
- د. عبد اللطيف فرفور.
- اليهودية العالمية وحربها المستمرة على المسيحية.
- إيليا أبو الروس، منشورات دار الطليعة - بيروت.

المطبوعات التي صدرت عن مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث عام ١٩٩٤

■ ب ابن النحوي ؛ تحقيق وتخريج محيي الدين نجيب . - دمشق : دار البشائر ، [١٩٩٤] . - ٢١٨ ص . ؛ ٢٤ سم .

■ النشاط الثقافي في دولة الإمارات العربية المتحدة عام ١٩٩٣ / إعداد إدارة البحث العلمي والنشاط الثقافي بالمركز ؛ مراجعة وتقديم الدكتور عبدالرحمن فرفور . - دبي : مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ، [١٩٩٤] . - ٣٥٩ ص . ؛ ٢٤ سم .

جمع غالب ماقام من ندوات ومحاضرات وأمسيات شعرية ونشاطات ثقافية خلال العام المذكور .

■ كتاب الحيطان : أحكام الطرق والسطوح والأبواب ومسيل المياه والحيطان في الفقه الإسلامي / تأليف الشيخ المرجي الثقفي ؛ تحقيق محمد خير رمضان يوسف . - بيروت : دار الفكر المعاصر ، ١٩٩٤ . - ٢٠٨ ص . ؛ ٢٤ سم .

عليه شرح وتهذيب وزيادات للدامغاني والصدر الشهيد وابن قطلوبغا .

■ رواية محمد بن إسحاق بن يسار في المغازي والسير وسائر المرويات / تصنيف مطاع الطرابيشي . - بيروت : دار الفكر المعاصر ؛ دمشق : دار الفكر ، ١٩٩٤ . - ٥٦٨ ص . ؛ ٢٤ سم .

يوثق هذا الكتاب الرواة الذي أخذ عنهم ابن اسحاق في مغازيه، ثم الرواة الذين نقلوا عنه كما يوثق نسخ المغازي في دراسة علمية منهجية عالية .

■ الإيجاز في آيات الإعجاز / تأليف محمد أبي اليسر عابدين ؛ تحقيق محمد كريم راجح . - دمشق : دار البشائر ، [١٩٩٤] . - أ - ط ، ٢٣٧ ص . ؛ ٢٤ سم .

وهو بيان لعظمة كتاب الله في المعجزات الكونية التي يتناولها هذا الكتاب شرحاً وتفسيراً مع ذكر طرق الإعجاز وما فيها من تحديات .

■ البلغة في أحاديث الأحكام مما اتفق عليه الشيخان : على ترتيب أبواب المنهاج للإمام النووي / تأليف سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن الملقن المعروف

البكري الصديقي ؛ تحقيق ليلي الصباغ.

■ نهاية المراد في شرح هدية ابن العماد /
تأليف الشيخ عبد الغني النابلسي ؛
تحقيق فضيلة الشيخ عبدالرزاق
الخلبي.

■ هداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب في
تبين متشاباه الكتاب / تأليف
السخاوي ؛ تحقيق عبدالقادر الخطيب.

■ اللباب في علل البناء والإعراب / تأليف
أبي البقاء العكبري ؛ تحقيق غازي
طليمات وعبد الإله نبهان.

دعوة لتشجيع النشر

يهتم مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
بتشجيع النشر العلمي سواء أكان في مجال
الدراسات أم في مجال تحقيق التراث، وقد
تشكلت فيه لهذا الغرض لجان عديدة
متنوعة الاختصاصات، من مهامها النظر في
المؤلفات الفكرية والأدبية والتراثية والعلمية
المقدمة إلى المركز. ودراستها بموضوعية
وإمعان نظر، واختيار مايناسب النشر.
والمركز يدعو السادة المحققين والمؤلفين
والباحثين ودور النشر إلى تقديم مآلديهم
من نتاج علمي لم ينشر سابقاً للعمل على
نشره ضمن الشروط التي اعتمدها المركز.

■ الإمام شمس الدين ابن الجزري :
فهرس مؤلفاته ومن ترجم له ٧٥٠ -
٨٣٣ هـ = ١٣٥٠ - ١٤٢٩ م / إعداد
الدكتور محمد مطيع الحافظ . - دبي :
مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ،
١٩٩٤ . - ٥٤ ص . ؛ ٢٧ سم .

■ المنتخب من مقتنيات معهد المخطوطات في
باكو بأذربيجان / إعداد الدكتور
عبدالرحمن فرفور ، والدكتور محمد
مطيع الحافظ . - دبي : مركز جمعة
الماجد للثقافة والتراث ؛ باكو : معهد
المخطوطات في أكاديمية العلوم ، ١٩٩٣ ،
- ١٤٣ ص .

كتب تحت الطبع

■ معجم الشعراء من تاريخ ابن عساكر
(حروف أ - ج) / تحقيق حسام الدين
فرفور.

■ أعيان العصر وأعيان النصر / تأليف
صلاح الدين بن أبيك الصفدي ؛ تحقيق
عدد من الأساتذة.

■ معجم التراث العربي المطبوع بين عامي
١٩٨٠ و ١٩٩٠ / إعداد إدارة البحث
العلمي والنشاط الثقافي بالمركز.

■ المنح الرحمانية في تاريخ الدولة العثمانية
/ تأليف محمد بن محمد أبي السرور

Content Index

Justice According To Islam	Dr. Abdul Salam Al-Tirmanini	8 - 12
An Interview With Abdullah Abdul Daim	Muhammad F. Zaghal	13 - 24
The Counter Face Of "Muashahat" In Light Of The New Discovery Of The Book "I'dat Al-Jalees".	Dr. Ahmad Bassam Sai'.	25 - 38
Civilized Images Reflected In Ibn Asaker's Life And In His Book "The History Of Damascus City".	Dr. Mazen Al-Mubarak.	39 - 43
Jabra Ibrahim Jabra And The Public Heritage.	Drs. Majida Hammoud.	44 - 49
Miscellanea On Shalah (Glimpses Of The District Life).	Muhammad Al- Manouni	50 - 54
Ibn Al-Hai'm And His Manuscripts Of Mathematics.	Dr. Musallam Al-Zaibaq.	55 - 64
Dignifying Profecy In The Book "Al-Shifa".	Dr. Hasan Jallab	65 - 71
Hydrology And Digging Water Out In The Time Of The Islamic Civilization.	Khalid Azb	72 - 77
Ibn Al-Jazzar Al-Qayrawani And His Life.	Muhammad Hasan Nofal-ia	78 - 95
Introducing The Magazine "Akhbar Dubai".	Muhammad Natheer Gharib	96 - 102
Subduing Art To Acquire Reading Skill From The Early Childhood.	Drs. A'ydah Naseer	103 - 109
Cultural News Abroad	Magzine Department	110 - 114
Arabic Language Societies Symposium On Petroleum Dictionary.	Damascus Correspondence	115 - 118
Demise	Documentation Department	118 - 121
University Dissertations	Documentation Department	122 - 127
New Publications	Supply Department	128 - 135

قسمة اشتراك

أرجو قبول اشتراكي في مجلة « آفاق الثقافة والتراث » لمدة سنة واحدة
(أربعة أعداد) ابتداءً من

الاسم :

العنوان :

ص.ب. :

حالة بريدية

حالة بنكية

طريقة الدفع : شيك

التوقيع :

التاريخ :

■ تملأ هذه القسمة وترسل مع قيمة الاشتراك إلى العنوان التالي :

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

مجلة آفاق الثقافة والتراث

ص.ب. : ٥٥١٥٦ دبي - دولة الإمارات العربية المتحدة

□ تتم المراسلات باسم إدارة التحرير بالمجلة. رقم الحساب البنكي ٦٥٢٣ ٩٠٦٩٠٩٠ - بنك المشرق

وكلاء التوزيع

دبي ص ب ٢٧١٠ / الامارات
القاهرة ص ب ٢١ الرمز البريدي ١١٢٧١
٣٩ شارع قصر النيل / اميركا - اليابان
جدة ص ب ١٣١٩٥ الرمز البريدي ٢١٤٩٢
شارع الستين شرق جسر الملك فهد / الخليج ما عدا الامارات
زنقة طبريه - الرباط - هاتف: ٢٧٦٨٤٦ / ٧ / ٢٠٢

■ مؤسسة البيان
■ مكتبة ليلي
■ الشركة السعودية للتوزيع
■ مصطفى ناجي - مكتبة دار التراث

ملاحظة : سنة المجلة تبدأ مع مطلع السنة الهجرية.

إلى السادة المهتمين بالنشر و التحقيق

يرغب مركز جمعة الماجد للثقافة و التراث إلى جميع السادة القائمين على دور النشر و الأساتذة المحققين و المعنيين بشؤون التراث أن يتفضلوا بالاتصال بالمركز ليعلموه عن الأعمال التي يشتغلون بها في مجال تحقيق التراث العربي الإسلامي ليصار إلى الإعلان عنها على صفحات هذه المجلة وذلك من باب تنسيق الجهود و لتلا تتكرر الأعمال .

و المركز إذ يعلن عن هذا ليرجو لكل العاملين في خدمة التراث أطيب الأمناني و يسأل الله أن يسدد خطواتهم في سبيل رفع شأن هذه الأمة .

AFAAQ AL-THAQAFAH WA AL-TURATH

1st Year
Shwal 1414 H

Issue 4
March 1994



Water Distillation As Appeared In The
Manuscript "Kanz Al-Ikhtisas" By Al-
Jaldaki (742 H.)

تقطير الماء، كما ورد في مخطوط (كنز الاختصاص)
للجلدكي (ت - بعد ٧٤٢ هـ)

A Quarterly Periodical Published
By
Juma Al-Majid Centre for Culture & Heritage